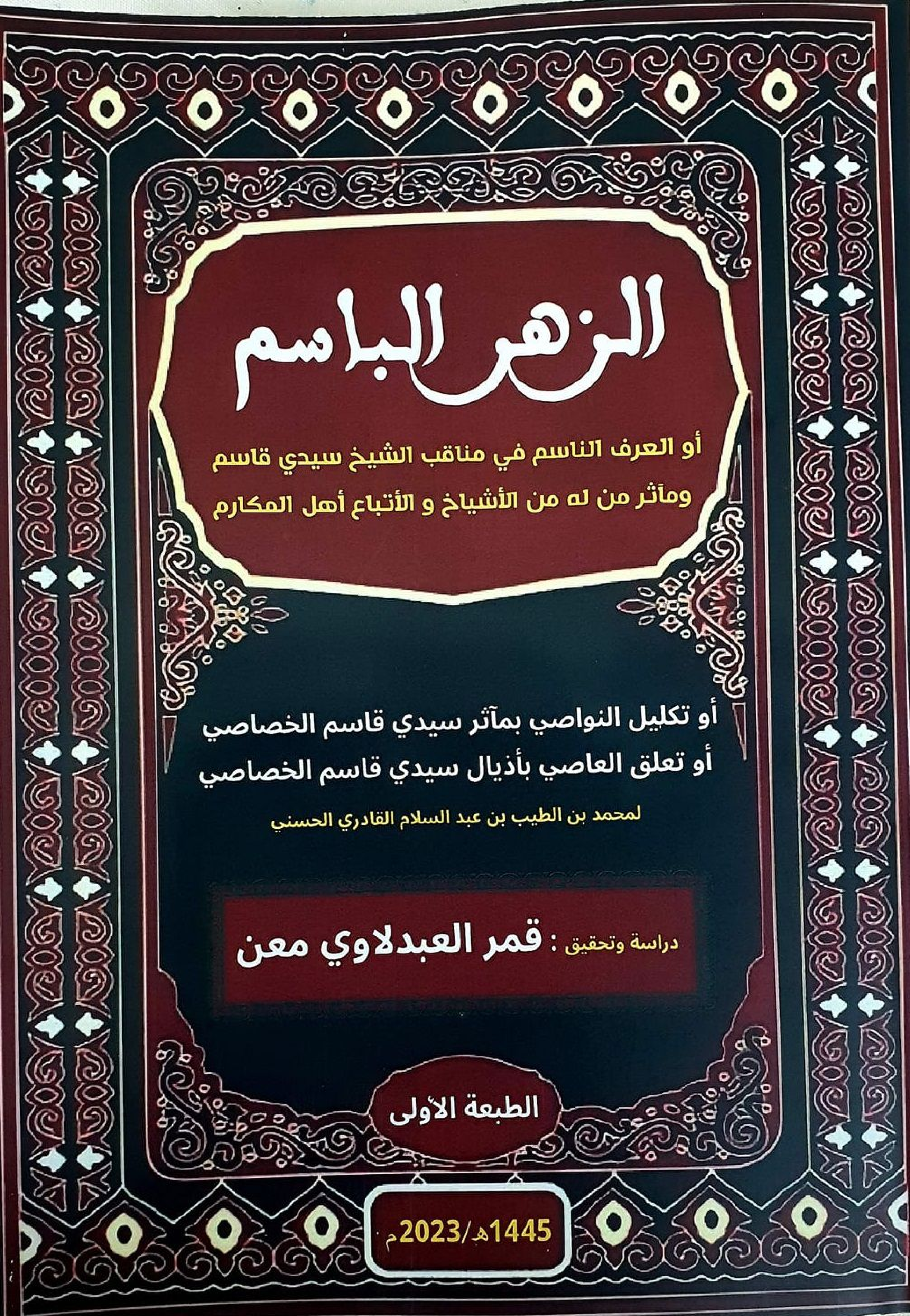


الزهر الباسم

أو العرف الناسم في مناقب الشيخ سيدي قاسم
ومآثر من له من الأشياخ و الأتباع أهل المكارم

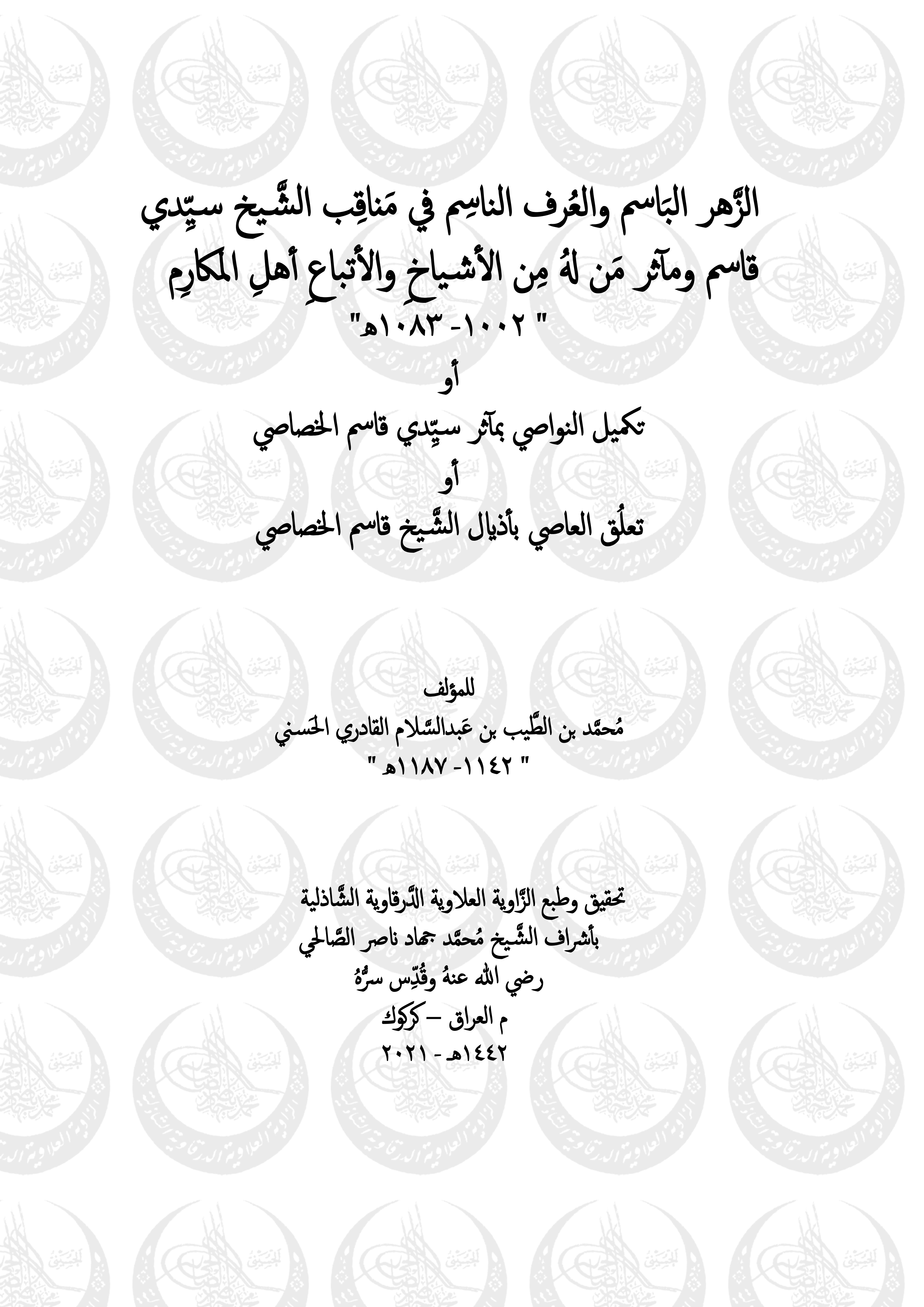
أو تكليل النواصي بمآثر سيدي قاسم الخصاصي
أو تعلق العاصي بأذيال سيدي قاسم الخصاصي

لمحمد بن الطيب بن عبد السلام القادري الحسني

دراسة وتحقيق : قمر العبدلاوي معن

الطبعة الأولى

1445هـ/2023م



الزَّهر البَاسم والعُرف الناسِم في مَناقِب الشَّيخ سيِّدي قاسم ومآثر مَن لهُ مِن الأشياخِ والأتباعِ أهلِ المكارِمِ

" ١٠٠٢- ١٠٨٣هـ"

أو

تكميل النواصي بمآثر سيِّدي قاسم الخصاصي

أو

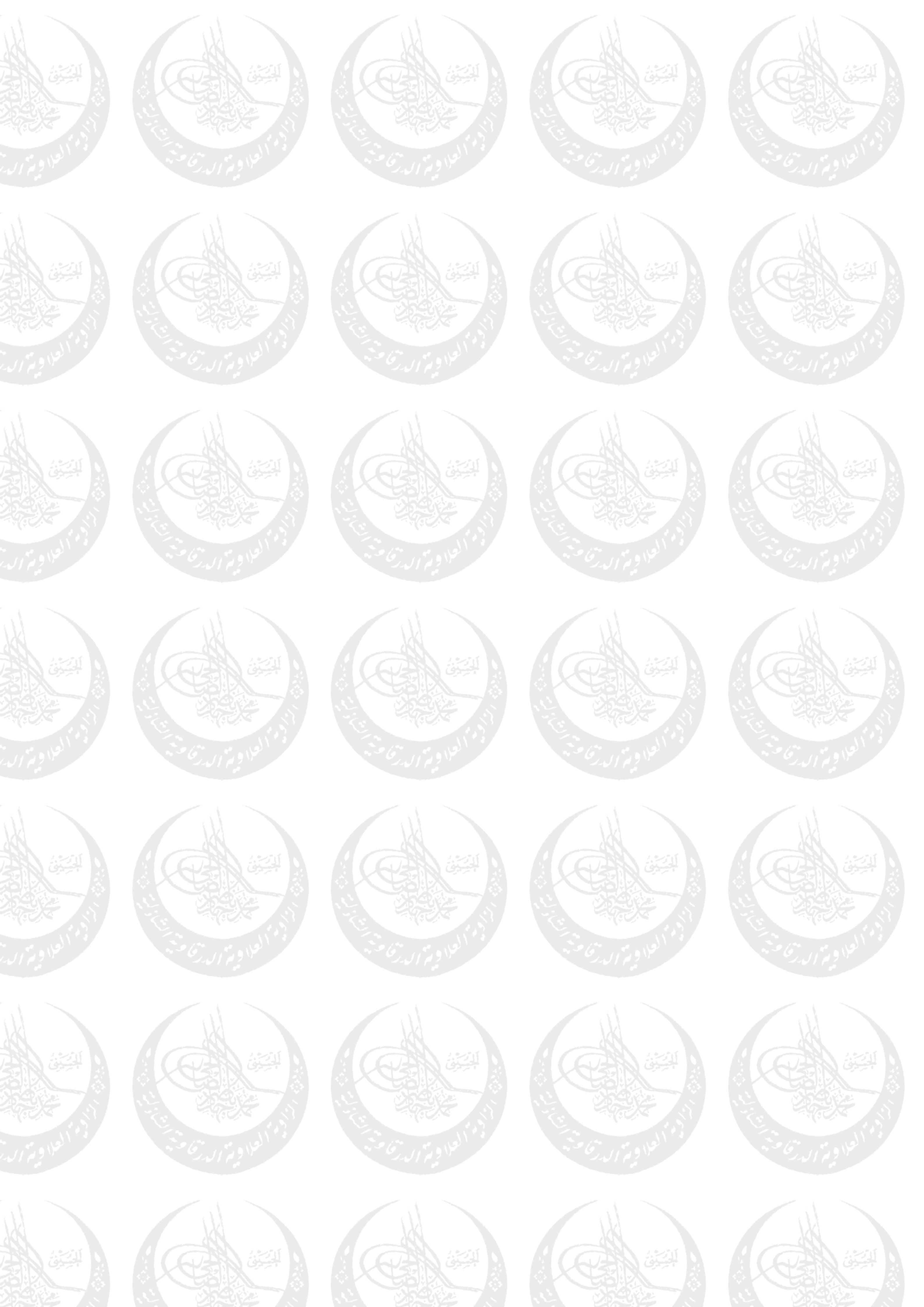
تعلُق العاصي بأذيال الشَّيخ قاسم الخصاصي

للمؤلف

مُحمَّد بن الطَّيب بن عَبدالسَّلام القادري الحَسني

" ١١٤٢- ١١٨٧هـ "

تحقيق وطبع الزَّاوية العلاوية الدَّرقاوية الشَّاذلية
بأشراف الشَّيخ مُحمَّد جهاد ناصر الصَّالحي
رضي الله عنهُ وقُدِّس سرُّهُ
م العراق – كركوك
١٤٤٢هـ - ٢٠٢١



المؤلف

أسرتهُ

هو العلامة المؤرخ الصوفي مُحمَّد بن الطيب القادري سليل أسرة من نسل الشَّيخ عبد القادر الجيلاني هاجرت من بغداد بعد سقوطها في يد المغول الى الكوفة ومنها الى الأندلس, ثم فاس بعد سقوط الأندلس في يد الأسبان.

ولادتُهُ

ولد سنة "1124هـ" بأحد أحياء فاس الرئيسية وهو من حي المخفية بعدوة الأندلس الذي يعد حيا سكنيا للأسر الفاسية ذات الأصل الاسباني.

أساتذتهُ

تفقه على يد جماعة من أشياخ وقته كأبي العباس ابن المبارك وأبي عبدالله مُحمَّد بن عبد السلام البناني وأبي عبدالله مُحمَّد بن حسين المصمودي ويرهم ولقي جماعة من الأشياخ كالدَّلائي والمدرع الأندلسي وعبد السلام التواتي, اشتغل بخطة العدالة والتوثيق وذلك بعد وفاة والده بين" 1152هـ-1157هـ " وسار في ذلك أحسن سيرة مما أكسبه ثقة الناس وإكبارهم واحترامهم له زاد من ذلك ما عرف به من الزهد والتقشف وكانت له رحلات وجولات في بعض ربوع البلاد مثل مدينة شفشاون وتطوان ولا يعرف له رحلة خارج المغرب.

مؤلفاتهُ

أَلَّف في الفقه و منحنى التاريخ والتراجم وأهمها " التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أعيان المائة الحادية عشر والثانية عشر," و " الزهر الباسم في ترجمة الشَّيخ الخصاصي قاسم " و المورد المعين في شرح المرشد المعين " و " الاكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج "و " الكوكب الصاوي في اكمال معتمد الراوي " الذي ألفه جده وتآليف كثيرة أخرى.

وفاتهُ

توفي رحمه الله عشية يوم الخميس "25 شعبان 1187هـ" ودُفن يوم الجمعة بعد صلاتها.

بسم الله الرَّحمن الرحيم

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيِّدنا مُحمَّدٍ وآله

المقدمة

يقول العبدُ الفقير الأحوج إلى رحمة الله الغني مُحمَّد بن الطيب بن عبد السلام القادري الحسني كان الله ولياً وبه حفيًّا وغفر له ولوالديه ولأشياخه وسائر من أحسن إليه وجميع المسلمين آمين.

الحمدُ لله الذي خصَّ مَن شاء من أوليائه بمقام محبوبيته وأصفيائه وجعلهم للمتقين أئمةً كراماً وأقامهم ملجأً للعباد ورحمةً للأرض والبلاد وفي نحور الظالمين سِهاماً ونُصلي ونُسلم على سيِّدنا مُحمَّدٍ إمام المتقين وخاتم الأنبياء والمرسلين، قطب دائرة الوجود السبب في كل موجود وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحابته الأئمة المهتدين مصابيحُ الأنوار ومفاتيحُ الأسرار والتابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد

فإن مفاخر الأَولياء ومآثر الأصفياء, مما تقِرُّ به الأعيُن وتعجزُ عن إحصائه الألسن, بيدَ أنه من أجلِّ النعمات إذ بذكرهم تتنزَّل الرَّحمات, وكيف لا وهم القومُ لا يشقى بهم جليسهُم ولا يألف بغيرِهم أنيسهم، ومن تحقَّق بحالةٍ لا يخلوا منها حاضروه ومَن نال رحمةً رجى منها ناظروه, وذكر المآثر من أنواع الحضور ومِن ملْقِحات الإيمان في الصدور, كما لا يخفى عند أهل ذلك مَر الأزمان والدهور, وأن الله ممَّا مَنَّ عليَّ بالوقوف على جملةٍ من كرامات الولي المجذوب المقرَّب المحبوب, الإمام العارف الكامل الموحِّد المُستغرق المحقق, ذي الإشارات العلية والحقائق السنيَّة, سيِّدنا قاسم بن أبي الفضل قاسم الخصاصي الأندلسي أصلاً الفاسي داراً

ومولداً ومنشئاً وضريحاً رضي الله تعالى عنه وأرضاه وجعلنا في حرزه وحماه.

وكان سيِّدنا الجد رحمه الله وهو العلاَّمة القدوة المُشارك المحقق المُتقي الحافظ, أبو مُحمَّد عبد السلام بن الطيب القادري الحسني لمَّا ألَّف كتابه المسمَّى " **بالمقصد الأحمد في شيخه الإمام سيِّدنا ابن عبد الله أحمد** " تلميذ سيِّدي قاسم المذكور ذكر أنه شرع في مؤلَفٍ في سيِّدنا قاسم السابق وأنه يُسمِّيه " **الزهر الباسم في مناقب الشَّيخ سيِّدي قاسم** " لكنه لم تنجزه له الأقدار ولا ساعدهُ به الزمان ولا القرار, ولم أعثر له على شيء أصلاً فتردَّدتُ في الإقدام على تفصيله ولازمني الاحجام العلمي بعجزي عن تحصيله, حتى أُتيح أن حملني عليه بعض حَفدةُ شَّيخ سيِّدنا قاسم المذكور ففتح الله الصدر لمَّا صعُب فيه من الأمور وأسميته " **الزهر الباسم أو العُرف الناسم في مناقب الشَّيخ سيِّدي قاسم ومآثر مَن له من الأشياخ والأتباع أهل المكارم** " وأُلخِّصُ القول فيه في ثمانية أبواب تفاؤلاً لمُطالعه بالجنَّة جعلها الله لنا أقرب مآب.

الباب الأول في كرامات الأولياء.

الباب الثاني في أوليته ونسبته وكيفية تحصيل طريقته عن مشايخه إلى نهايته.

الباب الثالث في ذكر بعض أحواله وبعض سَيره ومقاله.

الباب الرابع فيما وقفنا عليه منصوصاً عمَّن يوثَق به من كرامته وذكر عجائب من سيَرِهِ ومكاشفاته.

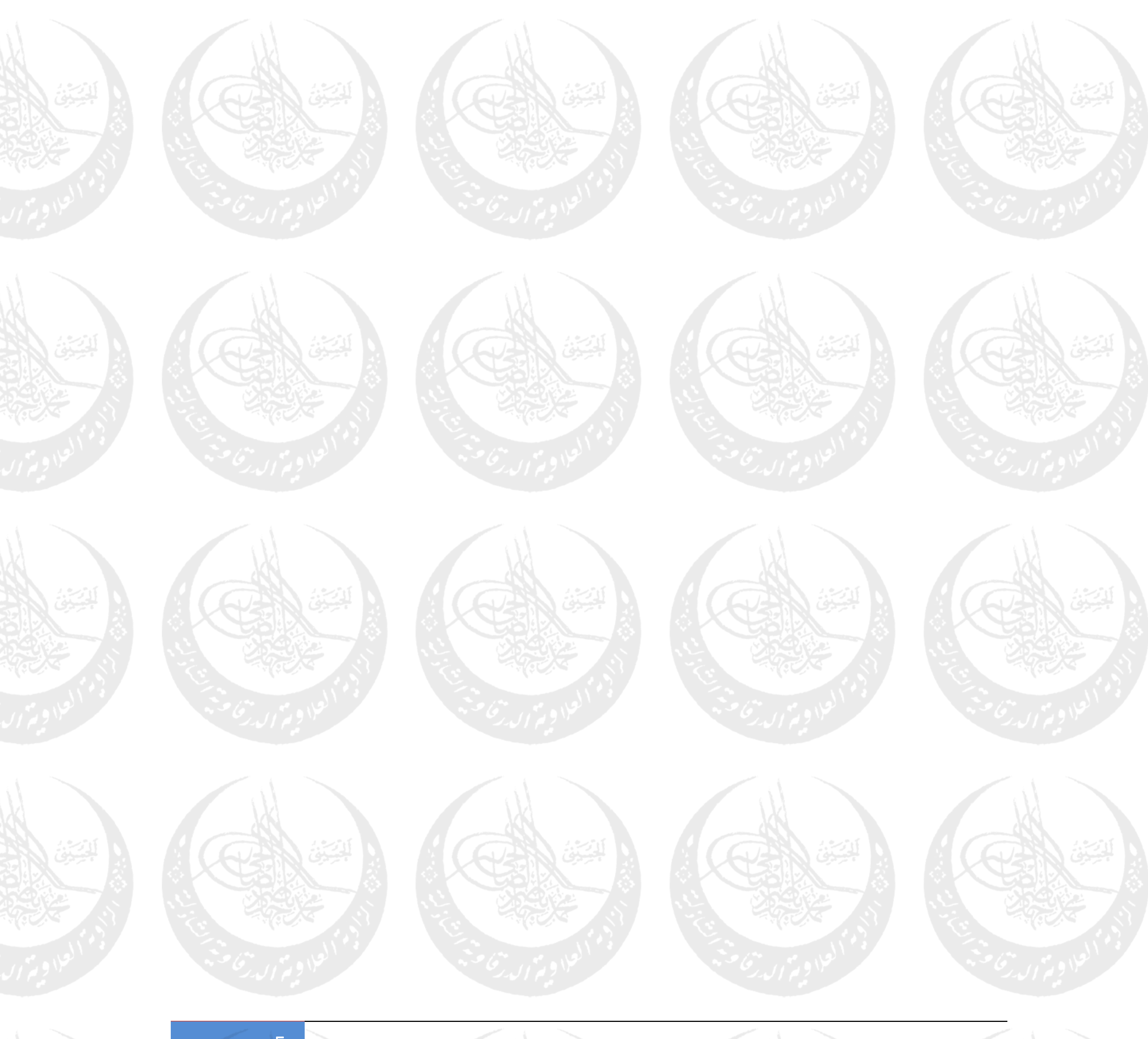
الباب الخامس في ذكر تراجم من وقفت عليه من مشايخه الكرام وما هو منصوص من أخبارهم للأئمة الأعلام.

الباب السادس في ذكر بعض مَن تخرَّج به أو نال مِن بركته وأدبه.

الباب السابع في رفعِ سندهِ لسيّدِ الأنام وجمعِ طرقهِ على التَّمام.

الباب الثامن في شيء من قدِرِ هذه الطائفة الكريمة وما لها عند الله من الرُتبة العظيمة.

وأستمد الله الإعانة على ذلك وأسأله التوفيق لما يرضاه من المسألة وأن يجعله من العمل النافع بعد الموت والأسباب التي لا تنقضي بالفوت, إنه على ما يشاء قدير وهو الكريم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



البابُ الأوَّل في نُصوصِ كراماتِ الأولياءِ وحَقيقتها ومَعنى الولايةِ ومَعرفتِها

أقتصر كثيرٌ ممَّن ألَّف في الصَّالحين على عدم ذكر هذا الباب, وإثباتُه أولى, فرُبَّما أُحتيج إليه فإن الخطر فيه عظيم.

قال في " **الإحياء** "[1] في كتاب الصلاة

" الطبع مجبول على إنكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقلٌ لأنكر إمكان وجود إنسان في مُتَّسع الهواء ولو كان للطفل تمييزٌ ما, لأنكر ما يزعُم العقلاء إدراكه من ملكوت السموات والأرض وهكذا الإنسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده، ومَن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النُبوَّة وهذا والعياذ بالله غاية الخُسران، فنسأل الله العظيم أن يمُنَّ، علينا برحمته إنَّه الحنَّان المنَّان.

وأقول والله المُستعان, وقعَ من كرامات الأولياء ما لا يُحصى وقد مُلِئت منها الدَّواوين وهي جائزة عند أهل السُنَّة وإنكارها بدعة كما نقله القاضي أبو بكر الباقلاني وإمام الحرمين والغزالي والقشيري والإمام الرازي ونصير الدين الطوسي والنَسفي والبيضاوي في " **الطَّوالع والمصباح** " وصرَّح به ابن رشد في " **الأجوبة** " ونصُّ كلامه

" إنَّ إنكارها بدعةٌ وضلالةٌ يُثبتها في الناس أهل الزيغ والتعطيل الذين لا يُقرُّون بالوحي والتَّنزيل ويجحدون آيات الأنبياء والمرسلين ".

وقال أبو تراب النخشبي

" من لا يؤمن بها فقد كفر ".

---

[1] . أحياء علوم الدِّين للإمام الغزالي

ودلائلها في والكتاب والسُنَّة تفيد القطع لو لم تقع كيف, وقد وقع منها ما لا يُحصى حتى صارت مشاهدة لعامة الناس.

أمَّا الكتاب فقصة أهل الكهف.

قال الزَّركشي

" ولم يكونوا أنبياء بإجماع, وقضية الخضر مع موسى عليه الصَّلاةُ والسَّلام وقصَّة ذي القرنين وهذه الثلاث كُلُّها منصوصة في سورةِ الكهف.

وما أخبر الله به تعالى عن مريم بقوله

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ..﴾[1]

قال ابن عبَّاس وغيره

" كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء"

وقوله تعالى

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[2]

ولم تكن نبيَّةً هي والخضر على الأصح.

وقصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه الصَّلاة والسَّلام في إحضاره عرش بلقيس قبل ارتداد الطَّرف كما قال الله عزَّ وجل

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فلما رَآَهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي... ﴾[3].

واختُلف في معنى قوله

﴿ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾

---

[1] . آل عمران 37

[2] . مريم 25

[3] . النمل 40

فقال سعيد بن جبير وقتادة

" معناه قبل أن يصل إليك من يقع طرفك عليه "

وقال مجاهد

" معناهُ قبل أن تحتاج إلى التغميض أي مدة ما يمكنك أن تَمُدَّ بصرك دون تغميض وذلك ارتداده.

وأمَّا السُنَّة فأخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ قالْ قالَ رسول الله ﷺ

" إنَّ الله يقول مَن عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبُ ممَّا افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرَّبُ إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّه فإذا أحبَبتهُ كنتُ سَمعهُ الذي يَسمع بهِ وبَصرهُ الذي يُبصر به ويَدهُ التي يَبطشُ بها ورِجله التي يمشي بها وإن استغاث بي لأَغيثنَّهُ وما تردَّدتُ في شيء أنا فاعله تردُّدي في قبضِ نَفسِ المؤمن يكرهُ الموت وأنا أكرهُ إساءته".

وحديث الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ

" كان جُريج رجلاً عابداً فاتَّخذ صومعةً فكان فيها فأتتهُ أُمُّهُ وهو يُصلِّي فقالت يا جُريج

فقال يا ربِّ أُمي وصلاتي

فأقبل على صلاته فانصرفت, تكرَّر ذلك فقد ثلاثاً, فقالت له أُمه في الثالثة

اللَّهُمَّ لا تُمتْهُ حتى ينظر إلى وجه المومسات

فتعرَّضت له امرأة بغِيٌ أي زانية, فلم يلتفت إليها فأتت راعياً كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها فحملت, فلمَّا ولدت قالت هو جُريج, فاستنزلوه من صومعته وهدموها وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم؟

قالوا زَنيت بهذا البغي فَولَدَتْ منك

فقال أين الصبي؟

فقال يا غُلام من أبوك؟

قال فلان الرَّاعي, فأقبلوا على جُريج يُقبِّلونه ويتمسَّحون به وقالوا أنَبني لك صومعتك مِن ذهب؟

قال لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا ".

والمومسات جمع مومسة وهي الفاجرةِ المجاهرة بالزنى فهو واوي الفاء, والميم الأولى زائدة وقيل أصلية مِن ماس الرجل أي لم يلتفت إلى موعظة.

وحديث الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار في الصحيحين أيضاً, ولفظ البخاري عن أبن عمر أن رسول الله ﷺ قال

" بينما ثلاثة نفر ممَّن قبلكم يمشون إذ أصابهم مطرُ فأوَوا إلى غار فانطبق عليهم, فقال بعضهم لبعض

إنَّا والله يا هؤلاء لا يُنجّيكم إلَّا الصِّدق فليدعُ كُل منكم بما يعلم إنه قد صَدَق فيه .

فقال أحدهم اللَّهُمَّ إنْ كُنت تعلم أنه كان أجيرُ عملِ لي على فَرقٍ من أرز فذهب وتركه, وإني عمدتُّ إلى ذلك الفَرق فزرعته فصار مِن أمره أني اشتريت منه بقراً, وأنه أتاني يطلُب أجره فقلت

اعمد إلى تلك البقر فسُقها

فقال إنما لي عندك فرق من أرز

فقلت اعمد إلى تلك البقر فإنها من ذلك الفَرَق فساقها

فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنَّا فانساخَت عنهم الصخرة.

فقال الآخر اللَّهُمَّ إن كنت تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران وكنت آتيهما كل ليلةٍ بلبن غنم لي, فأبطأتُ عنهما ليلةً فجئت وقد رقدا وأهلي

وعيالي يتضاغون من الجوع وكنت لا أسقيهم حتى يشرب أبواي, فكرهت أن أوقظهم وكرهت أن أدعهما فَيستكنا لشربتهما, فلم أزل أنتظر حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أني فعلت ذلك من خشيتك ففرِّج عنا فانساخت عنهم الصخرة حتى نظروا إلى السماء.

فقال الآخر اللَّهُمَّ إن كنت تعلم أنه كانت لي بنتُ عم من أحب الناس إليَّ وقد راودتها عن نفسها فأبت إلى أن آتيها بمائة دينار فطلبتها حتى قدرت فأتيتها بها فدفعتها إليها فأمكنتني من نفسها فلما قعدتُ بين رجليها قالت اتق الله ولا تفضِ الخاتم إلَّا بحقه فقمتُ وتركتُ المائة الدينار, فإن كنت تعلم أني فعلت من خشيتك ففرِّج عنَّا ففرَّج الله عنهم فخرجوا.".

وقوله فرَق بفتح الراء على الأشهَر وهو إناءٌ قدره ثلاثة أَصوعْ، وقوله يتضاغون بمعجمتين أي يصيحون، وقوله فانساخت عنهم الصخرة أي انحطَّت عن موضعها وانخسفت في الأرض ".

وحديث كلام البقرة في الصَّحيحين واللفظ للبخاري عن أبي هريرة قال

" صلَّى رسول الله ﷺ الصُّبح ثم أقبل على الناس فقال

بينما رجلٌ يسوق بقرةً إذ ركبها فضربها فقالت أنا لم أُخلَق لهذا إنما خُلقنا للحرث فقال الناس سبحان الله بقرةٌ تُكلِّم فقال فإني أُومن بهذا أنا وأبو بكر وعمر وما هَما ".

ثم وبينما رجلٌ في غنمه إذ عدا الذئب فذهب منها بشاة فطلبه حتى كأنه استنقذها منه فقال له الذئب هذا استنقذها مني فمن لها يوم السبع.

قال الداوودي

" معناه من لها يوم يطرقها السبع أي الأسد فتفرُّ أنت فيأخذ منها حاجته وأخلفه أنا لِما راعى لها حينئذٍ غيري, وقيل إنما يكون ذلك عند الاشتغال

بالفتن فتصير الغنم هملاً فيلتقمها السِّباع ويصير الذئب كالراعي لها لانفراده بها ".

وانظر ابن حجر وقول الصدِّيق ﷺ لعائشة

" **إنما هم أخواك وأُختاك**

فقالت أمَّا أخَواي فمُحمَّد وعبدالرَّحمن, وأمَّا أُختاي إنما هي أسماء

فقال ما أرى حمل بنت أبي خارجة الَّا أنثى, فكان كذلك " كما في الصحيح.

وقول عمر ﷺ " **يا سارية الجبل** "

وهو سارية زنيم خاطبةُ وهو على منبر النبي ﷺ بالمدينة ورَحى الحرب تدور بنهاوند فسمعه وأحرز جيشه بالجبل وسمع الجيش ذلك كما سمعه أهل مسجد المدينة.

وقصة خبيب في الصحيحين وقول التي أعارته الموس

" **لقد رأيته يأكل قطف عنب وما بمكة ثمر وإنه لموثق في الحديد** ".

وحديث البخاري عن أبي هريرة

" **أنَّ رجُلاً من بني إسرائيل سأل بعض بني إسرائيل أن يُسَلِّفه ألف دينار فقال أتني بالشهداء أشهدهم, فقال كفى بالله شهيداً, فقال أتني بالكفيل, قال كفى بالله كفيلاً, قال صدقت فدفعها إليه إلى أجلٍ مُسمى, فخرج في البحر فقضى حاجته ثم التمس مركباً يركبه يقدم عليه للأجل الذي أجلَّهُ فلم يجد مركباً, فأخذ خشبةً فنقرها فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه ثم زجَّ موضعها ثم أتى بها البحر فقال**

" **اللَّهُمَّ إنك تعلم أني تسلَّفتُ من فلان ألف دينار فسألني كفيلاً فقلت كفى بالله كفيلاً فرضى بك, وسألني شهيداً فقلت كفى بالله شهيداً فرضى, وأني جهدت أن أجد مركباً أبعث إليه الذي له فلم أقدر وأني استودعتُكها ,**

فرمى بها في البحر حتى ولِجت فيه ثم انصرف وهو على ذلك يلتمس مركباً يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعلَّ مركباً قد جاء بماله, فإذا بالخشبة الذي فيها المال فأخذها لأهله حطباً, فلما نشرها وجد المال والصحيفة ثم قدِم الذي أسلفه فأتى بألف دينار وقال والله ما زلت جاهداً في طلب مركب ولأتيك بمالك فما وجدتُ مركباً قبل الذي أتيت فيه قال فإنَّ الله قد أدى عنك الذي بعثت والخشبة فانصرف بالألف دينار راشداً "

وقوله زجَّ موضعها لعلَّ معناه سمَّرها بمسامير كالزج أو حاشاً شقوق لصاقها ودفعه بالزُج, والزُج الحديد في أسفل الرمح.

وأحاديث أويس القرني المُخرَّج بعضُها في صحيح مسلم وبعضها في حلية أبو نُعيم وفي المتفق عليه

" قد كان في الأمم مُحدَّثون فإن يكن في أُمتي مُحدَّثون فعمر بن الخطاب منهم ".

وفي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة

" والذي نفسي بيدك ما لقيك الشيطان سالكاً فجَّاً إلَّا سلك فجَّاً غير فجِّك خطاباً لعُمر".

والفج, الطريق الواسع ويقال لكل منخرق بين جبلين فج, ومنه الآية

﴿ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[1]

وهذا هنا استعارة لاستقامة رأيه وإنها بعيدة عن الباطل وزيغ الشيطان, وقد يكون بمعنى الاستعارة للهيبة والرهبة وهو دليل بساط الحديث أو على وجهه وأن الشيطان يهابه ويهرب منه متى لقيه

قال مقيدة " ولا مانع من الجميع ".

---

[1] . الحج 27

وقوله ﷺ

" **أتدرون مَن السائل قالوا الله ورسوله أعلم, قال إنه جبريل جاءكم يعلمكم دينكم** "

وتكرَّرت رؤية خديجة أُم المؤمنين جبريل.

وفي مسلم

" **إن الملائكة كانت تُسلم على عمران بن حُصين** ".

وفي الشفا

" **أنها كانت تُصافحه** ".

وفي الصحيحين

" **قرأ رجل سُمِّي في غيرهما أسيد بن حضير سورة الكهف وإلى جانبه حصان مربوط فتغشَّتهُ سحابة فجعلت تدنوا وتدنوا وجعل فرسه ينفر, فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال تلك السكينة نزلت بالقرآن** ".

وفي بعض الروايات

" **لو دُمتَ على قراءتك لأصبحتَ والناس ينظرون إليها** "

وقوله السكينة قيل هي الرَّحمة وقيل الطمأنينية وقيل الوَقار وما يسكُن به الإنسان, مُخففة الكاف وحُكي تشديدها ويحتمل التي نزلت لقراءة القرآن التي ذكر الله تعالى بقوله فيه

﴿ **فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ** ﴾[1]

وعليه فقيل أنها شيء كالريح, وقيل خلقٌ له وجه كالإنسان, وقيل روح من الله تكلّمهم وتُبيّن إذا اختلفوا في شيء وقيل غير هذا.

وقضية أسيد بن حُضير وعبَّاد بن بشر في الصحيحين أيضاً عن أنس

---

[1] . البقرة 248

" أنهما خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمةٍ فإذا نورٌ بين أيديهما حتى تفرَّقا, فتفرَّق النُّور معهما ".

وقصة سعد بن أبي وقاص في سُرعة إجابة الدَّعاء كما في الحديث الصَّحيح واللَّفظُ للبُخاري عن جابر بن سَمره في كتاب الصلاة قال

" شكى أهل الكوفة سعداً إلى عمر فعزله واستعمل عليهم عماراً, فشكوه حتى ذكروا أنه لا يحسن أن يُصلي فأرسل إليه فقال

" يا أبا إسحاق إنَّ هؤلاء يزعمون أنك لا تُحسن أن تُصلي "

فقال

" أما أنا والله إن كنت لأُصلي بهم صلاة رسول الله ﷺ ما أخرم عنها أصلي صلاة العشاء فأركد في الأوليين وأُخفِّف في الأُخريين "

قال " ذلك الظن بك يا أبا إسحاق "

فأرسل معه رجلاً أو رجالاً إلى أهل الكوفة يسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجد إلَّا سأل عنه ويثنون معروفاً حتى دخل مسجد النبي ﷺ لبني عبس فقال رجل منهم يُقال له أسامة بن قتادة يُكنى أبا سعدة قال أمَّا إذا أنشدتنا فإنَّ سعداً كان لا يسير بالسَّرية ولا يُقسم بالسوية ولا يعدل بالقضية, قال سعد أما والله لأَدعونَّ بثلاث

" اللَّهُمَّ إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياءً وسُمعةً فأطل عمره، وأطل فقره، وعرِّضه بالفتن ".

وكان بعد إذا سأل يقول شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد

قال عبد الملك

" وأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكِبر وإنه ليتعرَّض للجواري يغمزهُن "

وعبد الملك هو ابن عُمير الكوفي أحد رُواة الحديث المحتَج بهم في الصحيحين وغيرهما.

وقوله لا أخرم بفتح الهمزة ومعناه أترك أو انقص, وأصل الخرم العدول عن الطريق، وقوله فأركد في الأوليين أي أسكن, وأقل الحركة يريد بذلك تطويلها كما في الرواية الأخرى أمرٌ في الأولَيَين وأخفف في الأخرَيين

وفي الموطَّأ عن وهب بن كيسان عن جابر بن عبدالله أنه قال

" بعث رسول الله ﷺ بعثاً قِبل الساحل فأمَّر عليهم أبا عبيدة بن جراح وهم ثلاثمائة قال وأنا فيهم.

قال فخرجنا حتى إذا كُنَّا ببعض الطريق فنى الزاد فأمر أبو عبيدة بأزواد ذلك الجيش, فجمع ذلك كلُّهُ وكان مزودي تمر.

فقال فكان يقوّتنا كل يوم قليلاً قليلا حتى فنى ولم تصبنا إلَّا تمرةٌ تمرة.

فقلت وما تُغني تمرة.

فقال وجدنا فقدها حيث فنيت, قال فانتهينا إلى البحر فإذا حوت مثل الظَرِب فأكل منه ذلك الجيش ثمان عشرة ليلة ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنُصبا ثم أمر براحلة فرحلتا ثم مرَّت تحتهما ولم تصبهما ".

قال مالك, الظَرِب, الحبيل[1] يعني الصغير فاكتفى بوصفه بتصغيره، وظَرِب بمشالة, بوزن كتف.

وفي " **الموطأ** " أيضاً عن يحيى بن سعيد

" أن عمر بن الخطاب قال لرجل ما أُسمك؟ فقال جمرة, قال ابن مَن؟ قال ابن شِهاب, قال ممَّن؟ قال مِن الحرقة, قال أين مسكنك ؟ قال بحرَّة النَّار, قال بأيِّها؟ قال بذات لظى, قال عمر أدرك أهلك فقد احترقوا, قال فكان كما قال عمر".

---

[1] . الحبيل مصيدة مصنوعة من حبال يؤخذ بها للصيد

وخرَّج البخاري في صحيحه عن هشام بن عروة قال

" كانت امرأةً تغشى عائشة قالت عائشة وقلَّما كانت تجلس عندي إلَّا تمثلت بهذا البيت.

ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا　　　ألا إنه من بلدة الكُفر أنجاني

فقالت عائشة ما هذا البيت قالت شّهِدتُّ عروساً في الجاهلية ووضعوا وشاحها وأدخلوها مُغتسلها فأبصرت الحدَّأة حُمرة الوشاح فانحطَّت عليه فأخَذَتْه, قالت فاتهموني وفتشوني حتى فتشوا في قُبُلي, قالت فدعوتُ الله حتى بَرَّأني منهم فجاءت الحدَّأة بالوشاح طرحته في وسطهم وهم ينظرون".

وفي الصحيحين عن عبدالرَّحمن ابن أبي بكر الصدِّيق ﵄

" أنَّ أصحاب الصُفَّة كانوا أُناساً فقراء وأنَّ النبي ﷺ قال مرةً مَن كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس بسادس أو كما قال, وأنَّ أبا بكر ﵁ جاء بثلاثة وانطلق النَّبي ﷺ بعشرة وأنَّ أبا بكر تعشَّى عند النبي ﷺ ثم لبث حتى صلَّى العشاء ثم رجع, فجاء بعد ما مضى من اللَّيل ما شاء الله, قالت امرأته ما حَبسك عن أضيافك ؟

قال أو ما عشيتهم قالت أبوا حتى نخبئ وقد عرضوا عليهم, قال فذهبت أنا فاختبأت فقال يا غنثر[1] فجزع وسبَّ وقال

" كلوا لا هنيئاً " وقال " والله لا أطعمه أبداً " قال " وأيمُ الله إن كنا نأخذ لقمةً إلَّا رَبَا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا وصارت أكثر ممَّا كانت قبل ذلك " فنظر إليها أبو بكر فقال لامرأتِه يا أخت بني فراس ما هذا قالت لا

[1] لئيم

وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات, فأكل منها أبو بكر وقال " إنما كان ذلك من الشيطان " يعني يمينه, ثم أكل منها لقمة ثم حملها إلى النَّبي ﷺ فأصبحت عنده وكان بيننا وبين قومٍ عهدٌ فمضى الأجل فعرفنا اثنى عشر رجلاً مع كل واحد منهم أُناس الله اعلم كم مع كل رجُل فأكلوا منها أجمعون ".

وفيه روايات بألفاظ مختلفة كلها في الصحيح.

فهذه نصوص ستةٌ وعشرون ليس فيها إلَّا آيةٍ أو حديث متفق عليه أو صحيح ولو انفرد واحد منها لكفى, ومَن تتبَّع الصِّحاح وجد أكثر من هذا، وأما النازل عن مرتبة الصحيح من كرامات الأولياء فلا يُحصى كثرة ونذكر النزر منه.

أخرج ابن أبي الدُنيا عن أبي عبدالرَّحمن بن عوف

" أنَّ امرأةً كانت تطلع على سعد بن أبي وقاص فنهاها فلم تنته فأطَّلعت عليه يوماً وهو يتوضأ فقال

ساء وجهك فعاد وجهها في قَفاتها ".

وأسند الزبير بن بكار إلى ابن عمر ﷺ

" أنَّ مروان أرسل إلى سعيد بن زيد أُناساً يكلِّمونه في شأن أروى بنت أويس وكانت شكته إلى مروان بن الحكم فسأله مروان عن ذلك فقال

أترون أني ظلمتُها حقَّها وقد سمعتُ النبي ﷺ يقول مَن ظلم شبراً من الأرض طوَّقهُ يوم القيامة بسبع أرضين, فألزمه مروان اليمين فمكَّنها ممَّا ادَّعت وقال

اللَّهُمَّ إن كانت كاذبة فلا تَمُتْها حتى تعمي بصرها وتقتلها في دارها، وفي رواية وتجعل قبرها في دارها وفي رواية في بئر، قال الزبير في

حديثه فو الله ما ماتت حتى عُميَ بصرها وجعلت تمشي في دارها فوقعت في بئرٍ لها فكانت قبرها.

قال الزبير في حديثه ثم أتى السيل بعد ذلك فكشف عن الضفيرة التي كانت بينهما فخرج الأمر كما قال سعيد فجاء سعيد إلى مروان فأقسم عليه لتركبن معي ولتنظرن إلى ضفيرتها فركب معه مروان وناسٌ معه حتى نظروا ضفيرتها "[1].

وقصة استسقاء سيِّدنا عمر بسِيِّدنا العباس عم رسول الله ﷺ ورضي الله عنهما وهي في البُخاري مختصرة وغيره مطوله.

قال الحافظ أبو عمر بن عبد البِر

" وكان سببُ ذلك أنَّ الأرض قد أجذبت جذباً شديداً على عهد عمر سنة سبع عشر فقال كعب يا أمير المؤمنين أنَّ بني إسرائيل إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء فقال عُمر هذا عمُّ النبي ﷺ وصِنو أبيه فشكى إليه وصعِد المِنبر ومعه الناس فقال

" اللَّهُمَّ إنَّا توجَّهنا إليك بعمِّ نبينا وصنو أبيه فاسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين "

ثم قال يا أبا الفضل قم فادعُ فقام العباس فقال بعد الحمد والثناء عليه

" اللَّهُمَّ إنَّ عندك سحاباً وماءاً فانشر السَّحاب ثم أنزل الماء منه علينا فأشدُد به الأصل وأطل به الفرع وأدر به الضَّرع اللَّهُمَّ أنك لن تنزل بلاء إلَّا بذنب ولم تكشفه إلَّا بتوبة وقد توجه القوم بي إليك فأسقنا الغيث، اللَّهُمَّ شفِّعنا في أنفسنا وأهلينا، اللَّهُمَّ إنَّا شفعاءُ مَن لا ينطقُ من بهائمنا وأنعامنا، اللَّهُمَّ اسقنا سقياً وادعاً نافعاً طبقاً سحاً عاماً، اللَّهُمَّ لا

---

[1] . مختصر صحيح مسلم

نرجوا إلّا إياك اللَّهُمَّ إليك نشكو جوع كل جائع وعُري كل عارٍ وخوف كلَ خائف وضعف كل ضعيف ".

فأرخت السماء عن الماء فجاءت بأمثال الجبال حتى استوت الحُفر بالآكام وأخصَبت الأرض وعاش الناسُ فقال عُمر هذا والله الوسيلة إلى الله " انتهى.

قال أبو عمر

" وهذه الألفاظ لم تجئ في حديث واحد ولكنها جاءت في أحاديث جمعتها واختصرتها ولم أُخالف شيئاً منه ".

وفي الحلية لأبي نعيم بسنده

" دخل ثابت البناني على مطرف بن عبدالله بن الشخير وهو مُغمى عليه فسطع نور من رأسه ومن وسطه ومن قدميه فأفاق قال ما هذا قال أوَقَد رأيت قال نعم قال تلك تنزيل السجدة سطع أولها من رأسي, ووسطها من وسطي, وآخرها من قدمي وقد صُورت تشفع لي فهذا ثوابها يحرسُني, ذكره في ترجمة مطرف ".

وتقدَّم في " مسلم

" أنَّ الملائكة كانت تُسلمُ على عمران بن حُصين وفي غيره كانت تُصافحه ".

وفي " **الحلية** " أيضاً عن ربعي بن حراش بالحاء المهملة والشين المعجمة كما في المشارق، والمقدمة العبسي أحد أعلام التابعين

أنَّ أخاه الربيع تكلم بعد موته ونصُّهُ

" حدَّثنا القاضي أبو أحمد مُحمَّد بن إبراهيم قال علي بن العباس البجلي قال حدثنا جعفر ابن مُحمَّد بن رباح الأشجعي قال أبي عن عُبيدة عن عبد الملك بن عُمير عن ربعي بن حراش قال

" كنا أربعة أُخوة وكان الرَّبيع أخونا أكثرنا صلاةً وأكثرنا صياماً في الهواجر وأنه توفي فبينما نحن حوله وقد بعثنا من يبتاع له كفناً إذ كشف الثوبُ عن وجهه فقال

" السلام عليكم "

فقال القوم " وعليكم السلام يا أخا بني عبس أبعد الموت " ؟

قال " نعم إني لقيتُ ربي عزَّ وجل بعدكُم فلقيته رباً غير غضبان واستقبلني برَوحٌ وريحان وإستبرقٍ ألا وإن أبا القاسم ﷺ ينتظر الصلاة عليَّ فعجِّلوني ولا تؤخروني ".

ثم كان بمنزلة حصاة رمي بها في طست فنُمي الحديث إلى عائشة فقالت

" أما أني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول يتكلم رجلٌ من أُمتي بعد الموت "

انتهى.

قال علي وكان مُحمَّد بن عمر بن علي الأنصاري حدَّثنا به عن جعفر ثم سمعناه من جعفر هذا حديث مشهور رواه عن عبد الملك جماعة منهم أسماعيل بن أبي خالد وزيد بن أبي أنيسة والثوري وابن عُيينة وجعفر بن عمر والمسعودي ولم يرفعه أحدٌ إلَّا عبيدة بن حميد عن عبد الملك.

ورواه المسعودي نحوه في الرفع، حدَّثناه أبو علي مُحمَّد بن أحمد بن الحسن قال مُحمَّد بن يحيى ابن سُليمان قال عاصم بن علي قال المسعودي عن عبد الملك بن عمير عن ربعي ابن حراش قال

" مات أخٌ لي فسجيناه فذهبت في التماس كفنه وقد كشف الثوب عن وجهه وهو يقول

" ألاَ أني لقيتُ ربي فتلقَّاني بِرَوحٌ وريحان وربٌ غير غضبان وأنه كساني ثياباً خضراً من سُندُسٍ وإستبرقٍ وإنَّ الأمر أيسرُ ممَّا في أنفُسِكم فلا تغتَرُّوا وعدني رسول الله ﷺ أن لا يذهب حتى أُدركه ".

قال فما شبَّهتُ خروج روحه إلَّا كحَصاةٍ أُلقِيت في ماء فرسبت, فذكر ذلك لعائشة رضي الله عنها فصدَّقت بذلك وقالت

" قد كُنَّا نتحدَّث أنَّ رجُلاً من هذه الأمة يتكلم بعد موته، قال وكان أقومنا في الليلة الباردة وأَصومَنا في اليوم الحار".

حدَّثنا عثمان بن مُحمَّد العُثماني قال حدثنا مُحمَّد ابن الحسين بن مكرم قالنا مُحمَّد بن بكار بن الريان قالنا جعفر بن عمر بن عبد الملك بن عمير عن ربعي بن حراش قال

" كنا أُخوة ثلاثة وكان أعبدنا وأصومنا وأفضلنا الأوسط منَّا فغبت عنه إلى السواد ثم قدمت فقالوا أدرك أخاك فإنه في الموت فذكر نحوه " انتهى كلام " **الحلية** ".

قال مقيدهُ وربعي هذا المذكور عند صاحب " **الحلية** " سمع عُمر وابن مسعود وعلياً وحذيفة وأبا بكر وعمران بن حُصين.

قال الذهبي وغيره " هو حُجةٌ قانتٌ ".

وذكر الخطيب بسنده أنه آلى على نفسه أن لا تفتر أسنانه ضاحكاً حتى يعلم أفي الجنة هو أم في النار فما ضحك إلَّا بعد موته, وكذلك فعل أخوه فلم يضحك إلَّا بعد موته، وأخوه ربعي الذي تكلَّم بعد موته اسمه سليمان ولهما أخٌ آخر اسمه الربيع حلف أيضاً أن لا يضحك حتى يعرف أفي الجنة هو أم لا فقال غاسله أنه لم يزل مبتسماً على سريره حتى فرغنا من غسله نقله في " **معونة القارئ** ".

وعبد الملك ابن عُمير هو الكوفي رأى علياً وسمع جريراً والمُغيرة والنعمان بن بشير وعنه شعبة والسُفيانان أخرج حديثه أصحاب الكُتب الستة مات سنة ستاً وثلاثين ومائة والرَّواي عنه عبيدة بن حميد هو الكوفي الحدا عن الأسود ابن قيس ومنصور وعبد الملك السابق وعنه أحمد وهناد وخلقٌ كثير توفي سنة تسع ومائة.

والمسعودي المذكور في الطريق الآخر من كبار العلماء إلَّا أنه اختلط كما في ألفيةَ الزين العراقي وغيرها ولا رواية له في الصحيحين وهو عبدالرَّحمن بن عبدالله بن عتبة بن عبدالله بن مسعود الهُذلي الصحابي المشهور الجليل.

والكلام على أحاديث هذا الباب يطول لا يسعه هذا المحل فاقتصرنا منه على ما يتعلَّق باللغة من كلام القاضي عِياض في " **المشارق** " ولنصرف القول إلى حقيقة الكرامة والفرق بينها وبين المعجزة فأقول وبالله أستعين.

الفرقُ بينَ الكرامة والمُعجزة

فالكرامة لغةً قال الجوهري

" التكريم, والإكرام بمعنى, والاسم منه الكرامة, ويقال حَمل إليه الكرامة وهي النُزُل, والنُزُل ما يُقدَّم للضَّيف ".

وأمَّا الاصطلاح فقال العالِم المُحقِّق أبو العباس أحمد بن مُحمَّد العزفي اللخمي

" هي كلُ فعلٍ خارقٍ للعادة ظهر على يد عبد ظاهر الصلاح في دينه متمسكٍ بطاعة الله تخصيصاً له وتفضيلاً وأجمعوا أنها لا تظهر على يد فاسق ".

قال القاضي أبو بكر بن الطيب الباقلاني رحمه الله

" واختلف أئمتنا في ظهور الكرامة هل تدل أنَّ من ظهرت عليه وليُ الله تعالى أم لا, فمِن صائر إلى أنها تدلُّ على أنهُ وليُّ الله كما تدلُّ على تمسُّك صاحبها في الحال بطاعة الله تعالى, إذ لا يُكرِم الله تعالى بها إلَّا ولياً أو نبياً ثمَّ تدلُّ على أنَّ صاحبها يُختمُ له بالسعادة إذ لو لَم يكُن كذلك أو كان مِمَّن علِم الله أنهُ سيُختَم لهُ بالشَّقاوة لَمَا أكرمهُ بما ظهرَ على يديهِ وكانَ حُكمهُ كحُكمِ عَدوِّ الله، وصار آخرون إلى أنها لا تدل على أمنٍ في العاقبة, وهذا هو الأصحُّ والأوضحُ إذ لو دلَّت على ذلك لاستيقنَ السَّعادة وركَنَ إلى عِلمها وهذا مِمَّا منعهُ الصَّدرُ الأوَّل وأطبقوا على أنهُ لا أمنَ مِن مُطيعٍ مِن مَكرِ الله " انتهى كلام العزفي بلفظهِ.

قال القاضي الباقلاني

" اتَّفقَ الفِرَق مِن أصحابِنا أنَّ الكرامة لا تَدلُّ على العِصمة ولا على صِحَّةِ لهجةِ مَن ظَهرت عليه "

قال العزفي

" وهو صحيح ولكنها إنْ لَم تدُلَّ على عِصمتهِ دلَّت على حِفظهِ واستقامةِ حالهِ ولا يزري بذلك ظهور بعض الصغائر كالعدالة, والأكثر من المحققين أنَّ الكرامة لا تقع اختياراً للولي ولو قصد وقوعها لَم تقع وفرقٌ بهذا بين المعجزة والكرامة ".

قال إمام الحرمين

" هذه الطريقة غير مرضية عند المحصلين, بل السَّديد أن لا يمتنع وقوع الكرامة على مراد الولي وارتياده وقصده, وبالوجه الذي يجوز وقوعها مع غير اختياره يجوز وقوعها مع اختياره ".

ثم تنفصل المعجزة من الكرامة مع ذلك من وجوه

منها أنَّ الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام مأمورون بإظهار المعجزة والأولياء مأمورون بإخفاء الكرامة.

ومنها أنَّ النَّبي يذيعُ ذلك ويقطع به والولي لا يذيعها ولا يقطع بكرامته لجواز أن يكون ذلك مكراً.

قال مقيدُهُ, وهو في حالة الولاية لا يجري على ما سبق من إنَّ الكرامة لا تظهر على يد فاسقٍ إلَّا أن يُراد تجويزه هو خصوصاً, وقد تقدَّم قريباً أنها لا تدلُّ على أمنِ العاقبة على الأصحُّ.

ومنها أنَّ المعجزة تختصُّ بالأنبياء والكرامة للأولياء, ولا تكون للأولياء معجزة لأنَّ المعجزة اقتران دَعوى النُّبوة, ولم تكن المعجزة مُعجزة لعينها وإنما كانت معجزة لحصولها على أوصافٍ كثيرةٍ فمتى اختلَّ شرطٌ من تلك الشروط لا تكون معجزة وأحرى تلك الشَّرائط دعوى النبوة.

والولي لا يدَّعي النبوة فالذي يظهر لا يكون معجزة, قاله سيف السُنَّة القاضي أبو بكر الباقلاني حكاه عنه الأستاذ القُشيري وقال

" هذا الذي نعتمده ونقول به بل نُدين به ".

ثم اختلف العلماء هل تعمُّ الكرامة سائر الخوارق؟ وهو مُختار النووي ونصُّهُ في باب البِر والصلة مِن شرح مسلم

" أنَّ الكرامة تجوز بخوارق العادات على اختلاف أنواعها ومَنَعهُ بعضهُم وادَّعى أنها تختصُّ بمثل إجابة دُعاء ونحوهِ وهذا غَلطٌ مِن قائلهِ وإنكارٌ للحسّ بلْ الصَّوابُ جَريانِها بقلبِ الأعيان ونحوهِ " انتهى.

وفصَّل ابن بطَّال في شرحِ البُخاري بيَّن زمانُ الأنبياء فقال في حديث خُبيب المُتقدِّم بعضهُ

" وهذا يُمكن أن تكون آية الله تعالى على الكُفَّار وبُرهاناً لنبيِّهِ ﷺ من أجلِ ما كانوا عليهِ مِن تكذيبهِ, فأمَّا مَن يدَّعي اليوم مثل هذا بينَ ظَهراني

المُسلمين فليسَ لذلك وجهٌ إذ المُسلمون قد دخلوا في دين الله أفواجاً فأي معنى لإظهار آيةٍ عندهم, ثم قال بعد كلام إلَّا أنْ يكون مِمَّا لا يَخرقُ عادة ولا يَقلبُ عيناً مِثل إكرام الله عبدهِ بإجابةِ دعوةٍ في أمرٍ عسير ودفعِ بأسٍ نازلٍ وهو غَلطٌ وإنكارٌ للحسّ كما في نصّ النَّووي المُتقدِّم آنفاً، وحُمِل على هذا ما حُكيَ عن الشَّيخ أبي مُحمَّد بن أبي زيد مِن إنكارِ الكراماتِ أي إنكارِ قلبِ الأعيانِ خاصةً ".

قال مقيدهُ " والنُّصوصُ المُتقدِّمة وغيرُها صريحةٌ في نقيضهِ "

فالحاصل إنَّ في ذلك ثلاثةُ أقوال

التَّعميم في سائر الخوارق وفي كل زمانٍ وهو مَذهبُ الجمهور.

والتَّخصيصُ بما كانَ معجزةً لنبي لا يكون كرامةً لولي وهو مَذهبُ أبي إسحاق الإسفرائني وإمامُ الحَرمين والامري.

والتَّفصيلُ بين زمن النُّبوة يكون فيه الخارق دون غيرهِ لا يكون فيه إلَّا إجابة الدعاء أو دفع بأس, ثُم مُطلقُ الخارق لا يدلُّ على الولاية.

قال شهاب الدين السهروردي

" ومَن ظهرَ على يده شيءٌ مِن الخوارق وهو على غير الالتزام بأحكامِ الشَّريعة فهو زنديق والذي ظهرَ لهُ مكرٌ واستدراج ".

قال الإمام الزركشي في شرح " **جمع الجوامع** " قال بعضهم

" وقد يكون مَن لَم يُكشف لهُ أفضلُ مِمَّن كُشِف لهُ وهذهِ غريبةٌ وفَسَّر ذلك أنَّ الذي يُكاشَف لهُ بشيءٍ مِن القُدرة وخَرق العادة إنما يُكاشَف به ليُقوى إيمانهُ ويُثبِت جنانهُ, وفوق هؤلاء أقوامٌ ارتفعت الحُجب عن قلوبهم وباشَر بواطنهِم روحُ النَّفائس وصَفو المَعرفة فلا حاجةَ لهُم إلى مَردَّ مِن الحوادث, وبهذا المعنى لم يكثُر في الصحابة الكراماتِ كثرتَها فيمَن بعدهُم لأنَّهم ببركةِ مُجالستِهم للنَّبي ﷺ ومُشاهدتهم نزول الوحي وتَردُّد المَلائكة في

مهابِط الكرامات تنوَّرت بواطنهُم وعاينوا الآخرة وزهدوا في الدنيا وزُكِّيت نفوسهُم وانطلقت مَرائي قلوبهُم فاستغنوا بما أُعطوا عن ذلك ".

قال علي ﷺ

" **لو كُشف الغِطاء ما ازدَدتُ يقيناً** ".

وأمَّا المُستغرق لهُ قُدرة فيقوى يقينهُ لأنه مَحجوبٌ بالحِكمة عنِ القُدرة, قال ومِن هذا المَعنى قولُ بعضهِم وهو الجُنيد

" مشى على الماء أقوام بيقينهِم وماتَ مِن العَطش أقوامٌ أقوى منهُم يقيناً، قال والسِرُّ فيه أنَّ الذي كوشِفَ بالقُدرة والآيات كان في استعدادهِ ضَعفٌ فكوشِف ليَقوى يقينهُ, ومَن رُزِقَ كمال الاستعداد لَم يَحتج إلى كمالِ النَّقص بل يَكشِف القُدرة برفعِ حجابِ الجشمة ليزداد يقينهُ في مَطاوي الانكسار, والانفصال هو غايةُ الاتِّصال فيقولُ بعضهم

" الاستسلامُ عندَّ التَّناهي جرأة والانبساطُ في مَحلِّ الأُنسِ غِرَّة, واللّيِاذُ بالهَرب مِن عِلم الدُّنو صِلة " انتهى كلام الزركشي.

وقال الشَّيخ خليل في تأليفهِ في شيخه سيّدي عبدالله المَنوفي ما نصُّهُ

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمهُ الله تعالى

" إيمانُ الصَّحابة كانَ قوياً فما احتاجوا إلى زيادةِ تَقوى, وأيضاً فإنَّ الزَّمان الأوَّل كثيرُ النُّور لا يفتقدون لزيادةٍ ولَو حَصلَت لَم تَظهر لاضمحلالها في شَمسِ النُّبوة بخلافِ ما بَعدهُم, ألَا ترى الى القِنديل لا يظهرُ نُورهُ بينَ القناديل بخلافِ الظَّلام والنُّجوم لا يَظهرُ لَها ضوءٌ معَ الشَّمس ".

ولهذا قالَ بعضُ المَشايخ في مَريم بنتِ عِمران رضي الله عنها

" إنها كانت في بدايتها يتعرَّف إليها بخرقِ العادات بغيرِ سَببِ تقويةٍ لإيمانِها فكانت كُلَّما دَخلَ عليها زكريَّا المِحراب وجدَ عِندها رِزقاً ولَمَّا قَوى إيمانُها رَدَّ إليها التَّسبُّب فقيلَ لها

﴿ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[1]

ولهذا سألَ مُوسى رَبَّهُ كمالَ قوَّتهِ بقولهِ

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾[2]

قال علي وغيرهُ

" واللهِ ما طَلبَ إلَّا خُبزاً يأكلهُ فَتسبَّبَ ونادى باسمِ الرُّبوبية لأنَّ الرَّب مَنْ رَبَّاك بإحسانهِ وغَذَّاك بامتنانهِ وهذا باعتبارِ كثرةِ ما يقعُ مِن الخَوارقِ للأولياءِ وإلَّا فالخوارق لا تخلوا عنها الصَّحابة رِضوانُ الله على جَميعهم ".

ثُمَّ الولي مَن اتَّصف بالولاية وهي عامَّة لكُلِّ مَن يدخلُ الجنَّة وقد جمعهُم الله تعالى في قولهِ وسَمَّاهُم أولياء

﴿ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آَمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآَخِرَةِ ﴾[3]

قال الإمام المُحقِّق الزَّاهد الوَرعُ سيِّدي أحمد بن علي السُّوسي البو سعيدي في كتابه " **وصلة الزلفى** "

" وَصفهُم بالإيمانِ بشرطِ التَّقوى أي خافوا مَقامهُم بينَ يدي الله عزَّ وجلَّ وهُم أيضاً جواهرُ قولهِ تعالى

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾[4]

---

[1]. مريم 25

[2]. القصص 24

3 . يونس 62 – 64

[4]. فصلت 30

والبُشرى في ثلاثةِ مواطِن عندَّ النَّزعِ، وفي القبرِ، وعندَّ البَعث وعرصاتهُ إلى أن ينقضي أمدُ القيامةِ عند كلِّ مهولٍ من ذلك، وكونُ هذا الأمرِ ظنّياً أنَّ الخروجَ مِن الدُّنيا وحُصولِ البُشرى عندَّ الموتِ لا يَعلمُ حقيقتهُ إلَّا الله تعال فقد قال ﷺ

" **مَن ماتَ على حُسن عملهِ فارجوا لهُ خيراً أو قد ماتَ على سيِّء عملهُ فخافوا عليه ولا تيأسوا** "[1].

فَتحصَّل لنا ظنُّ الولاية في الجميع لأنَّ الولي في الحقيقةِ مَن يدخُل الجنَّة وقد شهِد الله لهُم بذلك.

قال مقيدهُ فهذه الولاية العامة, وأمَّا الخاصَّةُ فيُفهم مِن كلامِ الصُّوفية أنَّ صاحِبها هو مَن قَطع مَقامات الإسلام والإيمان والإحسان.

فالإسلام ثلاثُ مَقامات، مَرتبةُ التَّوبة والاستقامة والتَّقوى.

وللإيمانِ ثلاثةٌ كذلك, الإخلاصُ والصِّدقُ والطَّمأنينة.

وللإحسانِ كذلكَ المُراقبةُ والمُشاهدةُ والمَعرفة.

وذلكَ مبسوطٌ في كُتبِ القومِ كالسَّاحلي والقُشيري وغيرهِما فمَن أرادَ ذلك فلينظرهُ فآخرَها المَعرفة ".

فالعارفُ بالله مَن قطعَ المَقامات التِّسع وإلَّا فهو بحسبِ ما قَطَع مِن التَّوبة إلى آخره, والولي يعمُّها لَفظاً, وأمَّا اصطلاحاً فهو مَخصوصٌ بالعارفِ بالمَعنى المَذكور.

قال في " **وصلة الزلفى** "

" الولاية الخاصَّة, المُصطلَح عليها عندَّ النَّاس اليوم ".

فالولي هو العارف بالله تعالى وبصفاتهِ وأسمائهِ وفي ضِمن ذلك المَعرفة بأحكامهِ, فهذا الذي يَصلَح أن يكونَ دليلاً على الله تعالى.

1 . كتاب الزهد لابن المبارك

ثُمَّ لصاحبِ الخُصوصيةِ مزيدُ الانكشافِ لحاسَّةِ باطنهِ سِرٌّ موهوب مِن معرفةِ رَبّهِ لا يُعبَّرُ عنهُ ولا يُعرف ولا يُدرَك كما شوهِد انكشافهُ لحاسَّةِ اللِّسان في الشَّاهد بحلاوةِ الشُّهرة, فالذي لَم يذُقها قطُّ لا يُدرِك مِن وصفِها حلاوتها إلّا ما يُدرِك الأَكمه مِن كيفيةِ الألوان في الوجود, فلو قَطعتَ ظَهراً بالمسألة في إيصالهما ما استنشقا بالتَّعريف والتَّعبير أريج الإدراك, وبهذا تَتبيَّن الظَّنيَّة مِن صاحبِ الخُصوصية أيضاً ولا يعرفهُ إلّا مَن اجتمعَ بهِ على أنعام مائدةِ العِرفان.

فهذه الولاية مظنونة بكل مؤمن مُستتِر حافظٍ على ديباجةِ ديانتهِ ظاهرِ الصَّلاح مُنتسباً أم لا ما لَم تنخرِق حُرماتِ الشَّريعة بالإصرارِ مع المُحرَّمات الواضحاتِ كالوقيعة في أعراضِ المُسلمين والتَّهاون بالطَّهارةِ وإخراجِ الصلاةِ عن أوقاتِها والتَّجريب في الكَذب وأكلِ الرّبا أو أموالِ اليتامى والتَّديُّن بمُحدثات البِدع استغناءاً بها عن مَعالِم السُّنَن والأكل بالدِّين والتَّعلُّق بأربابِ الخُطط مِن غير ضرورةٍ شَرعية يدفعُ بها عنهُ أو عَن غيرهِ لآكل أموالِهم ونقضِ العُهود وخَون الأمانة وغيرُ هذا مِمَّا تأباهُ أسرارُ الله, فالمُتَّصف أو المُؤمَّن على شيءٍ منها لَم يَتحصَّن بالقاعدة الأولى مِن الإسلام فضلاً أن يَظنَّ بالولاية بَل نصُّوا على أنَّ المُشار إليه إذا كانت تَفوتهُ رَكعةً أو تَكبيرة الإحرام معَ الجماعة فلا تُبالِ بهِ.

فهذهِ النقائصُ عِندنا دلائلٌ على إنَّ المُتصِّف بها في بُعدٍ عن أبواب الولاية إذ هي مقامُ التَّكليف وعندهُم فيما بينهُم دلائلٌ أُخَر ليسَ كُل مَن سُلّم لهُ حالَ تكليفهِ يحصلُ لهُ مقامُ الخصوصية المُصطَلح عليهِ, فقد أوجبَ الحقُّ تعالى معرفتهُ وأرسلَ الرُّسُل بذلك وجَعل في هذه الذُرّية مَن يَهدي إليه في كُلّ قرنٍ وفي كُلِ زمانٍ ولا تخلو الأرض ممَّن يقوم لله بحُجة، وهكذا نصُّوا عليهِ فإذا لَم تَصلح لرؤيتهم ولا مُلاقاتهِم فالمُعتقِد أنَّ الوقتَ لا يَنخرِمُ

منهُم فهُم فيما بينهُم يتدارسون أسرار المعرفة ويتذاكرونَ لطائِف الرَّحمةَ والمَعرفة لا يأكلون الحرام ولا مُتشابهاً وعُموم هذهِ البلوى في الورى أي أكلُ الحرامِ والمُتشابِه هو سببُ خفائِهم ومُلاقاتِ الواحد منهُم إكسير الصِّديقية والإخلاص, فإذا أراد الله بعبدهِ خيراً سترَ عنهُ أعراض البَشرية وأزاحَ لهُ عن وجهِ البدرِ غيوم آدم الآدمية والتَّسوية بانقشاعِ أنوارِ الاختصاصِ والخُصوصية، وقد نَصُّوا أنَّ معرفة الولاية أصعبُ مِن معرفةِ الرُّبوبية وذلك أنَّ معرفةَ الله بمخالفةِ الحوادِث, ومتى تَعرف حادثاً مِثلك وخصوصيتهُ باطنة, وإلى تلك الخصوصية أشار ﷺ في أبا بكر

" **ما فضلَكم بكبير عمل وإنما فضلكم بشيءٍ وقرَ في صدره** "

أو كيف ما قال ﷺ.

ثُمَّ على المُقتدي أن يتلطَّف قَدر وسعهِ في وجدانِ المُهتدي يهتدي بهِ في مسالكِ دينهِ ويأخُذ بيدهِ إلى حَضرة رَبهِ, فإنْ وَجدَ أحداً مِن هؤلاءِ القوم فالله يؤتي فضلهُ مَن يشاء فذلكَ غايةُ المُنتهى في دائرةِ العُقلاء فإن لَم يجدهُ فظاهرُ الشَّريعة المُكلَّف بهِ والحمدُ لله لا يَخفى وحاملوه في الوجود نورٌ لا يَطفى, فالأولون أنوار البصائر وبحملةِ الشَّريعة طهارةُ الظَّواهر, فمَن أدمَنَ على طهارةِ أعضائهِ السَّبعة الظاهرة تكفَّل اللهُ بتطهيرهِ الثامِنة الباطِنة.

ومع ما قلنا مِن شِدَّةِ خفاءِ هذا الأمر وصعوبتهِ فَلَنا أنْ نقطعَ بها على ما عِندنا لا على ما عِند الله تعالى في حقِّ شخصٍ داعٍ إلى الله دعوى مَن على الهدايةِ بالشَّريعةِ مُرسِلاً عَنان انقيادهِ بالتَّقوى في مراسمِ الاستقامة مؤيَدًا بخارقٍ ربَّاني مِن غير اشتراطِ عِصمة ولا تَكلُّف افتعالي صِناعي للكرامةِ مُحتاطاً بأسرارِ عِلمَي الظَّاهر والباطِن مُكتَنِفاً بمعاقِل الحِفظ في الدِّين مُعتنياً به فيما ذُكر في مَحاسنِ مَعالمِ التَّوكل واليَقين كالجيلاني والشَّاذلي ويلَنور.

ومَن اعتقد مِن ابتكار أسرارِهم في الوَرى كأبي مَدين وابن مَشيش الجواهِر مِن الدُّر المَنثور, ومَن دارت أفلاك ألسُن الثَّناء بذكرِهم في الوجودِ مُسرمدَ الدُّهور كأبي سُليمان الجزولي والسَّبتي صاحبُ العِلم المَنشور, فكما كانت خوارق الألوهية دالَّة على النُّبوة فكذلك يكون دَلالتها على أسرار الولاية في الخصوصية, إلَّا أنَّ القَطع في بابِ الولاية حُكمي لا عَقلي كقطعِ القاضي بين المُتنازعين باعتمادِ قولٍ في مَذهبهِ وإنْ كانَ في المسألةِ أقوال قطعاً لمادةِ الخُصوم, كما يقطَع أحدُنا بإيمانهِ في الحالِ دفعاً للأوهام وغياهبِ الغيوب وإلَّا ما انتفع مُريدُ بشيخهِ ولا أحدٌ مِن المُسلمين بإيمانهِ ويعرفُ نفسهُ باستيفاءِ حقِ التَّعظيم بآدابِ حضورهِ القُرب مُشعراً بذلك بالذَّوق المَذكور في مُناجاتهِ مِن ذِكرهِ وصلاتهِ وقراءته.

ثُمَّ الحامِلُ لأسرارِ الحقِ عندَّ أهلهِ كحاملِ المِسك فيما بينَنا والمُفتري عندَّهُم كآكلِ الثُّوم بحضرتِنا وميزانُ الصِّدق في صِدِّيقيَّتهِ تَمنِّي المَوت بقولهِ تعالى

﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ. ﴾"[1]

إذْ الصدِّيقيةُ لا تَضمحلُّ ولا تَندفعُ وإنما ذلكَ انتقالٌ مِن مَحلٍّ إلى مَحلٍّ أسنى وأرفَع, ألَا ترى إلى قبورهِم عرفاتُ العُفات لا تنقطِع عن عَرصاتِهم الوفود بالنَّهار والبَيات, وأكبرُ الخوارِق عندهُم الحِفظ في الدِّين ودوامُ الاستقامة بالرُّسوخ والثَّبات المَتين حتَّى لو حَضر بحضرتهِ مَتشابه لبعثِ الله عارضاً يصرفهُ عنهُ هو وصَحبهُ عن مناولتهِ إمَّا ظاهراً أو باطناً, فقد أطبقوا أنَّ الوَلي المَخصوص المَلحوظ بالعنايةِ الإلهية لا يأكل حراماً ولا مُتشابهاً، فمنهُم مَن يجِد لذلك علامةً في بدنهِ مِن عِرقٍ يتحرَّك أو اقشعرار شعرِهِ، ومنهُم مّن يرى الطَّعام تُراباً أو دَماً أو قَيحاً أو يرى عليهِ ظُلمةً،

[1] . الجمعة 7

ومنهُم مَن يجعلهُ في فيهِ فيرجع حَجراً, وهذا كُلُّهُ منصوصٌ عندَّ أئِمةِ هذا الشأن ومع هذا كُلّهِ فلا يبلُغ درجةً يُسقِط عنهُ التَّكاليف الشَّرعية مِن غيرِ موجبٍ حالي شَرعي ولا أمْنُ خاتمةٍ على الحقيقة.

عَن أبي الدَّرداء أنهُ كانَ يحلفُ باللهِ ما أمِنَ أحدٌ أن يُسلَب إيمانه إلَّا سَلبهُ وهو قوله تعالى

﴿.فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[1]

وكُلَّما بلغَ الولي مع الله مِن المَعارف والكرامات فذلك بالنِّسبةِ إلى مَعالي النُّبوة كرشحِ زِقٍّ[2] مملوء عَسلاً.

وكذلك أيضاً لا يشترط في صاحبِ الخصوصية استكثار الأرزاق لا في حقِّ نفسهِ ولا في حقِّ مَن صَحبهُ ولا دَفع أذى ولا استطلاق الغيوب ولا استمطارِ السَّماء, فإنَّ هذه أمور توجد مع الصِدِّيقية كرامات ومع الدَّجالية افتتاناً وإهانات فقد أُذي الأنبياء والرُّسل وابتلوا فصَبروا وما مَالت الأبصار إلى شيءٍ مِمَّا اتَّخذتهُ العوام مِن ذلك قواطع للولاية أي عن الجهلِ بأحكامِ الرُّبوبية والميل بالهوى إلى مُنافسةِ الرئاسة فأصبحوا بالحِرمان على أشاطئ افتخارِ الهَلكة وما يَشعرون بالمُخالفة والحتف إذا والُوا عبادتهم قُرباناً بالتَّقرُّب بالحرفِ, فشاهد المريض حصول الفائدة وبرهانهُ اشتغال بصيرتهُ الهامِدة ولا يكون ذلك إلَّا بمعرفةِ الحقِّ وأهلهِ.

ثُمَّ ابتغاءِ الانصباغ بالسِرِّ المَصون بيدِ المأذون لهُ في تربيةِ العِباد إمَّا بالهِمَّة وإمَّا بالاصطلاح مِن غيرِ أن يكون خالقاً للاهتداء إنما يقسمُ الله فضلهُ لِمَن يشاءُ بيدِ مَن يَشاء.

---

[1] . الأعراف 99

2 . الزق وعاء من جلدٍ يُجزُّ شعره ولا يُنتف، يُستخدم للشراب وغيره

﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[1]

﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾[2]

﴿ فمن يُرِدِ الله أن يهدِيه يشرح صدره للإسلام ﴾[3]

﴿ وما توفيقي إلَّا بالله عليه توكلتُ وإليه أُنيب ﴾[4]

انتهى كلام صاحب وصلة الزُلفى بحروفه وجُلبَ بطوله لكونه القول الفصل في المسألةِ وترك التعرض لمسايرته في بعض الألفاظ للطول المُفضي إلى الخروج عن الموضوع فلنُعجِل الإنابة الى المقصود والله المُستعان.

[1] . القصص 56

[2] . الأنعام 124

[3] . الأنعام 125

[4] . هود 88

الباب الثاني في أوَّليتهِ ونِسبتهِ وكيفيةِ تحصيلِ طريقتهِ عَن مَشايخهِ إلى نهايتهِ

قال الإمام المُحقق سيِّدي المهدي بن أحمد بن علي بن الشيخ أبي المحاسن الفاسي ﷺ في تأليفه " **الإلماع بمن لم يُذكر في مُمتعِ الأسماع** " لسيِّدي المهدي الفاسي ما نصُّه.

" هو الشَّيخ العارف الهُمام بحر التَّوحيد ومَعدن التَّجريد والتَّفريد الواصل المُحقِّق المُقرَّب المُستغِرق, أبو الفَضل قاسم بن الحاج قاسم بن قاسم الخَصاصي ".

وقال سيِّدنا الجِد سيِّدي عبدالسلام القادري نفعنا الله به في كتابهِ "**المَقصد الأحمد** "

" هو الشَّيخُ الهُمام الفَضل العارفُ الكبير الواصِل المَوحِّد المُحقِّق المَجذوب المُستغرق, بحرُ المَعرفة الغَطمطَم الزخَّار وغيثُ المَدد الوابل المِدرار, منبعُ التَّوحيد ومَعدن التَّفريد, والمواجِد الرَّبانية والاشراقاتِ العِرفانية والأحوالِ السَّامية والإشاراتِ العليَّة, أبو الفضل سيِّدي قاسم بن الخير الحَسيب الزَّكي الحاج المَرضي, أبي الفَضل قاسم بن أبي الفَضل الخصاصي بهِ عُرِف نِسبةً إلى خصاصة مدينة على شاطئ البحر بجبلِ القلعية ذاتِ مياهٍ وأجنَّة لا عَمارة بها الآن وهي قُرب مَدشر أبي جافر بالجيم والفاء وبعد خلائِها كان سلفهُ بالجبل المَذكور ثم انتقلوا إلى فاس, قالَ وحدَّثني بعضُ قُدماء أصحابهِ المُنتسبين إليه وإلى الشَّيخ سيِّدي مُحمَّد قبلهُ أنهُ سَمعهُ يقول

" **نحنُ مِن الأندلس وأنَّ سلفهُ كانوا هُناك قبلَ ورودهِم إلى القلعية** ".

قُلت, وقد سَمعتُ من بعضِ تِلك أهلِ البلاد أعني قلعية أنه كانَ لبعضِ أسلافِ سيِّدي قاسم شُهرة بالولاية وأنَّ بعضهُم مَشهور عليه قُبَّة يُقصد

للزِّيارة يُعرفُ لديهم بسيّدي مَسعود الخَصاصي, وبنو الخَصاصة معروفون في العَرب اليمانية الرَّاجعة إلى قَحطان مِن بني الصَعب بن دَهمان كما في جَمهرة ابن حزم وغيرهِ.

ولِد سيّدي قاسم صاحبُ التَّرجمة ﷺ في حدودِ اثنين وألف ورُبِيَ في حجر أمه يتيماً لأنَّ والدهُ رحمهُ الله توفي وتركهُ في بطنِ أُمّهِ فرُبيَ كذلك إلى أن شبَّ وبلغَ الحُلُم.

وقال في " **الإلماع** "

" كان في ابتداءِ أمرهِ تقدَّمت لهُ صَبوة وخِلطة مع شباب أترابٍ لهُ مِن أهلِ الحُومةَ وغيرهم, ثم هبَّت عليه عواصفُ التَّوبة فألجأتهُ إلى ضريحِ أبي المَحاسن مِن غيرِ قصدٍ لهُ بخصوصهِ إذ لا يعرفهُ ولا يعرفُ اسمهُ فناداهُ نداءَ المُستغيث اللَّهفان

" يا صاحب هذا القبر إن كُنت ولياً لله حقاً فنطلب مِنك أن يجمعني الله بشَّيخٍ أخدمهُ لله لا يخدمهُ معي أحدٌ غيري ".

ثم انقلبَ مِن عندهِ فصارَ إلى مسجدِ القَرويين فدخلهُ لكونهِ قريباً مِن حانوتهِ فرأى رَجُلاً كوشاً مُسِناً جداً فألقى اللهُ عليهِ مَحبَّتهُ وحبَّبَ إليه خِدمتهُ فقال لهُ في نفسهِ

" مِثلي مَن يخدُم هذا الرَّجُل لله إذْ هو رَجلٌ كبيرُ وأنا في شبابي وصِحتِّي فما يَمنعني مِن خدمتهِ "

فأتاه فسلَّم عليه وجلس إليه فقال

" أنا مُوصَّى برجُلٍ سبطري[1] لا أدري من القراقين أو من العقبة يعني عقبة السبطريين ".

[1] سوق من أسواق فاس

وكان سيّدي قاسم قد خَدم في المَوضعين معاً فكان أعني سيِّدي قاسم يُشير إلى أنَّ الشَّيخ أبا المحاسن هو الذي أوصى شيخهُ به وأنَّ وصيتهُ إياهُ سَبقت مجيئهُ إليه فخدمهُ سنين، وكان الشَّيخ يأوي إلى المدرسة المِصباحية ويجلس بمسجدِ القَرويين ثمَّ لمَّا قَرُب حالهُ وحانَ انقضاء أجلهُ قال لهُ

" **إني سائرٌ إلى البلاد الكبيرة وأنت الذين أتوا بك قالوا هم أخبرُ بك في أي موضع أحبوا أن يُنزلوك أنزلوك** ".

فماتَ فبقى بعدهُ نحو أربعةِ أيامِ وإذا ببعضِ معارفهِ رآهُ مَهموماً على شيخهِ فقال لهُ

" اذهب إلى سيّدي عبدالرَّحمن الفاسي ".

فقال له " **فأين هوَ** " ؟

فقال له هو بالقلقليين.

فذهب إليه فصحبهُ, فكان يُشيرُ إلى أنَّ سيّدي يوسف اعتنى بشأنهِ وتولَّى أمرهُ إلَّا أنه كما طلبَ عليهِ شيخاً يخدمهُ وحدهُ ساعَفهُ بمطلوبهِ بأن ألهَمهُ، ثم بعد ذلك ردَّهُ لمائهِ وطريقتهِ فصحِب الشَّيخ أبا مُحمَّد عبدالرَّحمن مِن حدودِ عام خمسةٍ وعشرين وألف إلى موتهِ في آخرِ ليلةِ الأربعاء السَّابع والعِشرين مِن ربيع الأول عام ستةٍ وثلاثين وألف، ثم بعد موتهِ صَحِب خليفتهُ سيِّدنا أبا عبدالله إلى وفاته، ثمَّ جلس بالزَّاوية نحو أربع سنين في أوَّلِ الأمر يجلِس في جُملةِ الأصحاب وفي آخرِهِ بدا ظهور خُصوصيتهِ والاعترافِ بمزيَّتهِ.

ثُمَّ حَبس رِجلهُ عن الزَّاوية واقتصر على دارِهِ وحانوتهِ فبقى كذلك إلى أن سَكنَ بدارِ سيّدنا مُحمَّد ﷺ حولَ الزاوية في التاريخ المُتقدِّم, فعادَ وجلسَ بالمَعصرة ويجلس معهُ مِن أصحابهِ مَن تيسَّر عليهِ إذْ الوقتُ وقتُ غلاء

وشِدَّة وشَر وفِتنةٍ اندَهى النَّاس فيه عن دينهم وحيلَ بينهُم وبينَ قلوبهِم وعقولِهِم إلَّا مَن عَصمهُ الله وأيَّدهُ.

وإنَّما كانَ يجلسُ بالمَعصرة لأنَّ سيِّدي أحمد يعني ابن عبدالله كان مشغولاً بها يُباشر أُمورها بنفسهِ وسيِّدي قاسم إنما جلسَ وتقيَّد وشيخوختهُ إنما هي لهُ وغيرهِ إنما هو بالتَّبع لهُ وإنما يستفيدُ ما يستفيدُ من ورآئهِ وعلى يديه، ثمَّ أمَر أصحابهُ بحلِّ الزَّاوية وكانت تعطَّلت في تلك السِّنين فحُلَّت آخر يوم مِن جمادي الثانية سنة خمس وسبعين وألف وقرأوا فيها وابتدؤا قراءة البُخاري تلكَ اللَّيلة وهي ليلةُ أوَّل يومٍ مِن رَجب، ثمَّ خرجَ هو إلى الزَّاوية عَشيَّة يوم الجُمعة عاشِر رمضان مِن السَّنةِ المَذكورة وانجمعُ أصحابهُ عليهِ فيها فبقيَ بها إلى أن مات وَسطَ ليلةِ الأحد التَّاسع عَشر مِن شَهر رَمضان المُعَظَّم سنة ثمان وثمانين وألف بموافقة ليلةِ التَّاسع والعشرين مِن ديسمبر الأصم عن نحو إحدى وثمانين سنة.

ولَم يكُن يَغيبْ عن الزَّاوية إلَّا أياماً قلائل نحو الخمسة أيام تُعرَض لهُ في كُلِّ شهر غالباً يجلس فيها بالدَّار لا يخرج ".

انتهى كلام سيِّدي المهدي في " **الالماع** ".

ويأتي بقيته بعد هذا أن شاء الله مع ذِكر الغيبة المُشار إليها, ورَمزَ لوفاته سيِّدنا الجدُّ رحمه الله في قصيدته التاريخية تَفجَّرت مِن قوله.

وأنَّ الخصاصي الوَلي تَفجَّرتْ   يَنابعُ سِرِّ منهُ مِن خيرِ مَنهلِ

قُلت, والصَّبوة التي تقدَّمت لهُ كان فيها أثر بلوغهِ في عِنفوان الشَّباب ولا يخلوا عنها إلَّا النَّادر مِن النَّاس على إنَّ زمانِها قليلٌ, إذ كان في موت شيخهِ الأول مِن نحو أربعٍ وعشرين سنةً وكان فُتح لهُ على يديهِ، فالفتحُ وقَع لهُ أوَّل زمنَ شَبابهِ وقد وقع مثلُ ذلك بَل أكثر لكثيرٍ مِن الأكابر ومَن

سَبقت لهُ العِنايةَ لَم تَضرُّهُ الجناية فذِكر مثلُ هذا الأجل إظهارُ فضلِ المَحبوبية.

ونقلهُ في " **المَقصد** " بوجهٍ آخر نُورِده لزيادةِ فوائدَ فيه ونصُّهُ

" فكانت لهُ خِلطةٌ وصُحبةٌ مع أقران له كان يذكُرها ويذكر ما صدَر منهُ مِن الأفاعيل بسببها يُعَرّفُ النَّاس بذلك فضلُ الله وإحسانهِ وأنه لا يتقيَّد بِعلَّة ولا سببٍ, فبقيَ كذلكَ مُدَّةً ثمَّ ألقى الله عليهِ التَّوبة وهبَّت عليهِ رياحِها وأشرفَ بعدَ ظُلمَةِ الشَّباب عليهِ صَباحُها, فذهبَ لزيارةِ بعضِ الأولياء خارج باب الفُتوح وهو سيّدي الحسن الجزولي مِن أصحابِ الشَّيخ الغَزواني رضي الله عنهما كانت أُمُّه أرسلَتهُ لزيارتهِ لأنهُ كانَ لهُم استنادٌ إليه فلَم يعرفهُ فجاءَ إلى ضَريح الشَّيخ العارِف الكبير سيّدي أبي المحاسن يوسف الفاسي ﷺ وهو لا يعلَم صاحبهُ فقال

" يا صاحب هذا القبر "

فذكرَ إلى أن قالَ, فلازمَهُ أعني سيِّدي مباركاً حينئذٍ سيِّدي قاسم وصَحبهُ واختصَّ بهِ وسلبِ لهُ الإرادة وجعلَ يُجالسهُ ويَخدمهُ فيما يَحتاج إليهِ مِن غسلِ ثوبٍ وإماطةُ أذىً ونحوِ ذلك واستفاد منهُ وانتفعَ به، وكان لمَّا صَحِبهُ قلعَ عن الخِلطة وأهلَها, فاتَّفقَ لهُ يوماً أن ذهبَ لبعضِ معارفهِ الذين كان يُخالِطهم فلقيَهُ ثمَّ انقلبَ مِن عندهِ إلى شيخهِ فلمَّا جلسَ بينَ يديهِ تنكَّر لهُ مُغضِباً ثمَّ قال

" يا بُني صاحبي الذي يَعرفني لا يكون إلَّا في واحدٍ مِن ثلاث، إمَّا في المَسجدِ يُصلِّي أو في دارهِ يجلس بها أو في مَوضعِ حِرفتهِ يخدمُ فيها " انتهى.

فنزَع سيِّدي قاسم رحمهُ الله إذ ذاكَ عن الخِلطة بمرةً نزعاً كُلياً فما رُأيَ بعدَ ذلك يفعلُ سِوى ما قالهُ كما أخبرَ بذلك هو ﷺ وبقيَ في صُحبتهِ سنين

لا أدري عَددها إلى أن توفي هذا الشَّيخ رَحمهُ الله, فبعدَ أربعةُ أيامٍ مِن وفاتهِ أو خمسةٍ رآهُ رجلٌ مِن مَعارفهِ في غَمٍّ وكربٍ ممَّا نزلَ بهِ مِن موتِ شيخهِ فَدلَّهُ على الشَّيخ سيِّدي عبدالرَّحمن الفاسي ﷺ فذهبَ إليهِ ولَم يكُن يعرفهُ قبلَ ذلكَ وصَحبهُ ولازمهُ وسَلبَ لهُ الإرادة فَفُتح لهُ على يَديهِ الفَتح العَظيم.

وكانَ معهُ على طريقةٍ مُثلى مِن الحَزم والجِد في الدِّين والتَّحرُّز في أمورِهِ مع مُلازمةِ الأحزاب بزاويتهِ، وكانَ إذ ذاكَ يعتريهِ الحال وتَصدُر منهُ صَيحات ورُبما صَدرت منهُ بمحضرِ الشَّيخ سيِّدي عبدالرَّحمن, وقال له يوماً وقد صاح قُدَّامه " أي شيٌء تَذكُر؟

فقال **" لا إله إلا الله مُحمَّدٌ رسول الله "**

فقال " لا أخافُ عليكَ بحروفهِ " ثمَّ قال بعد كلام يُذكرُ بَعدُ.

وقال له الشَّيخ سيّدي عبدالرَّحمن

" أنت لي ولستَ لأحدٍ غيري "

يُشير بذلك والله أعلم إلى أنَّ فتحهُ كانَ على يدهِ دونَ غيرهِ، وقالَ لهُ أيضاً

" أنت غريب ليس لك أخٌ "

يُريدُ والله أعلم أنه غريبُ في طريقهِ وعرفانهِ وتحقيقهِ وفيه معَ ذلك إشارة إلى ما كانَ مِن أمرهِ بعدُ معَ بعضِ إخوانهِ مِن أصحابِ الشَّيخ سيِّدي عبدالرَّحمن وأصحاب الشَّيخ سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله ممَّن لَم يحصل لهُ ذوقٌ مِن عَدمِ إذعانهم لهُ واستنكافِهم عن مُتابعتهِ بعدَ أن استخلفهُ الله عزَّ وجل, وربما صرَّح بالنَّكيرِ عليهِ بعضهُم بعدَ معرفةِ مكانهِ مِن الدِّين وحالهِ القوي فيهِ ومُعاشرتهِ لهُ على ذلك السِّنين ومعرفةِ ما كانَ يقعُ لهُ معَ الشَّيخين سيِّدي عبدالرَّحمن الفاسي وسيِّدي مُحمَّد بن عبدالله بعدهُ مِن الأمور الدَّالة على شُغوفِ مَنزلتهِ وأناقةِ رُتبتهِ والأمرُ لله وحدهُ.

ثمَّ صَحِبَ بعدُ سيِّدي عبدالرَّحمن خليفتهُ ووراثُ حالهِ الشَّيخ سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله والِد سيِّدنا أحمد رضي الله عنهما, فلازمهُ واختصَّ بهِ وسلبَ لهُ الإرادة كما كانَ معَ الشَّيخ سيِّدي عبدالرَّحمن ﷺ وقامَ بالأدبِ معهُ كما قامَ بهِ مع الأوَّل معَ سَبقٍ لهُ معهُ مِن الأخوَّة فيهِ, وقال لهُ يوماً يُشير إلى هذا المعنى

" يا سيِّدي إني عاتق "

يعني كالثيِّب تميلُ إلى الأوَّل أكثرُ مِن الثَّاني " انتهى كلامُ المَقصد.

وقال في " **الإلماع** "

" وكانَ يَعني سيِّدنا قاسماً يقول

" أنه لقيَ ستة وعشرين شيخاً أو نحوهم "

وسيأتي التَّعريف بِمَن وقِفنا عليهِ مِنهُم وهُم أربعةَ عَشر، وصَرَّح سيِّدنا مُحمَّد ﷺ أنهُ الوارثُ لحالهِ.

قال في " **المقصد** "

" قيلَ يوماً للشَّيخ سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله أنَّ سيِّدي عبدالرَّحمن المَجذوب خلَّفَ سيِّدي يوسف الفاسي, وسيِّدي يوسف تركَ أخاهُ سيِّدي عبدالرَّحمن, وأنتَّ تترُك فُلاناً وفُلاناً يُريد هذا القائل رَجُلين في عَددِ أصحابهِ مِمَّن يُكثِر القِيل والقال فقال الشَّيخ سيِّدي مُحمَّد

" سنموتُ وتَظهرُ التَرِكات "

فظَهرت بزاويتهِ بعدَ موتهِ بَركتهُ كما قالَ واستمرَّت والحمدُ للهِ إلى الآن, ولم يكن ذلك غير سيِّدي قاسم رَحمهُ الله.

وفيهِ ظهرَ مِصداقُ كُلِّ ما ذُكر مِمَّا تَقدَّم تصريحاً وتلويحاً فإنهُ رَحمهُ الله لَم يَزل مُلازماً لزاويةِ الشَّيخ سيِّدي مُحمَّد رَحمهُ الله حتَّى توفيَ, وبقيَ بعدهُ يتردَّد إلى زاويتهِ معَ مَن بقيَ بها غيرَ مُميَّز عنهُم بشيءٍ نحو العامَين, ثمَّ

لاحت لهُم خُصوصيتهِ وهبَّت عليهِم نَسمتهُ وجاءَ أبانهُ وأظلَّ زَمانهُ على فترةٍ, ومَضى خبرهُ فكانَ كما قال سيِّدي عبدالرَّحمن بن مُحمَّد الفاسي ﷺ

" إنَّ الشَّيخ إذا مات ذهب بما معه ممَّا سيكون لوارثه ثمَّ يُرسلهُ لهُ بعدَ مُدَّة ".

قال سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله

" وكُنت أنا لَم أفهم هذا حتَّى سَلكتهُ بعدَ الشَّيخ سيِّدي عبدالرَّحمن فَعلِمتهُ".

وقال يوماً سيِّدي قاسم بعد موت سيِّدي مُحمَّد

" إنَّ الشَّيخ يعني سيِّدي مُحمَّد ذهب بحالِهِ لم يعطِ لأحدٍ الآن شيئاً " انتهى.

ثمَّ بعد ذلك تبيَّن أنه هو الذي أعطيَهُ فسلكَ مِن الفترة والاطِّلاع على كيفية الأمرِ ما سَلكهُ مَن قَبلهُ.

وَجلسَ يوماً أصحابُ سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله بعد موتهِ يتحدَّثون مُتَحيِّرين كيفَ السَّبيلُ إلى مَعرفةِ وارثهِ وسيِّدي قاسم معهُم فقال لهُم

" ها هو السَّبعُ في وَسَطكم ولكن أين مَن يَستخرجهُ ويتفطَّن لهُ " انتهى.

ولمَّا وضحَ أمرُ سيِّدي قاسم وثَبتَت خِلافتهُ وظهرت رُتبتهُ ومَكانتهُ تبِعهُ جماعةٌ مِن أصحابِ سيِّدي مُحمَّد مِمَّن أرادَ اللهُ توفيقهُ وأنْ يَسلكُ بهِ مِن الدِّين طَريقهُ فانحاشوا إليه وأكبُّوا عليه فمكَّن نَفراً منهُم فظهرَ عليهِم الحالُ أوَّلُهُم سيِّدنا أبو العباس ﷺ.

وَحَمى بالزَّاوية ذِكر الجلالةَ بعدَ أحزابِ الغداة وتَتابعت حِمايتهُ فكانَ يطولُ بهم المَقام في ذلكَ غلبةً فلا يَستطيع ذو الغَلبة مِنهُم أن يُمسِك نفسهُ عنِ الذِّكر إلَّا أن يُقطع عليهِ ورُبَّما يتمادى بهِم الحال إلى الزَّوال أو قُربهِ.

وتصدُر منهُم صَيحات فَنقَمَ عليهم بعضُ مَن لا مَعرفةَ لهُ بحالهِم مِمَّن شاركَ سيِّدي قاسِماً في مَعرفة سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله قائلاً

" لَم يكُن هذا الصِّياح زَمن سيِّدي مُحمَّد جَهلاً منهُ بأنَّ الزَّهر ألوان وحَصراً لأمرِ الألوهيةِ فيما فَهمهُ عَقلهُ ".

ثمَّ قال بعضهم

" إنْ رَدَّ سيِّدي أحمد للتَّماسك والتَّمكين فهو الشَّيخ حقيقةً "

فكان الأمرُ بعدُ كذلك وبقوا يتكلَّمون في شأنهِ وشأنِ أصحابهِ ليكونَ بقُدرة الله ما تَقدَّم لنا عنِ الشَّيخ سيِّدي عبدالرَّحمن بن مُحمَّد الفاسي ﷺ مِن قولهِ لسيِّدي قاسم

" أنتَّ غَريب ليسَ لكَ أخٌ "

فلزِم سيِّدي قاسم دارهُ وكانت بالأقواس مِن عُدوةِ فاس الأندلس وحانوتَهُ وكانت بسوقِ مولاي إدريس نفعنا الله شفقةً على أولئك المُعترضين إذ كانوا إخوانهُ أن يُصابوا في قلوبِهم أو ينالُ منهُم أصحابهُ مكروهٌ بسببهِ ودَرءُ المَفاسد مُقدَّم على المَصالح, فكانَ لا يُجالسهم بالزَّاوية ولا يأتي إليها إلَّا أن يأتي للصَّلاة وهوَ على أحوالِهم مِن مُلازمةِ الأحزابِ والذِّكر مُستمدِّين ومُقتبسينَ مِن أنوارهِ.

سَمِعتُ الخَيِّر الصَّالح الثِّقة الصَّدوق سيِّدي أحمد بن قاسم بتير الأندلُسي يقولُ, سَمِعتُ سيِّدي قاسم يقول

" والله لولا الشَّفقة على هؤلاءِ المُعترضين لكانت الجَلالة بالزَّاوية لا تَنقطِع أبداً ".

وصَدَق ﷺ فكانَ ذا فَيضانٌ عظيمٌ ومَددٌ جَسيمٌ، وقد كانَ بعضُ أولئك المُعترضين يأتي الحِزب لينظُر أمرُ الأصحابِ فيقعُ فيما هُم فيهِ ويحترقُ بصرامهم ويصيحُ ويُمزِّقُ ثيابهُ وقَع ذلكَ لغيرِ واحدٍ منهُم.

وكانَ أصحابهُ أثناءَ تلكَ المُدَّة التي حَبس نفسهُ فيها عنهُم يتردَّدون إليهِ في حانوتهِ وينزلونَ بهِ أمورهُم وما أهمَّهُم مِن أمرِ دينِهم ورُبَّما يختبرُ أهلُ الصِّدق مِنهُم فيصرفهُ عنهُ ويقول له

" فارِقني لا تجيء إليَّ "

فلا يُريدُ أن ينصرِّف بوجهِ ولا بحالٍ ويزيدُ صبابةً به وتَولُّهاً ولا يألوا لِياذاً بجانبهِ ووقوفاً ببابهِ فظهرَ بذلكَ قوته وحالهِ مِن التَّصرُّف العَظيم في أحوالِ قلوبِهم ﷺ وعنهُ.

وبقَى على ذلِك إلى أن كانَ وقتُ الغلاء الشَّديد والمَسغبة العظيمة التي بعدَ عام سَبعين بتقديم السين وألف التي طَال أمدُها وبلغَ المُدُّ في بعضِها خمسُ أواق فدَهمَ الناسُ مِن أجلِها أمرٌ عظيمٌ واستقبلهُم أمرٌ هائلٌ جسيمٌ وتفرَّقوا في البلاد وأفنوا الطَّريق والتَّلاد وحيلَ بينهُم وبينَ عقولهِم فتعطَّلت قراءةُ الحِزب بالزَّاوية لذلك ولعدمِ جلوسِ سيِّدي قاسم إذ ذاك بها، فلمَّا بَنى سيِّدنا أبو العبَّاس مَعصرتهُ التي بعرصتهِ المِجاورة في تِلك الأعوام عَن أذنِ شيخهِ سيِّدي قاسِم رحمهُ الله كما تقدَّم كانَ سيِّدي قاسم يأتي إليها بقصدِ سيِّدنا أحمدَ إذ كانَ يكونُ بها ويَلي عَمل عَصر الزَّيت بيدهِ، وقد غَلبت عليهِ الغَيبة التي تعتادهُ إذ ذهبَ سيِّدنا أحمد ﷺ إلى رَحيلهِ وعيالهِ وأتى بهم إلى عرصة أبيهِ المُعدَّة للسُّكنى المُلاصِقة للزَّاوية وأنزلهُم بها وهي التي وَهبَها لولدَيهِ كما تقدَّم ثمَّ أنقلها إلى سيِّدي قاسم وجَعلَ يَستعطِفهُ ويُلاطفهُ في قبولِ ذلكَ فقبِلهُ وكانَ لا يقبلُ إلَّا منهُ فسكنَ سيِّدي قاسم العَرصة المَذكورة وذلك سنة ثلاث وسبعين وألف, ثمَّ أمرَ بقراءةِ الأحزابِ بالزّاوية وقراءةِ البُخاري وجعلَ يجلسُ بها وأنَّس الأصحاب وسلَّاهُم عن مكابدةِ الأوصافِ وتداركَ أمرهُم وتَلافى عَمارة الزَّاوية.

أخبرني غيرُ واحدٍ مِن فُضلائِهم أنَّ أحدهُم كانَ وقتئذٍ إذا جلسَ معَ سيِّدي قاسم واتَّفقَ إن كانَ جائعاً لَم يجِد ألَم الجُوع ولَم يحسُّ بهِ ما دامَ بينَ يديهِ طائِلاً ما طالَ ولَم يقُم إلَّا فَرحاً مَسروراً.

وأشار سيّدي مُحمَّد بن عبدالله ﷺ إلى أنَّ سيِّدي قاسم هو خليفتهُ بعدهُ في زاويتهِ لأنَّ سيِّدي قاسِماً قالَ لسيِّدي مُحمَّد

" أنَّ الناس يقولون إذا متُّ فإنهم يذهبون إلى زاويةٍ أُخرى يعني زاوية سيّدي عبدالرَّحمن الفاسي ﷺ ".

فقال له سيِّدي مُحمَّد

" أنتَّ هذا مَوضِعُك إن شاءَ الله حتَّى تَموت ".

فكانَ فيهِ إشارة إلى ما يُعوَّل إليهِ مِن استخلافِ الله لهُ في ذلكَ المَوضِع وإلى أنه يكون فيه طول حياتهِ إلى مَماتهِ فكانَ كذلك.

وقالَ شيخُنا الإمام العالِم الكبير أبو مُحمَّد سيِّدي عبد القادر بن علي بن الشَّيخ أبي المَحاسن يوسف الفاسي ﷺ لسيِّدنا أحمد يوماً وقد اجتمعَ معهُ سمعتُ والدَك سيِّدي مُحمَّد يقول في شأنِك

" رأيتُ أحمد يَتَّبع الخصاصي ".

يعني سيِّدي قاسماً رَحمهُ الله فهذا تصريحٌ مِن الشَّيخ سيِّدي مُحمَّد بإمامةِ سيِّدي قاسم وقد سَمِعت أنا سيِّدنا أحمد ﷺ يوماً

" أنَّ سيِّدي قاسِماً هو الوارث لوالدهِ الشَّيخ مُحمَّد بن عبدالله ".

وأوصى الشَّيخ مُحمَّد رَحمهُ الله قُرب موتهِ وفي حالِ صِحتِّهِ أصحابهِ بعدَ أن جَمعهُم بالزَّاوية فقال لهُم

" إذا مِتُّ فإيَّاكُم أن تَغتروا بالتَّزويق الظَّاهر ".

يُريدُ أهلُ الظَّواهر الخالية مِن الأحوالِ الرَّبانية ضَمائرهُم ويُشير إلى أنَّ الإرثَ في أصحابهِ بعدهُ ليسَ في أهلِ الهيئاتِ منهُم، وكانَ أعظمُهم خُمولاً سيِّدي قاسم رَحمهُ الله, وكانَ مِن عادتهِ أنهُ إذا دَخل الزَّاوية جلسَ مُنفرداً يذكُر الله عزَّ وجلَّ, وإذا اجتمعَ النَّاس معَ الشَّيخ استفاد مِن وراءِ وراء حتَّى لا يَحسِبُ النَّاس في كثيرٍ مِن الأحيانِ أنهُ هُنالك كما كان قبله الشَّيخ

سيِّدي عبدالرَّحمن الفاسي مع أخيه وشيخه سيِّدي يوسف الفاسي, كان يذكُر ذلك عنهُ سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله " انتهى كلام المقصد.

ووقع فيه تقديم وتأخير وتعدَّد التَّصريح بالنَّقل منهُ لأغراضٍ مُناسِبة والله تعالى أعلم.

ودُفِن ﷺ بجوارِ شيخهِ سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله غَرباً خارج باب الفتوح إحدى أبواب مدينة فاس الادريسية قُرب مُصلَّاها وبَنى عليهِ سيِّدنا أحمد بن عبدالله قُبَّةً على نَمَطِ قُبَّةِ شيخهِ سيِّدي عبدالرَّحمن بن مُحمَّد الفاسي هُنالِك ﷺ ونَفعنا بهم آمين.

البابُ الثَّالث في ذِكرِ بَعضِ أحوالهِ وبَعضِ سَيرِهِ ومَقالهِ

قال في " **الإلماع** "

" وكان مِن شأنهِ الغالب عليهِ الغيبة في التَّوحيد والاستغراق في بحر التَّحقيق, وفي تِلك الأيام تَصحبهُ غيبةٌ زائدة لا يَعرفُ بها السَّماء مِن الأرض ولا اللَّيل مِن النَّهار, وربَّما يسأل عن العَصر أو المَغرِب في أوَّل النَّهار, ويذهبُ عنهُ النَّوم ولا يسألُ عنهُ ولا يطلبهُ فإذا أفاقَ مِن غَمرة تلك الخِلال وأُطلِق مِن وَثاق ذلك السُّكر خرجَ ومن أجلِ قوتهِ وغيبته, كانت لهُ مَلامات وشَطحات يُنكِر ظاهرُها مَن لَم يعرِف حقيقتها ولم يُشاركهُ في حالهِ ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾[1]

وكانت له الإشارات العالية والهِمم السامية.

وكان لقِيَ ناساً كثيرين مِن أهل الكمال والبهاليل وأهل الأحوال وغيرهم وأخذ عنهم ونال منهم ".

وقال في " **تحفة أهل الصدِّيقية بأسانيد الطائفة الجزولية والزرُّوقية** " ما نصُّهُ

" ومن السادسة أيضاً سيِّدنا الإمام العارف الكامل الموحدُ المُستغرق الملامتي ذو الإشارات العلية والحقائق السَّنية سيِّدي أبو الفضل قاسم بن الحاج بن قاسم الخصاصي "

وتقدَّم وصفهُ بالعارِف والمُوحِّد، والمُراد مِن جلبِ النَّصَّين بيانُ حالهِ بما وَصَفهُ بهِ لكونهِ خالطهُ وأخذَ عنهُ وانتفعَ بهِ, وتلك الألفاظ التي وصفه بها مطروقةٌ لأهل التَّصوف وطريقهُ بَلْ والواصفُ لهُ بها مِن أهلِ العِلم

[1] . العنكبوت 43

باصطلاحِ التَّصوف وطريقهُ بَل مِن المُتبَحرين في العِلم وتحقيقهِ, فلنُشِر إلى شرح بعضها بحسب الامكان فنقول

قال سيّدنا الجِد رحمه الله في مُقدِّمة كتاب لم يكمله سمَّاه " **نزهة النادي في أهل القرن الحادي** " والرزيَّة كلُ الرزيَّة ما صدَّه عن إتمامه، ومِن خَطِّهِ نقلت

الغيبة. غيبةُ القلب عن عِلم ما يجري من أحوال الخلق لاشتغال الحِس بما ورَدَ عليه.

والسُكر. الغيبة بوارد قوي.

والصَّحو. الرجوع إلى الاحساس وما أشبه حالهُ بقول الإمام سيف الدّين أبي زكريا يحيى بن نصر بن عبد الرزاق بن الإمام محي الدِين بن سيّدي عبد القادر الجيلاني.

يُسقى ويشرب لا تُلهيه سكرته   عن النديم ولا يلهوا عن الكأس
أطاعه سُكره حتى تحكَّم في حال   الصحاتِ وذا من أعجب النـاسِ

ثمَّ تفنَّن في العبارة فقال.

ويشربُ ثمَّ يسقيها الندامى   ولا تُلهيه كأسٌ عن نديمِ
له مع سُكره تأييد صــاحِ   ونشوة شارةٍ وندى كريــم

وسيأتي إن شاء الله ما بثَّ من الأسرار وما نال مِن شرابه السَّادات الأبرار أنالنا الله مِن كرمهم وجعلنا من المُتحصِّنين بِحُرمِهم إنه هو الوهَّاب الكريم الرَّؤوف الرَّحيم.

والشَّطح. كلام يترجمه اللِّسان عن وجدٍ يعرض من معدنه مقرونٌ بالدعوة.

والوجد. ما يُصادف القلب من الأحوال المُفنية له عن شهوده.

والأحوال. جمع حال وهو معنى يرد على القلب من غير تأمل ولا اكتساب من طرب أو بسط أو غيرهما.

قال الحاتمي

" ومن شرطه إن يزول ويعقبه المثل بعد المثل ومن هنا نشأ الخلاف فمن أعقبه المثل قال بدوامه ومن لم يعقبه المثل قال بعدم دوامه ".

وعلامة صحة انقلاب الأوصاف المذمومة إلى المحمودة وذو الحال مُرقَّى وذو المقام مُمكَّن, وصاحب المقام منطوٍ في العارف والعارف بالله هو العالِم عِلم تحقُّق بالله وأسمائه وصفاته الدائم الشهود الفاني في الواحد المعبود وعلامته اللازمة له إرسال نفسه مع مُراد الله تعالى, فهو بحُكم وقته كالماء لونه لون إنائه وقد انطوت فيه المقامات كلها، قالوا فهو بمثابة حافظ القرآن كله، وذو الحال أو المقام بمثابة حافظٌ لسورةٍ واحدةٍ وتقدم تلخيص المقامات في الباب قبل هذا فانظره.

والموحِّد. مَن يكون شيخاً تجري عليه تصاريف التدبير في مجاري أحكام القدرة فانياً عن نفسه وعن دعوى الخلق واستجابتهم بحقائق وجود الوحدانية في حقيقة قربه بذهاب حسِّه وحركته لقيام الحق له فيما أراد بحيث يرجع آخره لأوله فيكون كما كان قبل أن يكون.

والمَلامتي. هو الذي لا يُظهر خيراً ولا يضمر شراً.

والمَلامة. ما يجري على ظاهر بما قد لا يُفهم معناه وليس جريانها عليهم باختياري.

قال الحافظ المُحقق أبو العباس سيِّدي أحمد بن يوسف الفاسي

" فالملامتية ترسَّموا بمراسم الشَّريعة وحافظوا على حدودها وتزيَّنوا ظاهراً وباطناً بآدابها حتى لم يبق للعلم عليهم سبيل بحال من الأحوال وزين الله

بواطنهم بأنواع الكرامات وجعلها معدن أسراره ومحل أنواره وربط على قلوبهم وختم على بواطنهم فلا يستطيعون إظهار شيء ممَّا في بواطنهم وجعلهم أُمناء على أسراره وخزائنه من بين خلقه ولذلك اصطلح القوم عليهم بالأُمناء, وإمامهم أبو عبيدة بن الجراح ﷺ أمينُ هذه الأمة والأفراد الخارجون عن نظر القطب منهم ولذلك كانوا لا يتزيُّون بزي القوم بل في صورةُ العوام على هيئتهم بل حلولهم في مرتبتهم أنظر تمامه ".

هذا بعض ما يتعلَّق بشرح ما وصفه به سيِّدنا المهدي المذكور وذلك مقرَّر عند أهل هذا الشأن ومُحرَّر في كُتب القُشيري وابن البنا والسَّاحلي وغيرهم فانظره.

قال في مقدمة " **النُزهة** "

" وقد ابتلي بعض العامة وجهلة الطلبة في هذا الزمان باستعمالهم ألفاظاً منها في غير حقيقتها خرجوا عن موضوعها وصدروا بها عن مصروفها من ذلك لفظ العارف عرَّفوا غير معروفه ووصفوا به غير موصوفه حتى ربما استعملوه فيمن لم تتُم له درجة العمل فضلاً عن الزهد فضلاً عن الإيقان فضلاً عن العرفان فأطلقوه على من نفسه عليه تغدوا ويروح في حكم اختياره ويغدوا ولم تثبت له في الحقيقة حتى مقام المجاهدة ولا عَلِمَ علماً حالياً من الطريقة مسألةً واحدةً, وما حملهم عليه إلَّا محضر الجهل بمدلوله وعدم معرفة علامات حصوله وإلَّا فإثبات العرفان وغيره من المقامات لشخَّص شهادةً على الله سبحانه أنه منحهُ درجة المُقرَّبين ومقام الواصلين, والشهادة لا بُدَّ لها من مُستند عِلم سابقٍ مع تصور حقيقة المشهود فيه.

والمُستند هنا صحيح وجدان أو صريح برهان وصِحَّة كليهما بصِحَّة الاستقامة وإلَّا كانت الشهادة زوراً وبهتاناً وليس الكذب على الله سبحانه

ككذب على أحدٍ نعوذ بالله ونسأله السلامة والعافية ممَّا هنالك " انتهى المراد منه.

ونقلهُ بتمامه يطول ومُحصِّلهُ لا يطلق لفظٌ إلا في حق مَن يتحقق اتصافه به مع المعرفة بمدلوله سواء كان من أوصاف أهل الطَّريقة الصوفية كما تقدَّم أو من الطَّريقة العلمية الاصطلاحية كالفقيه والحافظ والعلاَّمة والفهَّامة والدرَّاكة والمشارك والمُتفنِّن والقاضي وقاضي القضاة والشَّيخ والقدوة وشيخ الاسلام والمُحدِّث والأُصولي وغيره.

وقد عاب الإمام الزاهد المُحقق الورع سيِّدي أحمد بن علي البوسعيدي على سيِّدي مُحمَّد ميارة وصْفُه أشياخه في شرحه " **للمُرشد** " بأوصاف باطنية من أوصاف الصوفية لمَّا كتب له على الشرح آخر إجازته وكأنه أجازه ما تضمنه عدا ما ذكر, أُنظره.

وقد أُعجب بكلامه الشَّيخ ميارة وجعله تكميلاً لشرحه, وليس هذا من مسألة امتناع ابن سلمة من الشهادة في صداق ولد ابن عبد السلام لوصفه بتخطيطات لم تثبت له وجهِله ابن عبد السلام, وقال له الاشهاد على المشهود عليه إنما هو من حيث الاسناد إليه فقط لأنَّ الواصفين في هذا الباب قد يقصدون اتصاف الموصوف بها مجرَّدة وذلك أعم من أن يكون الواصف ثبت ذلك عنده أم لا، وهذا الباب وسائر تراجم أهل التصوف قد يكون المقصود ثبوتها لهم عن علم بذلك فلا يحل إطلاقه إلاَّ بدليل، وقد يكون عن ظن أو تقليد مَن ليس أهلاً له فهو من الخلق ولا قصدٌ فيه غير هذا بخلاف مسألة كتب رسوم الأشربة والأنكحة وغيرها فالمقصود منها غير الوصف وهو إثبات الحق والابراء منه.

وتساهل في هذا مُوثِّقوا زماننا استناداً لهذه المسألة وهو خطأ إذ لعلَّ موضوعها قصدُ الاتصاف بها في زمن ما مُجرداً عن وجودها في حين

الوصف بالخصوص كما يفهم من عبارة إلَّا في أحاديث صلح الحُديبية لأنه قال ولم يكن مفتياً, بخلاف فعلهم فيصفون عن وهم أو تقليد مَن ليس أهلاً له ولم يثبت للموصوف به أصلاً في حين من الأحيان أو هو على خلاف ما وصف ويظنون إنه ليس من محل الشهادة, ولم يقل هذا ابن عبد السلام وإنما معنى كلامه أنَّ محل تتبُّع التحقيق في فصول الشهادة مقصور على إثبات الحق أو نفيه لا في التحلية بفقهٍ أو علمٍ أو صُلاح أو شرف فلا تتبع ولا يُطلب تحقُّقها للشَّاهد, وأمَّا كاتب الوثيقة فمُسلَّم أنه قصد مدلول التحلية اللغوي أو العُرفي فهو قائلٌ به أو مُخبرُ أنه ثبت له ذلك الوصف على وجه من الوجوه وسواء كان شاهداً أو لا وإلَّا كان الكلام عبثاً أو كذباً ممَّا يتحاشى عنه مناصب العلماء بالتحلية على غير الوجه المذكور من التسامح المفضي للزور, فلهذا كان الوصف في الوثائق بالعلم أو الصلاح أو الشرف معتبراً إذا كان كاتب الوثيقة عالماً, على إنَّ الإمام ابن عرفة صوَّب امتناع ابن سلامة واحتجَّ له بحديث

" **فقال للنصارى يوم القيامة ما كنتم تعبدون فيقولون كنا نعبدُ المسيح ابنُ الله فيُقال لهم كذبتم** " أُنظر لفظه.

ووجه الحُجَّة منه إنهم كانوا يعبدونه ولكنهم كذبوا في قولهم ابن الله، والغالب على أهلُ زماننا إنهم يصفون المشهود عليه بأوصاف غير ثابتة له لتُقيةٍ أو طمع, ومنهم يعوَّل على إنها ليست من محل الشهادة استناداً لقضية ابن عبد السلام وهذا خروج عن الموضوع سوَّغه الحرص على الاستفادة والإفادة أنالنا الله ثوابهما، فلنرجع إلى المقصود.

قال في " **المقصد** "

" كان الشَّيخ سيِّدي قاسم ﷺ تظهر عليه الأحوال فنزل يوماً مطرٌ شديد وحُجِر وهو مار بالطريق فصاح صيحة حالية وقال

" يكفي "

أي أُكفف فاقلع المطر إذ ذاك فشكاه بعض الناس إلى الشَّيخ سيِّدي عبدالرَّحمن أتقدر أن تقولها

فقال " لا "

فقال له الشَّيخ " هو قالها "

قال غيره وربَّما وجهٌ بان خطابه مع المَلَك المُوكَّل بذلك.

ومرةً أضرَّ مَن لهُ رئاسةٌ في قومه بالإذاية اللِّسانية بالشَّيخ سيّدي عبدالرَّحمن وحلفَ ليهدمنَّ زاويته فصاح أعني سيِّدي قاسماً وهو في حزب الغداة يقرأه قائلاً

" اليوم يُقطع رأس فلان "

يعني الرجل صاحب الإذاية, فكان من قدر الله أن خرج الرجُل ذلك اليوم إلى قتال أعراب غاروا على المدينة فما رجع إلَّا مقطوع الرأس وظهر مصداق قوله فكانت هذه والتي قبلها كرامة بصدقهما وتصديق شيخه

﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾[1]

وأمَرَ الشَّيخ سيّدي مُحمَّد يوماً بكتب تحبيس نسخة من البخاري على زاويته فقال للكاتب على سبيل التواضع أكتب على أصحاب سيِّدي عبدالرَّحمن فصاح سيّدي قاسم صيحةً حالية

" لا بل نحن من أصحابك "

فلم يُنكر عليه فكتب ذلك الكاتب حبساً على أصحاب سيِّدي مُحمَّد كما قال سيّدي قاسم وصادف مقاله الأدب ومُقتضاه.

وكان ﷺ شديد الأدب قوياً في الله يعرف منه الشَّيخ سيّدي مُحمَّد بن عبدالله وأصحابه ذلك ويُشير أحياناً إلى مرتبته.

---

[1] . هود 17

وكان سيّدي مُحمَّد لا يُحبُّ لأصحابه الاجتماع بغير الزاوية لمتنزه ولا لغيره وإن صدر ذلك منهم يوماً زجرهم ووبخهم عليه أشدَّ توبيخ لا يُسامحهم بذلك البتة, فإذا علِم أنَّ سيِّدي قاسماً كان معهم لم يقُل شيئاً لِما يعلم مِن شدَّة حزمه وورعه وإنه لا يحضر موضعاً إلَّا كان بالجدِ موصوفاً وبالخير محفوفاً.

وجلس مرة أصحاب الشَّيخ سيِّدي مُحمَّد بالزاوية يتحدَّثون وهو معهم فلمَّا دخل الشَّيخ سكتوا فصاح سيّدي قاسم والشَّيخ حاضر

" تكلموا وخوضوا فيما كنتم تخوضون "

ارشاداً منه للصِّدق وإرادةً له في كلِ شيء حتى لا يخفي أحد على الشَّيخ شيئاً.

وقال مرة سيِّدي مُحمَّد لسيِّدي قاسم

" الله يبارك فيك "

على عادة ما يقوله لغيره فقال له

" لا بارك الله فيَّ "

يُشير إلى إنَّ المعرفة على الله لا على الدعاء.

وخرج يوماً لزيارة مولانا عبد السلام وحده وقال إنَّ الذي يتبعني لا يربح فتبعه سيّدي قاسم فقيل له أما سمعت ما قال سيِّدي مُحمَّد فقال

" لست أعرفه على الربح إنما أعرفه على الخسارة "

يعني أنه لا يعرج على حظ فلما أشرف على سيّدي مُحمَّد قال له

" كل من أحببت أن لا يجيء لم يجيء " وقدمه أمامهُ وذَهبا.

وكان سيّدي قاسم ﷺ مصطلماً في التوحيد مُستغرقاً غائباً في الله فانياً به عمَّا سواه قوي الحال فيَّاض النور تغلب عليه الغيبة وتعتادهُ زيادتها في نحو خمس أيام من كل شهر فلا يعرف فيها الأرض من السماء, ويسأل

عن أوقات الصلاة في كلِ ساعة, وقد يسأل عن صلاةِ نهارية في الليل, وكان إذا وقع له ذلك لا يخرج من داره, وربما تجلس أمامه ابنته فلا يعرفها وكان مَلامتياً.

وكانت طريقته المحبوبية والفناء في التوحيد ولا يُشير إلَّا إليهما ولا يُعرِّج إلَّا عليها وينهض بالناس إليهما مِن طريق المحبَّة، وقال له بعض أصحاب سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله

" رأيتك في المنام وعليك كِساء ليس بينها وبين جسدك حائل مكتوب عليها " لا إله إلا أنت " كتابة مُحيطة بك كلك فقال له

" تلك حالتي وقد أطلعك الله عليها "

ولا يلوي على طريق الخوف ولا يُشير إليه ولا يُحبُّ مَن يقف مع الخوف وشهود مساويه مخافة أن يقصر به ذلك عن النهوض إلى الله, ويدلُّ على شهود الفعل من الله والتحقيق بفضله وإحسانه ويحضُّ ترك التَّدبير والاختيار ويقول في تقرير ذلك وتمثيله

" كحالك في بطن أُمك أكُنت ترى ثَمَّ تدبيراً واختياراً "

ويقول

" مَن كان يدبر عليك وأنت صغير" ؟

ويذكر سعة رحمة الله ويُبيِّنها برحمة الوالد لولده ويقول

" أتغلب رحمة المخلوق رحمة الخالق "

ويُلمِّح في كلامه بحقائق يستشهد عليها بآيات قرآنية وهو لا يحفظها لكونه أُميَّاً لكنه يُشير بكلمة إلى ما يُريد منها فيكمل له الآية مَن يحضره ممَّن يحفظها.

وقد جئتُ يوماً لزيارته وهي زيارة له الثانية أو الثالثة ولم أكن زرته أنا وأخي أبو عبدالله مُحمَّد العربي إلَّا نحو أربع مرات فيما قرب من وفاته

فدخلتُ الدَّار عليه بعد أن أذن لي ولم يكن يخرج تلك الأيام منها فجرى في كلامه الدلالة على ترك الاختيار وأن المُدبر مُخاصم مع الله واستشهد بقوله تعالى

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾[1]

ذكر بعضها وأكملت أنا له باقي الآية، وممَّا اتَّفق لي معه في ذلك اليوم أني لمَّا دخلت الزاوية وسألتُ عنه ولم يُبادرُني أحد من أصحابه للدلالة عليه فقلتُ في نفسي إنَّ في هذا العوام جفاء, فلما دخلتُ كان أول ما قال لي

" يا بني كان يقول سيّدي عبدالرَّحمن الفاسي لبعض الطلبة " إن تُحقِّر العامة أحقروك "

فعلمتُ أنه يريدُني واستغفرت الله ممَّا قلتُ في نفسي.

وقيل له يوماً أنَّ فلاناً مسكين فقال

" المسكين هو الذي لا يدبِّر مع الله ".

وقال بعض الناسِ يوماً

" يا سيّدي أنَّ الصبيان لمَّا علِمنا أنَّ عقولهم ناقصة عذرناهم ولم نؤاخذهم بشيء والله تعالى عالم أنَّ عقولنا قاصرة فهلا كان غير مؤاخذ لنا"

فقال ﷺ

"كن أنت معه كما هو الصبي مع أبيه لا تبدِّله بسواه وسيكون لك كذلك ".

وذُكر عنده يوماً بُكاء آدم بعد نزوله من الجنة فقال

" ليس على هبوطه منها بكاءهُ وإنما بكى على ما صَدر منه مِن المُخالفة ".

ودَخل يوماً على بعض الفقهاء وهو سيّدي حمدون الأبار يعوده من مرضه فقال له

---

[1] . يس 77

" كيف أنت "

فقال " أُشهدُك أني راضي "

فقال سيِّدي قاسم

" الرضى عند الناس نقصٌ "

فتعجَّب الفقيه من قوله وقال

" الرضى مفروضٌ علينا فكيف يكون نقصاً " ؟

فقال له سيِّدي قاسم

" لمن جسدك هذا ومن صوَّرهُ " ؟

فقال " الله "

فقال " لعلك انظر صنعت فيه شيئاً "

فقال " هذا شيء لا يمكن "

فقال سيِّدي قاسم

" إذا كان الجسد مُلك الله والفعل فعلهُ ففي أي شيء ترضى ؟ أيتصرَّف غيرك في ماله هذا فترضى له أنت "

فسكتَ الفقيهُ وعرَف صِحَّة الكلام وأعجبه وجعل يستحسنه ويذكره لِمن يعوده إلى غير ذلك مِن كلامه وحِكَمه.

وله ﷺ كلام عالٍ في الطريق وإشارة سامية وعلى كلامه من قوة الحال سطوةً وصولة لا تخفى على ذي قلبٍ سليم يتأثر به كل مَن سمِعه لا تنسى كلامه إذا سمِعته, وكان يتحرَّك عند السِماع وينهض قائماً يتواجد ويقول غير ما مرةً ويحلف بالله ويقول

" بالله رسول الله ﷺ معكم ".

وقال مرَّة وقد تحرَّك عند السِّماع

" أنَّ رسول الله ﷺ معكم وكلُ أحد يرجع إلى أيديكم ".

وقال مرة وهو في حال فيض أيضاً

" والله ما يسبق المدد لموضع قبل هذا الموضع "

وكان يعجبُه من السِماع قول القائل

فما قطُ حبيبي هجرني أنا ولا جارٌ عليَّ ولا قط جنا

وما كان بمعناه.

وكان مع هذا شديد الحزم في الدِّين واتباع السُنَّةِ رفيع الهمة جداً، مُنقطعاً عن الدَّنيا وأهلها في غايةٍ من الزُهد والورع وقلة ذات اليد يأكل من عمل يده ويتسبَّب في حانوته ولا يقبل من أحدٍ شيئاً ولو من أصحابه ما عدا سيِّدنا أحمد رضي الله عنهما.

وجاءه مرة بعض أصحابه بظرف كبير مملوء تمراً فردَّهُ عليه وتلى قوله **﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴾**[1]

ولم يكن أحد منهم يأتيه بشيء لِما علموا من حاله، وكان يأمرُ أصحابه بتصفية اللُّقمة والتسبُّب فيها ورفع الهمَّة عمَّا في أيدي الناس ويقول لهم

"كد اليمين وعرق الجبين والله المُعين "

ويحضُّهم على ترك الخلطة ويوصيهم مجانبة اللَّهو وأهله ويُحذِّر من ذلك غاية التحذير وإذا رأى أحداً منهم مُلبَّساً بهزل أو عبث هجرهُ حتى يتوب، هذه حاله ﷺ إلى أن مات.

وكان رحمه الله مُحباً لآل البيت مُعظِّماً لهم جداً وقع لنا ولغيرنا من الشُرفاء معه في ذلك حكايات وآيات.

وله ﷺ كرامات كثيرة ومُكاشفات غزيرة منع من التعرض لها هنا خشية الإطالة.

---

[1] . الإنسان 9

وكان يشم رائحة الفجر فيخبر به فيؤذِّن المؤذِّن أثر ذلك, وناهيك بهديه والاهتداء به كرامةً

" فليس مَن تنفتح له الدروب والأبواب كمن تنفتح على يده القلوب والألباب " كما قال ابن عطاء ﷺ.

وكفى في ذلك هدي سيِّدنا أحمد وتربيته وتخرُّجُهُ به وفتح بصيرته على يده رضي الله عنهما.

وقد شرعت لهذا العهد في تأليف مستقل في أخباره من كرامات وغيرها نويت تسميته عند اتمامه إن شاء الله تعالى " **بالزهر الباسم في أخبار الشَّيخ سيِّدي قاسم** " يسَّر الله تعالى في إكماله بمنِّه وأفضاله ".

انتهى كلام سيِّدنا الجد رحمه الله في " **المقصد** " وربما فيه تقديم وتأخير لأمرٍ عرض وفيه وصف الشَّيخ بالاصطلاح.

قال في " **نُزهة النادي** "

" **والاصطلاح**. ولَهُ يردُ على القلب فيسكن تحت سُلطانه، وما ذكره في شمه رائحةُ الفجر مثله ذكره أبو العباس العزفي في مناقب شيخ المغرب وصديقه أبي يعزى يلنورﷺ فقال عن الفقيه المُحدِّث الزاهد أبي الصبر أيوب بن عبدالله الفهري وكان يُصلِّي بالشَّيخ أبي يعزى في رمضان قال " صليت في رمضان وقمتُ في تراويحه فكنَّا إذا كان آخر اللَّيل وارتقبنا طلوع الفجر يخرج الناس ينتظرون المرَّة بعد المرَّة فرُبما قال بعض المترقِّبين طلع الفجر وكان يكون رأسه على ركبته أو في ثوبه فيخرج رأسه ويستنشق ويقول

" أفوا افُّوا الفجر "

فيبتدر الحاضرون يشاهدون الفجر بلا ريب فيه وشهِد هذا منه الحاج الحسيب المُسن الصالح أبو مُحمَّد بن عاصم فقال إنَّ الشَّيخ صدِّيق ولا يُنكِر هذا من الصدِّيقين ولا يتعجَّب منه، ألم تسمع قول النبي ﷺ

" **إذا طلع الفجر هبَّت ريح مِن تحت العرش أو قال مِن شق العرش أطيب رائحةً من المسك فلا يجد ريحها إلَّا نبيٌ أو صدِّيق** "

وهذه كرامة عظمى وبيانٍ له من مقام الصدِّيق المقام الأسنى " انتهى كلام العزفي, قلت وبه تَبيَّن مقام سيِّدنا قاسم ﷺ ونفعنا به وبأمثاله آمين.

البابُ الرابع فيما وَقفنا عَليهِ مَنصوصاً مِن كَراماتهِ وذِكر عَجائبِ مِن سَيرِه ومُكاشفاتهِ

قال في " **الإلماع** "

" ويكفي في سموِّهِ وعلوِّ قدرهِ تَخرُّج سيِّدنا أحمد بهِ وتربيتهِ وتهذيبهِ به فلنقتصر مِن كراماته على تلك الكرامة العظيمة فهي أعظم أية على طريقهِ المُستقيمة وتقدَّم آنفاً قوله في " **المقصد** "

" وله ﷺ كرامات كثيرة ومكاشفات غزيرة ورأيت جملة منها بخطِّ عمِّ والدنا العلاَّمة الثبت الثقة الضابط أبي عبد الله مُحمَّد العربي رحمه الله

منها أنه كان حُبس المطر فلم ينزل وضجر الناس فقال يوماً

" إنَّ المطر ينزل اليوم "

فوقع كما أخبر ونزل المطر ذلك اليوم.

قال سيِّدي أحمد بن عبدالله ﷺ من أصحاب سيِّدي قاسم بعد حكايته ذلك عن شيخه سيِّدي قاسم إنه لا يخبر بالشيء ويعين وقت وقوعه إلا مَن كان من الأولياء الأكابر.

قال مُقيده عفا الله عنه وقوله تعالى

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ... ﴾[1]

وقوله تعالى

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا ﴾[2]

قال المُحقِّقون, الذي اختصَّ الله به العلم الذي يستحيل تخلُّفه ويمثَّلُ له في الحادث بأنه العلم الذي يلازمه الجزم والمُطابقة والدَّليل وإلَّا فهو صفته القديمة وليس هذا محل تعريفه, والذي يقع للصَّالحين علمٌ لا يلازمه شيءٌ

1 . لقمان 34

2 . الجن 26

من ذلك وقد توجد معه الثلاث أو بعضها من غير لزوم وحيٌ نزل عن مرتبة العلم فالآية على عمومها وليس فيها ما ينفي وقوعه للصَّالحين وهو ناشئٌ عن التحديث أو الالقاء في الرَّوع أو غير ذلك وَزلَّ في هذا أقوام.

ومنها أنه كان ماراً بالطريق فنزل مطر كثيرٌ وحجر عظيم لم يعهد مثله فصاح صيحةً حاليةً قائلاً

" يكفي "

أي أكفف فاقلع المطر والحجر في الحين وتقدَّم توجيهه وما قال الشَّيخ سيِّدي عبدالرَّحمن للمُنكر عليه.

ومنها أنه كان يوماً بحانوته وكان قد احتبس المطر واحتاج الناس إليه كثيراً فاعتراه حال عظيم ووثب من حانوته إلى الأرض ورمى بما كان في يده من آلة الخدمة وصاح

" لا اعطيتنا الشتاء إلَّا الآن "

فنزل المطر في الحين وهو في مكانه ذلك لم يصعد إلى حانوته وأغاث الله البلاد ورحم بمنِّه العِباد.

ومنها أنه جاء بعض التُّجَّار يوماً وهو الحاج أحمد بن حيُّون المعروف بالسُّوداني رحمه الله يستشيره في الذهاب إلى بلاد السودان بقصد التجارة فقال له

" اذهب لا بأس عليك ليس هناك ما يشوشك تذهب وترجع سالماً إن شاء الله تعالى فإنَّ طريق السودان كلها قدامي انظر إليها هكذا فبسط كَفَّهُ ناظراً إليه "

ثم ذهب إلى بلاد السودان وبقيَ بها مُدةً ورجع إلى فاس ولم يلقَ في ذهابه وإيابه ما يضرُّهُ.

ومنها أنه كان يخدم مرة بالفأس بوطن ابن مسفر يزرعُ زرعاً له فخطر بباله أنه يضرب بالفأس ويجد كنزاً فضرب في الحين فوقع الفأس على لبنة

فاقتلعها فإذا تحتها وعاء مملوء دنانير ذهباً وهو المعروف عندنا بالطَّنجية فردَّ اللَّبنة إلى مكانها في الحين وانصرف وترك ذلك زُهداً فيه مع أنه كان حي في إقلالٌ عظيم مِن الدُّنيا ﷺ ونفعنا به آمين.

ومنها أن مُحمَّد بن سليمان الأقرع اللَّمطي حاكم أهل فاس ورئيسهم حَلَف ليلة ليهدمنَّ زاوية الشَّيخ سيِّدي عبدالرَّحمن بن مُحمَّد الفاسي ﷺ فصاح سيِّدي قاسم من ذلك العهد وهو في حزب الغداة قائلاً

" **اليوم يُقطع رأس بن سليمان** "

ثم اتَّفق أن خرجَ ابن سليمان ذلك اليوم إلى قتال أهل فاس الجديد وسلطانهم وكان أهل فاس ثاروا عليه ونبذوا دعوته فما رَجع إلَّا مقطوع الرأس ومات ميتةً جاهلية ودُفن بلا رأس والعياذُ بالله.

قال مُقيدهُ عفا الله عنه

" وتقدَّمت هذه في كلام صاحب " **المقصد** " وأُبهمَ المقتول هناك وهو الأحوط خروجاً من عهدة تعيينه تورعاً أن يكون غيبةً, وقد صرَّح العلماء أن لا غيبة في مثل هذا لأنه مجاهر بالكبائر وذكره مُعيَّناً أقوى في الاعتبار والتحذير مِن التَّعرُّض لِحُرم الله ومُسلَّمٌ أنه بأجله ومستحيل عدم وقوع ذلك به لكن الشأن أن جعله الله نكالاً لأهل مشاقة أولياءه وأَخَذَه أخذاً وبيلاً وبالعتو على أهل أصفيائه واجتبائه إذ سبقت لهم من الله العِناية، وتدميره بسبب أهل الغواية وهذه سنَّةُ الله في القرون السابقة والأمم الماضية فكم من جبَّارٍ انتقَمَ منه بطغيانه فأصبح مقطوعاً دابره بدار هوانه " انتهى.

أخرج البخاري عن أبي هُريرة ﷺ قال, قال رسولُ الله ﷺ

" **إنَّ الله تعالى قال مَن آذى لي ولياً فقد آذنتهُ بالحرب** "

وسيأتي, وأخرج الطبراني في أوسطه عن أنس ﷺ قال

قال رسول الله ﷺ

" مَن آذى مُسلِمَاً فقد آذاني ومَن آذاني فقد آذى الله "

فكيف بمن آذى خلاصة المسلمين ولبابهم وعيون الوجود ووجود العيون من ذوي الفضل والجود، وهذه كرامةٌ لسيِّدنا قاسم خصوصاً من حيثُ الكشف والاخبار بالغيب وله ولشَّيخه سيِّدي عبدالرَّحمن وسائر أهل الزاوية من حيث الاعتناء بهم والانتصار لهم عموماً.

ومنها أنه كان في الزمن الذي كان فيه القتال بين الأندلس واللَّمطيين يكون بحانوته والناس في عافية وأمان فيعتريه الحال ويذهب من حانوته وهو يقول

" الشَّرُ الشَّر "

فبالقرب من ذلك يقع القتال بين الفريقين تكرَّر ذلك غير ما مرَّة.

ومنها أنه لمَّا كان الغلاء المعروف بعام الشراط وطال على الناس انقضاؤه وضجروا وكان بقيَ أربع سنين فقال سيِّدي قاسم يوماً

" إنَّ هذا الغلاء قد تم وذهب وانقضى أمده "

فقال بعض الناس " يا سيِّدي إنه باقي "

فقال له

" لا إنه مضى وذهب وإنهم يعني أهلُ الله قتلوه وأنا ضربتُ معهم فيه بيدي "

فبالقرب من ذلك جاء وقت الصيف وكثُر الزَّرع ورَخص وذهب كما أخبر ﷺ.

ومنها أنَّ الحاج الأبر أبا عبدالله مُحمَّد بن مُحمَّد البكَّاري مرِض بالحمَّى مرضاً شديداً ألزمه الفراش وبقى بها ستة أشهر حتى ذهبت قواه وأوهنت عظمه وصار كالخيال والموت أقربُ إليه من الحياة فكان إذا ذُكرت حالته لسيِّدي قاسم يقول

" إنه لا يموت من ذلك المرض ويقول هل عنده شيءٌ من القمح "

فيُقال إنه عنده سلَّة منه فيقول

" لا يبرأ إلَّا إذا أتمَّها بالمأكل "

فبقى مريضاً يأكل أهله وعياله من ذلك القمح وربما يتصدَّق منه حتى فنى ولم يبق منه شيء ذهبت عنه الحُمَّى كما قال ﷺ.

ومنها إنَّ أبا عبدالله البكَّاري المذكور ذهب إلى بلاد بني واريش لبعض معارفه فاتَّفق أن ثار أهلُ فاس على السلطان مولانا اسماعيل وقتلوا قائدهُ زيدان وتحصَّنوا بمدينتهم وأحدق بها الجيش من كل ناحية يُقاتلون أهلها فجاء أقاربه إلى سيِّدي قاسم وأخبروه بذلك وخافوا عليه خوفاً شديداً أن يأتي فيُقتل فقال

" لا تخافوا عليه فإنه لا يضره شيء وسيجيئ "

فكان كما قال ﷺ وقدِم على فاس بعد مضي ثلاثة أيام ولم يلقَ في طريقه ما يضيرهُ.

ومنها أنَّ أبا عبدالله البكَّاري المذكور لمَّا أتى سيِّدي قاسماً بعد غيبته وسلَّمَ عليه قال له سيِّدي قاسم

" أرأيت يا فلان ما فعل هؤلاء من ثورهم على السلطان والله إنهم يرجعون إلى يده يعني يملكهم ويكونون تحت حكمه وطاعته كما كانوا أولاً "

فكان كما أخبر.

ومنها أنه كان جار لبعض أصحابه يؤذيه ويتطلَّع من داره عليه بقصد الاستشراف على أهله وعياله يُقال له الزَّريسي فنهاه عن فعله ذلك مراراً فلم يفعل وبقيَ على حاله ولمَّا رآه لم ينتهِ غضب غضباً مفرطا وأخذ سيفه وذهب ليقتله يفتش عليه فلم يجده, ثم سكن غضبه ورجع عن ذلك فمرَّ بسيِّدي قاسم وهو بحانوته فلما أشرف عليه قال له

" ما عندك " ؟

فقال له " ما عندي بشيء يا سيِّدي "

وكتم ذلك عنه حياء منه فقال له ﷺ موبخاً له ومُنكراً عليه

" أصرنا سيّاقًا نقتل الناس ما هذا الفعل الذي أردت أن تفعل "

وجعل يخاصمه فكاشفه بذلك ﷺ ولم يكن علِم به أحدٌ من الخلق، ثم بعد بثلاثة أيام بينما الرجل صاحب الإذاية ذاهب وإذا بثورٍ ضربه بقرنه في فخذه فجرحه وحُمل إلى داره فلم يبقى إلَّا أياماً قلائل وتوفي عفا الله عنا وعنه.

ومنها أنه كان مرة جالساً بمعصرة سيِّدنا أحمد بن عبدالله مع أصحابه فتكلموا في شأن الرؤساء الثلاثة القائد أحمد بن صالح والقائد مُحمَّد الصغير وحاكم فاس الجديد أحمد الدريدي فصاح

" لا بقيت معهم وأنا تاركطة التي لهم "

فقيل له إنَّ الدريدي عليه أسوار أربعة، سورٌ من الماء، وسوران من البنيان، وسورٌ من الرجال فقال

" وأنا أدخل عليه الخامس "

وقال مرةً **" ها مولاي الرشيد جاءهم "**

فظهر مقتضى قوله ومصداق فعله وأتى السلطان مولاي الرشيد بعد ذلك بثلاثة أشهر وقبض عليهم وقتلهم صبراً، نسأل الله العافية بمنِّه.

وتاركطة حيوان معلوم له جُرأةٌ وأقدام واحتيال يتسور الديار ويفترس الدجاج والحمام.

ومنها أنه كان يكون بداره ليلاً فتنبعث منه أشعة النور ويفيض منه حتى يمتلئ عليه البيت نوراً بحيث لو سقطت إبرة صغيرة جداً بالأرض لرأيتها من كثر النور, وذلك ممَّا يدلُّ على قوة حالته النورانية وفيضانها

حتى يظهر أثرها للعَيان, كان يقع له ذلك عند إرادة قيام الليل لنافلةٍ ونحوها حتى شاهد ذلك مَن معه ممَّن هو مع حسِّه.

ومنها أنه كان بعض شرفاء سجلماسة يتردَّد إلى زيارته فقيل أن سيّدي قاسماً يكره فلانا لبعض العلماء فانقطع الشريف عن الاتيان إليه وجعل إذا مرَّ به يعرض بوجهه عنه ولم يكلمه فرآه يوماً سيِّدي قاسم فسأله عن انقطاعه عنه فقال له

" إنك تكره سيِّدي فلانا العالم المذكور "

فحلف له أنه ليُحبُّهُ وما كرههُ فذهب الشريف ولم يقبل ذلك منه فبقى لم يأته مدة ثم جاءه يوماً في قلق وانزعاج وقال

" يا سيِّدي أعطني يدك أُقبلها إني رأيت رسول ﷺ في المنام وهو واضعٌ يده على رأسك وهو يقول لي

" **هذا الخرَّاز متاعنا** "

ثم عاد الشَّريف إلى زيارته كما كان أولاً وبقيَ يتردَّد إليه وزال ما به بسبب تلك الرؤية الكريمة.

ومنها أنه كان يشمُّ رائحة الفجر فيُخبر به فيؤذن المؤذن وقد تقدَّم ذكره وإنَّ مثله كان يقع لسيِّدي أبي يعزى ﷺ، والحديث لا يشمُّها إلَّا نبي أو صديّق.

ومنها وهي أعمَّها وأعظمها ما كان يفتح على يده للخلائق من الخيرات وقد تقدَّم.

قال ابن عطاء الله

" **وليس مَن تُفتح له الدُّروب والأبواب كمن تفتح على يده القلوب والألباب** ".

ومنها ما فتح على يده لسيِّدنا أحمد من الأسرار، وما لاحت له من جانبه من الأنوار، وما طلعت به من الشموس والأقمار، ومن أسراره الباهرة وآياته الظاهرة ﷺ وأرضاه أنه كان إذا جلس سيّدِنا أحمد بن عبدالله قدامه يغيب ويستحي ولا يبقى له وجود ويغلب على وجهه الاحمرار حتى يصل إلى الزرقة وبعد ذلك لم يبق شيءٌ من ذلك بل صار يكلمه بأدب ووقار وتعظيم من الحضور.

وقد خدمه سيّدنا أحمد خدمة عظيمة فكان يقيم داره من كل ما يحتاج إليه قمحاً وإداماً وكُسوةً له ولأولاده ويتحرَّى في الانفاق أنفس الأشياء ويخزن لهم كل ما يحتاجون إليه من ذلك ولا يدعهم من الضروريات ولا من التكميليات ولا من المباحات فيأكلون ويطعمون ويُنفق على أخت الشَّيخ وأولادها ويتعاهد الجميع.

وكان الشَّيخ كثير الاضياف من الرجال والنساء فيُقيمهم في وقت المسغبة والصاع بخمس أواق فيقول

" الليلة يبيتُ عندنا أصحابنا أو غيرهم "

فيقول نعم يا سيِّدي ويقيمهم ممَّا يحتاجون إليه, وغرسَ له أجنَّةً بلمطة وبنى له دياراً ووهب لولديه داراً ورِثها عن آبائه هي الآن في مُلك أولاد الشَّيخ وزوَّجه وزوَّج بنيه وبناته وذلك كُله مُقرَّر ومبسوط في " **الالماع والمقصد** ".

والحاصل إنَّ خدمته له أمرٌ خارقٌ للعادة ممَّا تقصُر عنه الافادة وذلك كله من بركة الشَّيخ ﷺ صرَّح به سيّدنا أحمد مِراراً ثم من بركة سيِّدنا شيخ الشَّيخ سيِّدنا مُحمَّد بن عبدالله ثم من بركة شيخيه الإمامين الأخوين الركنين المُعلمين سيِّدنا أبي زيد عبدالرَّحمن وسيِّدنا يوسف الفاسيين ثم من بركة أشياخهما وهلُمَ جرة جعلنا الله في حماهم آمين.

الباب الخامس في ذكرِ تراجم مَن وقفتُ عليهِ مِن مَشايخهِ الأعلام ومَا لَهُم مِن رُتَب الإجلال والإعظام

أمَّا مشايخه الأعلام فتقدَّم في كلام صاحب " **الالماع** " أنه أخذ عن نحو خمسة وعشرين شيخاً.

وقال في " **المقصد** "

غير ما مرَّة أنه لقيَ ستاً وعشرين شيخاً ويُسمِّيهم وربما يعُدُّهم في سبحتهِ فيذكر عدداً من المعروفين أدرك هو وقتهم ما بين ذوي الأحوال وبهاليل, ووقفتُ على أربعة عشر منهم ثلاثة هم عمدته وأخذ عنهم وصحبهم واستفاد على سبيل التحكيم وسلب الإرادة والآخرون لقيهم وتبرَّك منهم فقط.

فأما الثلاثة الذين هم عمدته

فأولهم هو سيِّدي مبارك الكوشي رحمه الله

صَحبهُ سيِّدي قاسم بضع سنين لم أقف على تعيين عدة.

قال في " **المقصد** "

" كان رجلاً كوشاً مُسِناً جداً منفرداً مُتجرداً غير متأهل ولا متسبب, تلك حالته يأوي بالمدرسة المصباحية يبيت منها عادته فيما يقتاته إنه يمرُّ بالسُّوق ويقف في بعض الحوانيت يتعرَّض لأهلها من غير أن يذكر شيئاً وإن حصل له مقدار الكفاية من واحد لم يتعرض للثاني, وجاء زمن غلاء كان في وقته فقال

" إنَّ الناس اليوم لا يَعطون "

فلزِم بيته ولم يتعرض لأحدٍ فقيَّض الله امرأةً تأتيه بآنيةٍ مملوء بالكسكُوس واللَّحم كل يوم لا يعرف مَن هي فتعرض رحمه الله للسؤال مع قوة توكله

ارتكاباً لطريق السَّبب الظاهر كما فعله غيرُ واحد من أكابر الزُهَّاد المتوكلين كأبي سعيد الخرَّاز وأبي جعفر الحدَّاد شيخ الجُنيد وغيرهما وكفَّ عنه ثانياً مخافة أن يتضرَّر الناس بسببه إذا منعوا فأظهر الله تعالى عند ذلك عنايته ومصداق توكله عليه فأغناه عنهم ظاهراً كما أغناه عنهم باطناً.

وكان ﷺ زاهداً ورعاً في غايةً من الخمول والانقطاع عن الدُّنيا وأهلها مُجاب الدعوة وله كرامات ومُكاشفات.

منها أنه صرَّح بمجيء غلاء وقع في زمانه أخبر به قبل ورود أبانه أظنه غلاء اثنين وعشرين وألف الذي بلغ فيه مُد القمح بفاس من شدَّة الغلاء خمس أواق ومثل ذلك أو قريب منه, وأمر سيِّدي قاسماً بشراء القمح في ذلك الغلاء فقال له

" لا شيء عندي يا سيِّدي "

فقال استودعك الله فلم يرى سيِّدي قاسم في ذلك الغلاء ما يضرُّه ويُسِّرت فيه والحمد لله.

قال مقيده ومثل هذا الغلاء أو قريب منه الغلاء المتقدِّم عام خمسين ومائة وألف لأنه بلغ فيه المُدُّ من القمح نحو مثقالين ولم يطل حتى رجع إلى مثقال ونصف فطال ولم ينزل سعره إلَّا بعد نحو ثلاث سنين، لكن كيلُ المُد في عام خمسين ثلاثة أصع نبوية وكَيلهُ في عام اثنين وعشرين السابق صاع نبوي واحد كما يُفيده كلام صاحب " **مرآة المحاسن** " فاتحدَّت أو قربت قيمة القمح في الزمانين.

ومنها أنه كان مرةً مجتازاً من باب المدرسة المصباحية إلى القرويين فتصادم مع رجل كان ذاهباً في الطريق فغضب الرجل مفرطاً وجعل يسبُّهُ ويشتمه وأكثر من ذلك وسيِّدي مُبارك ساكت لا يزيده على النظر شيئاً فلمَّا لم ينته قال له

" الله لا يُميتني ميتتَك "

فما ذهب الرجل عن مكانه ذلك إلَّا قدر مائة خطوة وإذا برجل من أعدائه لقيه فعرض له وضربه بالسيف ضربات فقتله ومات من حينه, نسأل الله العافية ونعوذ به من إذاية أوليائه.

ومنها أنه لمَّا قرُبت وفاته أخبر سيِّدي قاسماً بموته وقال له

" إني ذاهب إلى البلاد الكبيرة يعني الدار الآخرة وأنتَّ الذين أتوا بك قالوا هم أخبرُ بك حيث شاءوا أنزلوك ".

فكان سيِّدي قاسم يذكر ذلك عنه ويُفسِّر قوله " الذين أتوا بك " بأنه سيِّدي يوسف الفاسي ﷺ إذ كان سيِّدي قاسم رحمه الله طلب ذلك عند ضريحه كما اسلفناه وتمنَّى عليه أن يخدم رجلاً من أهل الله وحده فأعطاه إياه بإذن الله تعالى وهو الذي ردَّهُ بعده إلى أخيه وارث حاله سيِّدي عبدالرَّحمن نفعنا الله بهما كما قاله سيِّدي قاسم رحمه الله.

وكان هذا الشَّيخ من المنفردين ليس له من الاتباع فيما نعرف سوى سيِّدي قاسم فكان لأجل تفرُّده يَود أن يكون موته دون تقدُّم مرض ويدعوا بذلك ويقول

" أني غريب، اللَّهُمَّ اجعل موتتي كطيحة القلة "

ظرف معروف عند الناس فاستجاب الله دعوته وأكمل مودَّته فمات كما طلب بينما هو يوماً في جامع القرويين في صلاةٍ أو غيرها إذ سقط إلى الأرض ومات من حينه وكانت وفاته في حدود خمسٍ وعشرين وألف ودُفن خارج باب الجيسةِ بالقرب منها يمين الطريق الذاهبة إلى الجبارين، وقد بنى سيِّدنا أبو العباس بإذن شيخه سيِّدي قاسم وفي حياته قوساً وجهه يُقابل

جبل زالغ[1] وظهره إلى المدينة بخلاف الأقواس حوله وخرج معه يوم الشروع في بنائه سيِّدي قاسم رحمه الله وحضر ذلك معه.

وقد كنتُ نظَّمتُ في تاريخ وفاته مشيراً إلى تمييز قبره ببيتين نقشتهما مَن ابتغى الأجر في زيج بنى بوجه القوس وهما.

هـذا ضـريح ولـيُ الله سـيِّدنا مُبارِكٌ مُفرد الزُّهَّاد فـي الفاني
في نحو خمسٍ وعشرين وألف قضاً وسار لله في روحٌ وريحان

والدعاء عند قبره مُستجاب، حدَّثني بعض الثقات أنه سمع الشَّيخ سيِّدي قاسماً ﷺ يقول قال سيِّدي مُبارك

" إذا أردت قضاء حاجة فأتي قبري يوم السبت قبل طلوع الشمس واستقبل القبلة ونادي ثلاث مرات تُقضى لك إن شاء الله تعالى "

قال لي ذلك الثقة وقد كنتُ زماناً أدور على دور الكراء وعَسُر عليَّ وجود القرار مع العجز عن اعطاء الكراء فضلاً عن شراء الدار فزرتُ هذا الشَّيخ كما سمعتُ من سيِّدي قاسم فما مضت جمعة حتى فتح الله عليَّ في شراء الدار ببركته ﷺ.

وكنت أنا على دَين نحو الأربعمائة أوقية عَسُر عليَّ قضاؤه وأهمَّني اقتضاؤه فتردَّدتُ لزيارته مرَّات على الوصف فجعل الله لي بعد ذلك مخرجاً وقضى بعضه وسمح لي بعضه من غير كُلفة ثم بعد مُدَّة وجدنا من التيسير والحمد لله.

وقد قلت في أيام تردُّدي إليه قصيدةً أذكُر فيها حاجتي وأصفُ حالتي عرضتها عليه بضريحه وهي.

---

1 . جبل زالغ، جبل يطل على المدينة العتيقة لفاس يمكن مشاهدته من كل أرجاء المدينة نظراً لعلوه وامتداده الواسع يبتدأ من نهر سبو شرقاً وينتهي غرباً على بُعد نحو 14 ميلاً منه.

يــا ســيّدي يــا ذا المقــام العــالي أمبـــارك الأقـــوال والأفعـــالِ
يـــا نابـــذ الفـــاني وراءه رغبـــةً فـي الواحـد البـاقي بغيـر زوالـي
يــا ذا الغنــا بــالله بــين عبــاده فـــي حالـــةِ الإكثـــار والإقـــلالِ
يــا ذُخــر مكتنــزي وكنــز ذخيرتــي يـــا دُرةَ الإعظـــام والإجـــلالِ
الله فضَّـــــلكم بــــأي مثوبــــةٍ والله أكــــرمكم بخيــــر نــــوالِ
لــي عنـد بـاب نَـداك وقفـةَ سـائلٍ أدعـــوا بجاهــك ربنـــا المتعـــالِ
مستشــــفعاً بكـــم لمـــن أولاكـــم مســـتدفعاً بكـــم جميـــع وبـــال
وعلـــيَّ ديـــن هـــالني ولطالمـــا قـــد بـــتُّ منـــه بليـــة الأهـــوالِ
أودى بــــديني أمــــره وأفــــادني نقـــض العُهـــودِ وحالـــة الإدلالِ
فعســـى بجـــاهكم تُـــنفَّسُ كربتـــي وأُفـك مـن أسـري ومـن أوحـالي
ولقـــد ســـمعنا عـــنكم بمقالـــةٍ يسـلوا بـي مثلـي كئيـب البـالِ
مَــن كــان نــاداكم ثلاثــاً باســمكم بضـــريحُكم مُســـتقبلاً فـــي الحـــالِ
بِغَــداةِ يــوم الســبت قبــل شــروقه قُضـــيت مآربـــه بـــلا إهمـــالِ
فبجـــاهِ ســـيِّدنا وحرمـــةُ شـــيخهِ تلميـــذكم وبكـــم يُجـــاب ســـؤالِ
وينيلنـــا المـــولى رضـــىً وكرامـــةً منــه الهُــدى وبــه صــلاحُ الحــالِ
والله يُجـــزيكم بأفضـــل مـــا جـــزى أهـــلُ الولايـــةِ وهـــو ذو الأفعـــالِ
وعليكمُ منَّا عبيق تحيـــــــــــــةٍ تغشاكمُ بُكراً وفي الآصـــــــــــالِ

وأشرت بقولي بجاهِ سيِّدنا إلى سيِّدي أحمد بن عبدالله ﷺ ورزقني محبته وأنالني بركته وبشَّيخه تلميذكم إلى سيِّدي قاسم رحمه الله ﷺ.

" انتهى كلام سيِّدنا الجد في " **المقصد** " بنصِّه ولم أقف على شيء غيره.

والقوس الذي بنى سيّدنا أحمد بن عبدالله تلاشى وجدَّد بناءه الوالي بفاس في حدود سبعة وأربعين ومائة وألف, وهو مُحمَّد بن علي بن يش اليازغي على الهيئة التي بناه عليها سيِّدي أحمد وزاد عليه قبة صغرى من خشب وزلج وردَّ إليه الزليج المرقوم فيه البيتان

" هذا ضريح إلى آخرهما "

فهي الآن منقوشة فيه وأدار عليه مع قبر آخر قوساً لا أدري لمن القبر الآخر وهو ألآن مزار يقصُده الناس لقضاء الحوائج والتبرُّك به خصوصاً يوم السبت في الوقت المذكور رضي الله تعالى عنه وأنالنا بركته آمين.

وثانيهم وهو سيِّدي عبدالرَّحمن بن مُحمَّد الفاسي ﷺ

وهو إمامٌ مشهور وذكرُهُ في غير ما مؤلَف مسطور " **كمرآة المحاسن** " لولد أخيه سيِّدي العربي و " **كالإلماع ومُمتِع الأسماع** " وكلاهما لولد أخيه سيِّدي المهدي وألَّف فيه ولدُ حفيد أخيه سميُّه الحافظ سيِّدي عبدالرَّحمن بن الإمام عبدالقادر تأليفاً مستقلاً, صَحبهُ سيِّدي قاسم عشر سنين بعد موت شيخه سيِّدي مُبارك المُتقدِّم.

وقال في " **المرآة** "

" كان ﷺ إماماً عالماً مُتبحِراً نظاراً جامعاً لأدوات الاجتهاد مائلاً إليه, مُحقِّقاً في جميع العلوم عارفاً بالنحو واللُغةِ والفقه والأحوال والكلام والمنطق والبيان وغير ذلك, إماماً جامعاً في جميع ذلك متوسعاً في الأصلين لا يدُرك فيهما شأوه, جيد الفهم مُصيب السَّهم شَهِد له بذلك شيوخه واعترف له به أهل عصره، وأما معاني القرآن والحديث والتَّصوُّف المؤيد بالكتاب والسُنَّة فلا يُجارى في شيء من ذلك يوردهُ استحضاراً, مُستحضراً لحديث الصحيحين وأكثر مشارق القاضي عياض وما عورضَ به بين الآيات وبين

الأحاديث وما قيل في ذلك وما أُجيب به ويُصحِّح ويُضعِّف ويُزيِّف، متين الدِّين صليباً في الحق قوّالاً به حسنَ الأخلاق كريم النفس عالي الهمَّة ممتع المجالسة طيب المؤانسة حسن العبادة سهل التعليم زاهداً في الدنيا لم يتعاط قطُّ أسبابها ولا رغِب فيها وإنما كان يتعاطى القيام بما بيده منها غيره, ثم مضى ذلك ولم يتأثر به مُيسَّر الرِّزق غير مُتهلّع له متوكلاً على الله حَسن اللِّباس لا يُرى عليه أثر فاقةٍ ولا حاجةٍ ظاهر الغنا غنياً بالله تعالى.

أخذ عن جماعة واقتصر بعد تضلُّعه على الإمام المُتقِن المُحقِّق النظّار أبي عبدالله مُحمَّد بن قاسم القصَّار فأخذ عنه كثير من التَّفسير والحديث والتصوف وغير ذلك وفتح على صاحب الترجمة على يده.

ومن تصانيفه " **تفسير الفاتحة على طريق الإشارة** " و " **حاشية في التفسير عظيمة الفائدة** " و " **حاشية على صحيح البخاري** " و " **حاشية على دلائل الخيرات** " و " **حاشية على الحزب الكبير** " و " **حاشيتان على شرح الصُغرى** ".

قال وانقادت إليه الرئاسة بحضرة فاس فانفرد بها واحتاج إليه السلطان فمن دونه، ونفِذت كلمته مرجوعاً إليه في كل مهم متبوعاً في كلِ ما يقصد إلى أن توفيَ رحمه الله " انتهى كلام " **المرآة** "مع حذف منه لطوله.

قلت وله " **حاشية على مختصر خليل** " رأيتها بخطِّ حفيد ولد أخيه العلاَّمة سيِّدي مُحمَّد بن عبد القادر.

وقال في " **المقصد** "

" كان إماماً شهيراً وعالماً كبيراً وعارفاً راسخاً وطوطاً شامخاً, قوي الأنوار فيَّاض الأسرار, ممَّن جمع بين الإمامتين وحظى بالمرتبتين, ولد ﷺ بالقصر الكبير في حدود سنة وثلاث وسبعين بتقديم السين وتسعمائة

بتقديم الفوقية وبالقصر كان سلفه رحمهم الله, ثم انتقل إلى فاس مع أخيه لأبيه الشَّيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي ﷺ واستوطنوها مع سنة ثمان وثمانين من القرن المذكور وهو إذ ذاك ابن خمس عشرة سنة أو نحوها, وأخذ في طلب العلم وتحصيله على مشايخها فأخذ عن غير واحد منهم وتخرَّج بالشَّيخ الإمام العلاَّمة الهُمام قدوة المُحقِّقين وعُمدة المُحصلين شيخ الإسلام ومُفتي الأنام أبي عبدالله سيِّدي بن قاسم القصَّار دعى به القيسي الغرناطي رحمه الله ومَهَر في العلوم وبرع في الفنون فكان إماماً فيها وخصوصاً الحديث والتفسير. انتهى كلام " **المقصد** "

وقال في " **ممتع الاسماع** "

قال الشيَّخ أبو العباس بن العرِّيف إذا أراد الله أن يُهيئ عبداً للإمامة والاقتداء شغله في أيام غفلته بعلم الظاهر من القراءة والفقه والحديث ثم ينقله إلى علم الأحوال والمقامات, فعند ذلك يستحقُّ الإمامة والتقديم فلم يتداركه الجذب من أول مرة بل شغله بطلب العلم فطلبه عند مشيخة فاس وأئمتها حتى تضلَّع بالعلوم وحصل منها على ما لم يحصل عليه غيره من مشيخة وقته, وشهِد للشَّيخ أبي مُحمَّد شيوخ فاس بالتقدُّم في جميعها وأشاروا إليه بالتحقيق والتبريز في سائر أنواعها, ثم أنهضَ الله تعالى إليه هِمَّة أخيه الشَّيخ أبي المحاسن رحمةً منهُ سابقة ومنَّةً مُتحقِّقة فتوجَّه إليه بعناية الله وإذنه وإرادته فأمدَّهُ بمددٍ قوي فتداركه الجذب وورَد عليه وارد الحُب ونزل به من ذلك حالٌ عظيم.

وكان الشَّيخ ابو المحاسن قال لأصحابه

" عبدالرَّحمن أخي أنا قطعتُ عليه الطريق كان يكتبُ كتاباً شريفاً فقطعتُ عليه "

فذكر ذلك للشَّيخ أبي مُحمَّد وسُئل عن الكتاب فقال هو " **القاموس** " وكان ينسخه لنفسه حتى بلغ مادة " مع " حيث قال أو هي للمصاحبة فكانت مناسبة للحال ففاجئه الجذب وورد عليه وارد قوي أزعجه وغلبَ عليه فكان ذلك آخر العهد منه بالنسخ.

ولازم الشَّيخ أبا المحاسن واختصَّ به وانجمع عليه ورفض ما سواه واستوحش من الناس وترك ملابسة العلوم الرسمية وخرج عن عوائده ومألوفاته ولم يبق فيه لغير محبوبه بقيَّة.

وكان مذ أوَّلَ مرة يدخلُ الدار ويخرج ولا يعرف ما ازداد فيها ولا نقص ولا يشعُر بشيء إذ كان مأخوذاً عن نفسه مقتطعاً عن شاهده وحِسه إلَّا أنَّ رسوم الشريعة محفوظةً عليه ولم يزل شيخه يجاذبه ويُسايره في أحواله ومقاماته في سلوكه ويستنزله ويردُّهُ إلى الوجود ليتكمَّل ويحصل به نفع العباد ويصلح لتربيتهم.

فأمره مرةً بإقراء ولد أبي عبدالله مُحمَّد العربي صغرى الشَّيخ السنوسي فقال

" إنَّ ذلك يثقُل عليّ "

يعني لعدم مناسبته لحاله لأنه رجوع من الشهود والعيان إلى تعاطي الدليل والبرهان فقال

" سبحان الله أرأيت الذي يخاطب الحمار أو غيره من الدَّواب بألفاظها المعهودة لها أذلك لغته إنما هو خطابٌ لها على قدرها " ثم بعد أيام سألني وقال

" كيف تجد ذلك " ؟

فقلتُ **" إنه ثقيل عليّ "**

فقال كيف تجد القرآن ؟

فقال " **جمع على الله** "

فقال " والحديث " ؟

فقلت " **إنه منوَّر** "

قال " فرأيته سرَّ واستنار وجهه " يعني لكونه اختبره فوجده سليم الفطرة جيد المذاق.

قال وكان الشَّيخ أبو المحاسن يقول فيه

" لولا إنه وجد الشَّيخ أو قال المعلم يعني نفسه لكان ممَّن يبول على رجليه "

يعني من قوة ما نزل به يعني إنه يتولَّه ويكون من جملة المتولِّهين المغلوبين على أنفسهم المنقطعين عن حسهم وكان يقول فيه أيضاً

" عبدالرَّحمن أخي له يدٌ مع الله وعند الله إلَّا إنَّ أي الوقت عمَّنا وعمَّه أجرُنا وأجرُه على الله ".

وقال فيه

" أنه حكيم "

وكان هو يقول

" أنه هو وشيخه أبو المحاسن خُلقا كرةً واحدةً من نور فقُسمت بينهما ".

وسمعتُ سيِّدنا الإمام سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله يقول

" إنَّ هذا شأن الوارث مع موروثه فإذا غاب النصف ناب عنه النصف الآخر لأجل إنهما شيءٌ واحد ما وردَ على هذا شيءٌ إلَّا وردَ على الآخر ولا أراد أن يتكلَّم هذا بكلام أو يفعل فعلاً إلَّا أراد الآخر وارتسم فيه "

كما كان يقع له هو مع صاحب الترجمة.

قال ولمَّا حضرت وفاة الشَّيخ أبا المحاسن كان معه أقرباؤه فصار يقول

" أين فلان حتى قال أين عبدالرَّحمن أخي " ؟

فقالوا هنا فدعا له بالبركة.

وكان الشَّيخ سيِّدي أبو مُحمِّد عبدالرَّحمن الفاسي الغالب عليه الغَيبة والاستغراق في التوحيد وكان يقول في شيخِه

" هو أمكنُ منِّي وأنا شَرْوَلَتني الحقيقة "

وكان سيِّدي أبو مُحمَّد عبدالرَّحمن مع ذلك محفوظةً عليه رسومه وكان إذا تكلَّم في العلم كأنه حاضر كلُّهُ لا يغادر شيئاً ممَّا تحتاج إليه المسألة المُتكلَّم عليها ويقتضيه المقام، وكان ربما يقول للحاضرين من الفقهاء وغيرهم

﴿ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ ﴾[1]

يعني في مسائل العلم.

وكان بعض المقيدين عنه من الطلبة يوماً فاته كلام قاله في حال تقييده لغيره فطلب منه أن يُعبِّره عليه فقال له أقول كما قال الجُنيد

" لو كنتُ أجريه لَكُنتُ أمليه ".

وكان بعض الفقهاء يحضر مجلسه في البخاري, فطالع يوماً ابن حجر في منزله وأتى فقال له في المجلس

" هنا ما ليس عند ابن حجر "

كأنه كاشفه بمطالعته قال فاستعظمتُ من ذلك واستغربت أن يكون عند أحدٍ ما ليس عند ابن حجر, قال فما تمَّ المجلس حتى اعترفت بصحَّةِ ما قال, ولمَّا توفي شيخه تأهل للمشيخة وانتصب داعياً إلى الله انتفع به أناسٌ كثيرون وظهر ظهوراً عظيماً ولم يُذكر أحدٌ معه في علم الشريعة ولا في الطريقة وظهرت له الخوارق العظيمة والكرامات الجسيمة, وفي صبيحة تسعة وعشرين من رمضان سنة خمس عشرة وألف ابتُدأ قراءة الأحزاب

---

[1] . هود 55

عنده المرتبة مساءاً وصباحاً بالمسجد المعلَّق حول داره, وفي سنة سبع وعشرين وألف بنى زاويته وانتقل إليها.

وتوفي ﷺ آخر ليلة الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ست وثلاثين وألف ودُفنَ في روضة أخيه الشَّيخ أبي المحاسن قريباً من القُبَّة في شمالها وبني عليه بناء حسن ﷺ ونفعنا بها " انتهى كلامه في المُمتع بحرف.

وقال في " **المقصد** "

" وله ﷺ كرامات كثيرة ذِكرها يطول، وكانت في زمانه فتن وشرور تقع فيما بين أهل المدينة ممَّا يكون سببهُ تمرُّد بعض الظلمة من أهلها فكان كثيراً ما يصلح الله أمرهم على يده، وإذا آذاه أحدٌ بلسانه أو أبى إلَّا إذاية المُسلمين انتقم الله منه على يده.

ولقد قال مرة

" اتفق لي معكم كما يتفق للعقرب تقع في مزود مملوء جراد تلسعَ حتى تمل ".

ولمَّا مرِض مرضه الذي توفي فيه سنة " 1036هـ " أخبر أنه يموت منه وقال لي

" عبدالرَّحمن يسكُن الجنان "

فمات منه كما أخبر، ورمز لوفاته الأديب أبو عبدالله المكلاتي بشلو من قوله

أبو زيد الفاسي شلو معظم   رثاه حديث المصطفى بمُسلسلِ

وثالثهم وهو سيِّدي مُحمَّد بن مُحمَّد بن عبدالله رضي الله عنه

صحبه سيِّدي قاسم أربعاً وثلاثين سنةً على سبيل سلب الإرادة والتحكيم كالذين قبله وهو إمامٌ مشهور وصديّقٌ كبير ذُكر له في " **ممتع الأسماع** " ترجمة جميلة جامعةٌ لمعانٍ جليلة تزيد في كراسة في الرباعي بالخط الرقيق المَزحوم جداً وكذا في الباب الأول من " **المقصد** " ونلتقط هنا بعض نفائس الجواهر للعجز عن إحصار النزر ممَّا له من عليِّ المفاخر.

قال في " **التحفة** "

" سيِّدنا ومولانا ووسيلتنا إلى ربنا الشَّيخ الإمام الحَبر الهمام ذو الهمة العليَّة والمفاخر السنيَّة, العارف الكامل الراسخ المُحقق الواصل, الصدِّيق الخطير الوارث الربَّاني, الدائم الشهود المتحقِّق بالوجود, مُقيم السُنة ومجرد الدين الناصح لعباد الله والدال على الله, أبو عبدالله مُحمَّد بن مُحمَّد بن عبدالله معن الأندلُسي، أخذ عن الشَّيخ أبي المحاسن وعلى يديه فُتح له ثم بعد موته تربَّى بوارثه أخيه أبي مُحمَّد عبدالرَّحمن.

وفي " **المُمتع** "

" يُعرف قديماً بمعن وبعد ذلك إلى الآن بابن عبدالله ".

وقال في " **المقصد** "

ولِد تقريباً سنة ثمان وسبعين بتقديم السين وتسعمائة بتقديم الفوقية جوَّد القرآن بروايتي نافع على الشَّيخ الصالح الأستاذ أبي مُحمَّد سيِّدي الحسن بن مُحمَّد الدَّراوي دفين خارج باب الفتوح وعلى الشَّيخ أبي العباس أحمد بن عثمان اللَّمطي وغيرهما، واستفاد من إرث أبيه اثنا عشر مائة دينار ذهباً ففرَّق جميعها في القراطيس على الفقراء ".

وقال في " **المُمتع** "

" تصدَّق لطلب العلم وكان يأوي مع أخٍ له في الله بمسجد الحفَّارين من حيث سكناهم يبيتان يصليان، فنقمَ عليهما أهل الحومة وكتبوا سؤالاً للشَّيخ القصَّار فوقع عليه مُجيباً

﴿. يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾[1].

وكان يواظب على زيارة الشَّيخ أبي عبدالله التاودي إلى بلوغ أشدَّهُ أي مضى له في العمر حدود له ثلاثين سنة، زار الشَّيخ مولانا عبد السلام بن مشيش مع والده فطلب عنده أن يجمعه بشيخٍ يوصله فمرَّ بسقيف المخفية فحسَ بعقله قد ذهب إليها وكان سيِّدي يوسف بها فلقى رجُلاً من أصحابه فدلَّهُ عليه, فلمَّا وقعت عينُه على عينِه غاب فيه وانجمع عليه ونزل به جذبٌ قوي وحالُ عظيم فكان لا يُفارق زاوية سيِّدي يوسف أكثر نهاره وكان يُخرج نحو نصف رطل من زريعة دود القز ولا يجده الوقت إلَّا بالزاوية ولا يألوا من النظر إلى الشَّيخ, فقال له مرَّة عن غلبة حال

" يا سيِّدي إني أُحبك "

فقال له " أحبك الله ونوَّرك ".

ولمَّا غلب بإشراق باطنه بنور التوحيد أمتنع من ذكر اسم الجلالة بالنفي والاثبات فتشوش من ذلك وذكره للشَّيخ فقال

" لا تخف واذكر ما شئت ما دُمتُ لك حياً "

ووقع مثل هذا لغيره من الاكابر كان أبو بكر الشبلي ﵁ يقول " الله " فقيل له لِمَ لا تقُل " لا إله إلا الله " فقال

" نفي العيب حيث يستحيل العيب عيب "

وهذا الكلام بين في العقل إلَّا إنهم ردُّوه لأنه ردَّ لكلمة التوحيد ونفى لوجوبها.

---

[1] . النساء 73

وأجاب بعضهم بأنه إثبات لمعنى ما جاءت له وهو نفى الكفر وروية الحق تعالى منفرداً بكل حال وذلك أنَّ الكلمة الكريمة واجبة في أصل الإيمان نفياً لعلة الكُفر وهو إثبات الغير مع الله تعالى, فلمَّا زالت علةُ الكفر عن المؤمن صارت في حقه كسائر الأذكار بل وربَّما فضلها غيرها لمعنى زائد فيه بعد التحقيق بمعناها, كما ورد في الخبر من قال " لا إله إلا الله " كُتبت له عشر حسنات، ومن قال " سبحان الله " كُتبت له عشرون، ومن قال " الحمد لله " كُتبت له ثلاثون وذلك لأن الثانية تضمَّنت معنى الأولى وزيادة التنزيه, والثلاثة تضمنت معناهما وزيادة الشكر , واعتبر بقوله تعالى

﴿ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾[1]

ولم يقُل لا إله إلَّا الله

وقوله تعالى

﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا . ﴾[2]

فوصفهم بأوصاف الأولياء لقولهم ما صدر من هذا الولي يعني الشبلي الذي هو أدلُّ دليل على ولايته والجاهل يظنه من غوايته.

ثم قال فإن قيل إذا صحَّ هذا فما معنى قوله تعالى

﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ . ﴾[3]

وقوله عليه السلام

" أفضلُ ما قُلتُ أنا والنبيون من قبلي لا إله إلَّا الله"[4].

فالجواب إنه أحال في الآية على العلم بها وهو معنى ما ذكرناه.

---

1 . الأنعام 91

2 . فُصلت 30

3 . مُحمَّد 19

4 روى عن النبي ﷺ يوم عرفة " أفضل ما قلتُ أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كلِ شيءٍ قدير " رواه الترمذي.

فأمَّا الحديث فظاهر الاختصاص بالنَّبيين وهو صحيح لأن قولهم " لا إله إلَّا الله " أفضل العبادات في حقهم إذ أُمِروا بتبليغها فهي منهم دعوة توحيد وهدايةٌ للخلق.

وقوله إنَّ الكلمة الكريمة واجبة في أصل الإيمان إلى آخره، أما على الكافر فباتفاق, وأمَّا المسلم ولم يمنعه من النُطق مانع فتجب عليه مرةٌ في العمر إلَّا إنهم اختلفوا هل هي واجبةٌ شرط في الإيمان, وعزاه عِياض للجمهور أو واجبة غير شرط, وعزاه السعد للجمهور أيضاً، ووفِق الأجهوري في حاشية الرسالة بينهما بأن المُراد بالجمهور في كلام عياض جمهور الفقهاء وفي كلام السعد جمهور الأصوليين, رجع إلى صاحب الترجمة.

قال في " **الممتع** "

" ولمَّا ولِد سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله في الطريق عند سيِّدي يوسف جاء أهلُ الله يُهنِّئون فيه، قال سمعتهُ يقول

" إنه لمَّا صحِب سيِّدي يوسف كان في أول أمره يرى الخصوصية ساريةً في جميع من يدخل على باب الزاوية حتى القط أي الحيوان المعلوم ثم جعلوا يُغربَلون من نظره حتى لم يبق إلَّا سيِّدي عبدالرَّحمن "

ولمَّا توفيَ سيِّدي يوسف وكان مدة صحبته إياه نحو الأربع سنين صحبه وارثه سيِّدي عبدالرَّحمن فاختصَّ به سنين أو لم يخرج من أصحاب شيخهما غيره فكان يجلسان بباب الرَّواح من القرويين.

واختفى له يوماً بجامع الأندلس ليختبر بصيرته فنفذ عليه فذكروا ذلك له أعني صاحب الترجمة فقال

" نعم كنت إذا بلغت الديوان استقبلتني رائحته فتبعتها فلما كان يومئذٍ أنكرت ذلك فتبعتُ الرائحة إلى جامع الأندلس "

وكان سيِّدي عبدالرَّحمن يُنوِّه به حتى يقول

" ليس تحت قرص السماء مثله "

وراه مرة فقال له

" الله يرزُقني ما نكافئك به "

يُكررها وينتظر به الصلاة فإذا أشرف بباب الزاوية أقاموها.

وكان سيّدي عبدالرَّحمن يحسب ويُصيِّر مال سيِّدي مُحمَّد مالُه, فلا يحتشُم فيه حضراً ولا سفراً فإذا احتاج ولو آنيةً ذكرها له لا لغيره فيأتيه بها, ولم يستصحبْ زاداً في زيارةٍ وإذا حضر وقت الطعام قال له يا سيِّدي مُحمَّد " هات الطعام" ويقول له اعطِ فلاناً وفلاناً.

وكان يقول

" مال سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله حلال لا وارث لوالديه غيره ".

وكان ينظر في موضع زاوية سيِّدي مُحمَّد الآن هي دار ويقول

" الأطراف موضع الأشراف "

فكان سيِّدي مُحمَّد يقول

" لم يكن ثمَّ من يسأله ولو سُئل لأخبر بما كشف عنه في الحال "

وجدَّد بناء هذه الزاوية وَلَد بانيها السَّيد الهمام الولي الإمام العارف بالله سيِّدنا أحمد فمِن خطِّ عمِّ والدنا ما نصُّهُ

" الحمد لله كان تجديد بناء زاوية سيِّدنا أحمد بن عبدالله ﷺ بالمخفية وبناء الحائط القديم الذي على ضفة الوادي وتجديد سقفها وقطع التوتة التي كانت هناك أمام الشُّباك الذي بإزاء الباب الصغرى بصف الصقلابية وزيادة بعض سواريها وتبييضها وهدم الصقلابية التي كانت بها وبناء الصقلابيتين التي على الوادي شرقيها وتزليجها وزيادة الدويرة المتصلة بها وبناء المُيسر بها في الأشهر الثلاثة ذي الحجة من سنة أربع ومائة وألف ولم يكن فيها محراب قبل وكان فتح باب الكبرى التي بغربيها أول يوم من ذي قعدة عام

ثمانية وتسعين وألف وصُنعت الخزانة العليا التي بغربها فوق الخزانة فوق موضع قراءة الحزب في القديم منذ بنيت أواخر شعبان سنة خمس ومائة وألف وصنعت الخزانة الأخرى وبُنِيت في الحائط الذي بشمالها عند موضع قراءة الحزب اليوم سنة أربع ومائة وألف.

ولمَّا توفيَ سيِّدي عبدالرَّحمن لازم سيِّدي مُحمَّد داره وجعل يتردَّدون إليه فرادى ويتلطَّفون في قبولهم فيقول لهم

" الحقيقة ورثتها أو وردتها ولا إذن عندي "

وربما زاد

" ولكن أحببني فإن المحبة تنفعك ".

قال وسمعته يقول

" كان سيِّدي عبدالرَّحمن يقول إذ مات الشَّيخ ذهب بحاله وحال وارثه وبقيَ الوارث بلا شيء ثم يرجع إليه ما ذهب وكنت لا أعرف ذلك وكان هو سلك ذلك بموت الشَّيخ سيِّدي يوسف ثم سلكته وعرفته " يعني بموت سيِّدي عبدالرَّحمن.

فبقيَ ملازماً لداره منفرداً بنفسه ثم العامين, فلمَّا أراد الله النفع به أزعجه إلى زيارة سيِّدي عبد السلام فوقع له الإذن هنالك فاجتمع الناس عليه بزاوية شيخه سيِّدي يوسف وقال لهم

" اركبوا هذا الرقبة فقد هُدِّدت بالسَّلب إن لم أخرج إليكم "

وتغرغرت الدموع في عينه، ولمَّا نزل به حال الارث قال صادَفه ذلك وهو جُنب فأجرى الله على لسانه أن قال

" اللَّهُمَّ اجعلني رحمةً لعبادك "

وكان يُشير لخدمة الجن إياه وحضورهم مجلسه ويقول

" أول ما يخدم الخصوص الجن لكونه أكيس من الآدمي "

وبقى بزاوية شيخه نحو ستة أشهر ثم بنى زاويته المعروفة فيكون بناء زاوية سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله في حدود تسع وثلاثين وألف.

قال وكان كثير النصح للعباد وقال له الأمير يا سيِّدي انصحني ولا تراءني فقال

" إنما يرائيك من يخافك أو يرجوك وهذا الذي تتكلم معه لا يخافك ولا يرجوك "

ثم نصحه ما يليق بحاله، وطريقه هي طريق الشَّيخ ابن عبَّاد في رسائله من الدَّلالة على الله، وكان شديد الاتباع للسُنَّة والانكار للعوائد وكان يقول

" أصحابي هم الملازمون للحزب "

أي الأحزاب المُرتبة من قِبَل شيخه, وينهى عن ذكر الأسماء ويقول

" أسماء الله مُنزهة مُقدَّسة ثم إنهم يذكرونها للدنيا القذرة فهي تُهلك صاحبها وتعود عليه بالخسارة "

ولا تفارقه سبحته سيما طرفا النهار وكان يقول

" لا تثبُت الصُّحبة لكل مَن بالزاوية "

بل يقول دائماً

" لولا أربعة أو خمسة من الناس محبوباً على الله لم أخرج ولم أجلس "

ثم قال وسمعته يقول

" هؤلاء الناس الذين يأتوننا هم نخبة أهل هذه المدينة "

وكان يقول

" الذي يُخالطنا إن لم يحصل له شيء من إرث الحقيقة حصل له صلاح دينه وزوال الغرَّة منه "

وكان لا يُسامح في أصحابه التَّسمِّي باسم الفقراء ويقول

" الفقر ليس هذا زمنه ولكن عليكم بالكتاب والسُنَّة "

ويقول

" إذا كان الإنسان يصلي الصلوات الخمسة في أوقاتها وفي الجماعة ويتسبَّب تسبُّباً حلالاً ليس عليه فيه اعتراض من الشارع بتحريم أو كراهة ولا يُخالط أحداً ولا يضرُ أحداً ويقول يا الله غدتُّ مُسلماً ولا سيما يكون ذاكر الله فهذا هو الفقير في هذا الزمان, وأمَّا الفقير الذي تُسمُّون فليس هذا زمنه "

وكان يعظ بعض المنتسبين وينهاهم ويذكر قول سيّدي أبي الروابن

بالهوى عملوا التلميذ   لا عناية لا سرٌ جديد
ما يرَوا إلَّا بالتمجيد   ويلهم غرُّوا بهم

وكان لا يُحبُ المريد الذي لا سببَ له ويُحذِّر من التَغلغُل في الأسباب والاكثار منها ومنَ الحرص في طلب الرزق ويُقرِّر أنه لا يزيد فيه حرصُ حريص كما لا ينتقص منه عجز عاجز ويقول

" لابد من الأسباب وجوداً والغيبة عنها شهوداً "

ثم قال وسمعته يقول

" قلت لسيِّدي عبدالرَّحمن أن النبي ﷺ لا يغيب عنّي "

فقال له سيِّدي عبدالرحمن

" ما الذي تَشهد روحانيته أو جسمانيتهُ " ؟

فقال له

" بل روحانيته " فسكت عنه

ثم بعد أيام سأله

" هل ذلك باقٍ " ؟

فقال " نعم يا سيّدي الصفات لا تُفارق الموصوف "

قال " فسَّر بذلك وظهر البِشرَ في وجهه "

وإذا ذكر كلام أو قضية عن صاحب حال ممَّا يباين المهيع الواضح قال

" هذا حال والحال يحفظ ولا يُقاس عليه "

وأخبر إنه كوشف بأُناس أحياء يعرفهم في كهوف فما حال الحول حتى ماتوا، وقع له ذلك في زيارته سيِّدي أبا سلهام.

وينهى عن مخالطة أبناء الدنيا والرؤساء, فأشار بعضهم لكلامه معهم فقال له

" هذا الذي ترى كالحجر الأصم دَرْدِ به كيف شئت يعمل في الأشياء ولا تعمل فيه "

يعني لستُ في مكالمة أهل الدنيا كغيري فلا يُقاس بي.

وكان يقول

" العارف يعمل في الأشياء ولا تعمل فيه "

وكان يقول

" الذي تغلبه حالته كالذي تغلبه زوجته أيحسنُ بالرجل إن تغلبه زوجته"

ويقول عن سيِّدي يوسف

" أنَّ النبي ﷺ لم يكن مغلوباً بالحال وعلى قدر القرب منه ﷺ يكون الكمال "

ويقول

" لابد من ظهور الأثر لضعف البشرية "

قال وسمعته يقول " إنه معدن الزواق " فنسيت ما قال فيه.

وكان يُخبر عن ثمار الجنة وأحوالها بما لم يكن يعرفه أحد, وممَّا كان يذكر من ذلك إنَّ المقروض في الجنة بالشجر.

وسمِع ديكاً يقول في صراخه

" سبحان الله وبحمده "

وكان إذا طُلب منه قضاء حاجة أشار بالسَّبب المعتاد فيظن إنه لم يقض شيئاً, وربما ألحَّ عليه بعض من لم يعرف ذلك ولم يقنعه وهو قضى وأمرَ بالسبب تغطِيةً للكرامة وستر الحالة.

وقد تصدُر منه الكرامة صريحة, منها القصة المتواترة أنَّ ولده سيّدي مُحمَّد قال له إنَّ السُرَّاق سرقوا لنا ثلاثة أشباج من النحل فقال

" ثلاثة بثلاثة "

فإذا بالسُرَّاق تغادروا بينهم فقتل بعضهم بعضاً ثمَّ قتل الحاكم القاتل منهم فكان المجموع ثلاثة ثمَّ دُفنوا في ساعة واحدة ونُهبت دورهم فخرجت الأشباج بعينِها في النهب.

ومن الشائع المُستفيض بين أصحابه أنَّا إذا كُنا جلوساً عنده بين المغرب والعِشاء وكان المطر ينزل عند العشاء وأردنا الانصراف إلى أهالينا بعد الصلاة أقلع المطر لا مُحالة عادة جارية حتى يصل جميعنا إلى منازلهم ويعود لحاله.

وكان يجلس لأصحابه بين العشائين دائماً وكان إذا تنكَّر لرئيس أو أمير عُزِلَ سريعاً ونُبِذ, وإذا توجه إليه واهتم به قامت سوقه وركب وعلا في الناس رأينا ذلك عياناً وتحقَّقناه.

وكان لا يُحسن إليه أحد إلَّا كفاه بإضعافه ولا يسيء إليه إلَّا ساقه الله إليه فيعامله بالإحسان وكان يقول

" كتب الله على النفس اللائمة أن لا تخرج من الدنيا حتى تحسن إلى مَن أساء إليها "

ويحض على مكارم الأخلاق ويقول

" إنَّ الأخلاق تغلب الأعمال " ويذكر الآية

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[1] بالإضافة.

وكان لا يدَّخر ويقول

" إذا نموت ونترك ديناراً لا يرحم على أحد ولا يستعمل إلَّا الحلال ولا يقبل وإن قبل كافر"

ويكثر من قول

" ما بأيدينا شيء ما نرجوا إلَّا شفاعة رسول الله ﷺ ويجعله غاية الأمر"

وكان على حالة شيخه سيّدي يوسف مفصلاً عليه ونسخةٌ منه في الكمال والتمكين، توفي ﷺ بعد طلوع الشمس نحو ساعة من يوم الأحد الثالث من جمادي الثانية سنة اثنين وستين وألف وغسلته زوجته وأهرقت عليه الماء ابنته بعد أن غطَّت وجهها بساتر بإيصاء منه ودفن عند الزَّوال وصلَّى عليه الإمام سيّدي عبد القادر الفاسي داخل قبة شيخه سيّدي يوسف.

قال ووجدت بخط مَن عرف بالشَّيخ ﷺ ما نصُّهُ وأخبره بعض قرابتنا في أيام موت صاحب الترجمة

" أنه رأى بعض معارفنا ممَّن بات ببلد آخر وهو مسرور فأخبرهُ بأنهُ غفر تلك الليلة لجميع المؤمنين ببركة الشَّيخ, وسمعت مِن آخر نحو ذلك عن أحد ولده ممَّن مات قبل ذلك فأخبره بنحو ذلك ."

وكان ﷺ إذا قال له أحد إني أُحبُك يقول له " أحمد الله " ﷺ. انتهى كلام الإمام سيِّدي المهدي بن أحمد الفاسي في كتابه " **ممتع الاسماع** ".

ولهُ فيه تأليف مُستقل سمَّاه " **عوارف المنَّة في مناقب سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله مُحيي السُنَّة** "

[1] . القلم 4

وبقيَ كثير من مزاياه ومعارفه في الكتابين تركناه خوف الإطالة.

وكلام سيِّدنا المهدي فيه ﷺ غاية في الباب لشدة اتقانه وورعه مع كونه خالطه, فأخباره أخبار مَن حضر ورأى وسمِع.

قال في " **المقصد** "

" وصحب سيِّدي قاسم رحمه الله صاحب الترجمة منذ أذِن له أي سيِّدي مُحمَّد بالتَّصدِّي لتربية المريدين ونفع المقتدين إلى أن توفي وذلك سنة ثمان وثلاثين من هذا القرن يعني الحادي عشر إلى سنة اثنين وستين, وصحِب سيِّدي عبدالرَّحمن بن مُحمَّد الفاسي قبل ذلك عشر سنين والذي قبله بضع سنين فكانت مدة صحبته لجميعهم من أولها إلى أخرها نيفاً وأربعين سنة, وكان أمر بقاء سيِّدي قاسم خليفةً بعد سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله نيفاً وعشرين سنة وعمره يزيد على الثمانين.

مشايخه الذين أخذ عنهم تبركاً واستفادة

الشَّيخ سيِّدي مسعود الشرَّاط

فمنهم الشَّيخ الولي الشهير أبو سرحان سيِّدي مسعود الشرَّاط دفين باب الجيسة وهو من أصحاب سيِّدي أبي الشتاء دفين فشتالة كما في " **التحفة** " وغيرها وكان في صغره شرَّاطاً ولذا لقب به، وأصله من زناتة قرب تلمسان.

قال في " **المقصد** "

" وكان أسمر اللون جداً مُقعداً بها ولا ساقط التكليف، وكان غائباً في النبي ﷺ فكان إذا غلب عليه الوجد يقول

" أنا مسعود رسول الله ويكررها "

واشتغل عنده يوماً بالسِّماع فلما ذكر قول القائل

" ما تجني العسل إلَّا بنار "

تواجد وقام على ركبتيه وضرب بكفه على الآخر وقال أي صائحاً بها صدق الله العظيم.

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[1]

وذكر بعض الناس يوماً أمامه بعض الأكابر من الأولياء فعبَّر عنه بالسلطان فقال

" أنا هو السلطان أنا هو السلطان "

وجعل يكررها، وله ﷺ كرامات شتَّى ومُكاشفات كثيرة وله شهرة وأتباع زاره سيِّدي قاسم رحمه الله دخل عليه وجلس أمامه فقال له

" أُدن مني "

فقال له ثانياً

[1] . آل عمران 93

" أدن منِّي "

فقال لا وتكرَّر ذلك منه وكلّما قال أُدن أجابه سيِّدي قاسم أن لا فجعل أصحابه الحاضرون يتعجبون ويقولون أُدنُ من الشَّيخ فلمَّا لم يفعل قال له سيِّدي مسعود قل " لا إله إلا الله " فقالها ثم أعاد عليه ثانياً فقالها, ثم ثالثاً كذلك فلقَّنه إياها ثلاث مرات، وكان ذلك هو مُراده.

سمعتُ سيِّدنا أحمد ﷺ يقول

" إنما قال سيِّدي مسعود لسيِّدي قاسم أُدن لأنه أراد أن يختبر مراده هل جاء لله أو طامعاً فيه فلمَّا عَلِم صِدقهُ وأنَّ مجيئه لله لا إليه لقَّنهُ كلمة التوحيد ولو جاء حين ناداه لضربه على عادته في بعض الأحيان ولم يُلقِّنه شيئاً ".

توفي ﷺ يوم الأربعاء سادس عشر جمادي الثانية سنة إحدى وثلاثين وألف ولم يترك عقباً وكان قد تزوَّج. انتهى كلام صاحب " المقصد " بنصِّهِ.

ودخل عليه رجل فقال في نفسه

" الله أكبر كم بين حالة هذا الرجل وحالة سيِّدي يوسف الفاسي "

فقال له يا ابن الحمقا هذا ماءٌ آخر وأين نجد ماء سيِّدك يوسف ".

ومن كراماته أن دخل عليه رجلٌ له ولد مقعد أعوزه البُرء فدخل عليه ولده على ظهره فهدَّده سيِّدي مسعود برمح كالمريد ضربه به ففرَّ الرجل فزعاً وسقط ولده من ظهره قائماً على رجليه فرجع فطلب ولده فلم يجده فانقلب إلى المدينة فلقيهُ عند الباب معافى.

ومنها أنه جاءه رجلٌ بعنبٍ له حلال وخلطه بعنبٍ حرام سرقه فجعل ينظر إليه وإلى العنب ويشمُّ العنب عنقوداً عنقودا ويرمي به في وجه صاحبه حتى وصل إلى العنب الحلال جعل يأكل منه.

ومنها أنَّ رجلاً اشترى اسفنجاً يقصد سيِّدي مسعود, إذ لقي سيِّدي جلولاً قال له نعم يا أخي بابا مسعود يأكل الاسفنج ونحن لا نأكله, فقال له الرجل خذ يا سيِّدي, فقال له بابا مسعود واعر[1] علينا فأكد عليه فأخذ اثنتين فانطلق بالإسفنج إلى سيِّدي مسعود فنظر في الاسفنج وقال له واين اثنتان وكرَّرها عليه فقال إنني تائبٌ لله فقال له يا ابن كذا تعطي متاعي فخرج من عنده راجعاً لطريقه فوجد سيِّدي جلولاً بموضعه فقال له ألم أقل لك بابا مسعود واعد علينا.

ومنها أنَّ رجُلاً من أصحابه حرفته بيع الإماء فهَمَّ أن يواقع أمَةً بغرفةِ داره بينما هو صاعد إليها لدغته عقرب فعلِم أنها من آية سيِّدي مسعود فلما جاء عند مسعود قال له قبل أن يخبره بشيء

" أردت أن تفعل كذا "

فقال له سيِّدي مسعود

" أليس السلاطين يكون لهم فتيان " ؟

فقال " نعم "

فقال " وأنت كذلك "

فكان الرجل بعد ذلك لا يحصل له الانعاظ إلى موته.

ومنها أنَّ رجلاً تاب على يده ثم ذهب لمنزله فوجد المرأة التي كان يواقِعها الفاحشة فاستدعته فأبى فلم تزل به حتى همَّ بها فوجد في محل ذكره فرجاً كفرج المرأة فأراه المرأة فاتعظت ورجعا معاً إلى الله وتابا وأخبرا بذلك سيِّدي مسعوداً فأمر المرأة بالتزوج والذهاب للحج وبقيَ الرجل في كفالته وظهر فضل الله عليها.

[1] معناه صعب علينا

ومنها أنها قافلة نزلوا ليلاً بمقبرة إزاءه فسمعوا صوت انين ميت يُعذَب بقبر فميَّزوه بالحجارة ليُخبروا أهله وإذا بسيِّدي مسعود خارج يدبُّ على يديه ورجليه إذ كان مقعداً فوقف على القبر وقال

" الله أمركم بتعذيب هذا في ترابي كرره ثلاثاً " فانقطع الأنين في الحين.

وكان مسكنه حارة مغراوة تحت القلَّة قرب الشَّيخ يوسف بن عمر وكانت ثمة عمارة كبيرة.

ومنها أنَّ جماعة دخلوا عليه فجعل يقول

" أنا ولدي ما يكون سارقاً كرَّرها ثلاثاً "

فبقَوا مُتحيرين وكان فيهم رجل سرق سرقة وهي في حرزه فلمَّا جنَّ اللَّيل ردَّ السرقة لمحلِّها وجاء للشَّيخ تائباً ولازمه وأقلَعَ عمَّا كان عليه.

فهذه كرامات سبعٍ نقلتها مُختصرة من الكتاب المنسوب لأبن عيشون, وله مناقب أُخر شهيرة ﷺ ونفعنا به آمين.

ومنهم الشيَّخ الولي الجليل سيِّدي علي بن داوود السُّوسي

دفين مرنيسة على نهر ورغة له شهرة عظيمة بتلك الناحية وله كرامات كثيرة شهرة.

قال في " **المُمتع** "

وهو من أصحاب سيِّدي أبي الشتاء كان كثير المكاشفات, وكان جالساً في داره لا يخرج ولا يدخل إليه أحداً إلَّا إنه كان لهُ خديم يكلِّمه من وراء الباب فيُبلِّغ الناس عنه ما يقول لهم في أُمورهم وحوائجهم التي قصدوه فيها وهل ينصرفون أو لا.

وكان له صيت في تلك الحيان وتعظيم واحترام في نفوسهم لمَا رأوا له من الكرامات المتواترة والبركات الظاهرة.

وقال في " **المقصد** "

مدة مكثه كذلك أي مُتخفياً خمسٌ وعشرون سنةً زاره سيِّدي قاسم في زمن شيخه سيّدي مُبارك ومكث هنالك شهرين فلمَّا أراد الإياب قال له

" يا سيِّدي إني تركتُ شيخي ووالدتي حيَّين ولا أدري الآن ما خبرهما وإنَّ في الطريق اللصوص والبلاد مخوفةٍ "

فقال له " تجد شيخك ووالدتك حيين وها أنت في ذمتي لا يضرك في الطريق شيء "

فودَّعه وانصرف فلما كان بالطريق ذاهباً لقيَ رجلاً من اللُّصوص بيده رمح فقصد الرجل إليه وقال له

" من أين جئت " ؟

فقال له

" مِن عند سيِّدي علي بن داوود "

فهدَّده بالرمح وقال له مُكذباً له

" كلَ مَن يأتي يقول جئت من عند سيّدي علي بن داوود "

وعزم على الفتك ثم أنه رجع القهقرى ووقف مُتكئاً على رمحه يفكر ثم ضرب على جبهة نفسه وقال

" على رأسي يا أخي وكرَّرها "

فنجى منه ولم يلق بعده كيداً, ولمَّا قَدِم من عنده وجد شيخه ووالدته حيَّين كما أخبر ، توفي ﷺ حدود سنة اثنين وعشرين وألف.

ومنهم الشَّيخ الولي الجليل أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد الكومي

وهو دفين القليعة داخل باب الفتوح من بني كومي بالكاف المعقودة، قال في " **التحفة** "

" أخذ عن الشَّيخ الصَّالح الناسك الفاضل أبي العباس أحمد بن مُحمَّد الفيلالي أحد الأفراد عن مشايخ الزُهَّاد والعُبَّاد أهل العلم والعمل وهداية الخلق دفين بني بوزرا[1] بتقديم الزاي على الراء وتخفيف الراء من غمارة، توفيَ سنة ثمان وتسعين بتقديم التاء وتسعمائة.

وهو أخذ عن الشَّيخ أبي القاسم الغازي الدَّرعي عن سيِّدي على بن عبدالله التركندي دفين سجلماسة عن سيِّدي أحمد بن يوسف الراشدي المِلياني.

وقال في " **المقصد** "

" كان أبي سيِّدي مُحمَّد الكومي كوشاً عمى آخر عمره, له أصحاب وأتباع وكان ذا سمتٍ ووقار وقبول واشتهار ظهرت له كرامات وخوارق عادات ومكاشفات وإخبار بالمغيبات ويؤثر عنه كلام وحكم فيستعمل أصحابه السِماع كل جمعة ويتحرَّكون وتظهر عليهم أحوال.

وكان مُترسِّماً بالشَّريعة عاملاً بالسُنَّة محفوظاً عليه أوقاته لقيه سيِّدي قاسم غير ما مرَّة وتبرَّك به وزاره يوماً بعد قدومه من عند سيِّدي علي بن داوود المُتقدِّم فلما دخل عليه وجلس عنده ولم يره لكونه ضريراً قال

" هذه رائحة سيِّدي علي بن داوود " قال

" أفيكم مَن أتى من عنده "

فسكت سيِّدي قاسم ثم عادها ثانياً فسكت أيضاً ثم ثالثاً فقال له

---

[1] . جماعة قروية أمازيغية جبلية مغربية شمال المملكة تنتمي بني بوزرا لإقليم شفشاون.

" **أنا يا سيِّدي** "

توفيَ ﷺ في حدود ستٍ وعشرين وألف "انتهى بنصِّهِ.

وسمعتُ من بعض أنَّ إنساناً كان ذاهباً لبعض المراع أو نحوها ماراً على صاحب الترجمة فقال له

يا فلان أعطني أو اسلفني دراهم سمى عددها "

قال " نعم يا سيّدي حتى ارجع

قال لا لا أريدها إلّا الآن

فردَّه فرجع وأمرَ زوجته أو غيرها بإخراج داراهم كانت محفوظةً عنده بصندوق عليه فرش فوجدت صبياً أو صبيةً من أولاد الرجل سقط عليها الفراش غمَّه كاد يموت منه ولولا أدركته لمات ولم يشعر بذلك أحد فرجع إليه بالدراهم فقال له لا حاجة لي بها فعلِم إنما ردَّه لافتكاك الصبي أو الصبية، وكان يخدمه ﷺ آمين.

ومنهم الولي الشهير سيّدي جلُّول دفين داخل باب الجيسة

وهو من أصحاب سيِّدي الحاج الرامي ولا يُعرف له سند إلَّا أنه كان يقول أنا بابا جلُّول بن الحاج، قال الإمام سيِّدي عبدالرَّحمن بن مُحمَّد الفاسي يُشير إلى مُحمَّد الرامي الذي كان بباب قبل أن يدخل أبو المحاسن فاساً.

قال في " **المقصد** "

" الجليل القدر العظيم القدر, المُتفق على ولايته وعلو مرتبته وجلالته, أبو الفيض سيِّدي عبد الجليل المدعو جلولا داخل باب الجيسة، كان رجُلاً مجذوماً مُولَّهاً هائماً غائباً في الله تعالى فانياً عما سواه دائم الغيبة, بهلولاً

ساقط التكليف تعتريه الأحوال ويتولَّه دائماً وتصدُر منه صيحات أحياناً ويقول في بعض الأوقات " انصروا جلُّولاً " ويكررها.

ثم يقول هو بلسانه

" الله ينصر جلُّولاً الله ينصر مولاي جلُّولاً الله ينصر السلطان جلُّولاً ".

وكان يقول

" أُطلبوا الله في حياة بابا جلول فإنه تاكيدة الغرب " يعني عمدته.

ويقول في الأوقات

" يا بابا جلُّول يا جوهرةٌ في أخراصي يا بابا جلُّول يا عمامة فوق رأسي".

وكان الشَّيخ الإمام العارف بالله أبو مُحمَّد عبدالرَّحمن بن مُحمَّد الفاسي ﷻ يثني عليه ويعترف بعُلوِّ قدره وهو يقول له

" أنه رجلٌ قويٌ ".

وله ﷻ كرامات شهيرة ومُكاشفات كثيرة وتصرُّفات كبيرة يتكلَّم على الخواطر ويُنبئ عن الضمائر وربما يضمن مَن أستضمنه في أمر الدنيا أو الآخرة فيظهر مصداق ذلك أثره وله أتباع، وكان سيِّدي قاسم يتردَّد إليه ويزوره وكان إذا جلس قدَّامه فصاح لم يتمالك سيِّدي قاسم أن يصيح معه، توفيَ ﷻ عند طلوع الشمس يوم الخميس السابع عشر من شوال سنة ستٍ وثلاثين وألف ولم يكن تزوَّج ولا ولد له " انتهى.

ومنهم الشَّيخ الولي الشَّهير الجليل أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد حكيم

به عُرِف الأندلسي دفين داخل روضة سيِّدي أبي زيد الهزميري.

قال في " **المقصد** "

" كان رحمه الله صاحب فيض وتعتريه أحوال الجذب دائماً ويتحرَّك ويتواجد ويصيح ويهيم وتظهر عليه الغيبة, وكان مع ذلك مُحافظاً على الشريعة واقفاً على حدودها لا يخِلُ بشيء من التكاليف الشرعية, يقرأ القرآن كثير المُكاشفات والأخبار بالمُغيبات ينطق بها عند غلبة الحال وتارة دون ذلك.

وكان الشَّيخ أبو مُحمَّد عبدالرَّحمن بن مُحمَّد الفاسي ﷺ يقول

" أنَّ مدده من القرآن "

لقيه سيِّدي قاسم مِراراً وتبرَّك به توفيَ سنة سبع وعشرين وألف وترك ولداً مات ولم يُخلِّف عقباً إلَّا من البنات " انتهى.

وقال في " **المُمتع** "

" كان صاحب حال وفيض صحِب سيِّدي رضوان فيما يقال فنزعه عرق وفيض سيِّدي عبدالله الغزواني لصدق حال سيِّدي رضوان وصَحَّة نسبته إلى الشَّيخ الغزواني واتصاله به وقيل إنه ليس له شيخ وإنما مددهُ من تلاوة القرآن.

وكان مُقيماً لِرسومه مُحافظاً على السُنَّة مُراعياً للأوقات وكان كثير تلاوة القرآن يقرؤه باللَّوح وقد رأيت لوحه مكتوباً بخطه

﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ..﴾[1]

فيه نحو ثُمن الحزب.

---

[1] . فاطر 32

وكان إذا ورد عليه الحال ازعجه وأخرجه عن شاهده وتكلَّم بأمور من المُغيبات.

جاء يوماً إلى بعض أفران فاس فجعل يقول لصاحب الفرن

" اغلق فرنك ويصيح عليه "

وإذا بغلاء عظيم في القرب وهو غلاء سنة أربع عشرة وألف فتعطَّل ذلك الفرن وكثير من أفران المدينة، وكان يمر بالطرق ويقول

" الناس يأكلون عن أولادهم "

ويكرر ذلك على جهة الانكار فجاء الغلاء المذكور فكان الناس يأكلون في الأسواق عن أولادهم ولم يعهد قبل ذلك بفاس الأكل بالأسواق.

وكان يخرج من داره فيمر في حومته وهي حومة العُيون ويقول

" هَل هُنا مِن أمْن أينَ أجوز "

فإذا بالمدينة انقسمت ووقع فيها الأشرار ولا يجد أحدٌ مِن أين يجوز.

وكان قبل وقوع زلزلة سنة ثلاث وثلاثين وألف يصيح " الردومات ", فإذا بالزلزلة المذكورة فما بقيت دار غالباً بفاس إلَّا دخلتها الفؤوس.

وكان يُكاشف كثيراً بما فعلوا من فواحش وغيرها, وكان بعضهم يسكر كثيراً بقرب روضة سيِّدي أبي الذياب ويسرق ورق التوت القريبة منه فلقيه مرة بحومة العُيون فأخذ بتلابيبه وذهب إلى روضة سيِّدي أبي الذياب وجعل يقول يا سيِّدي أبا الذياب

" فلان يقول لك هو تائبٌ إلى الله "

ويكرر ذلك والرجل محبوس في يده مُتقلداً لا يستطيع خلافه فتاب الله عليه بقرب ذلك ولازمه إلى أن مات, ثمَّ صحِب سيِّدي عبدالرَّحمن الفاسي ثمَّ سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله إلى أن مات في حياته, وحضر الشَّيخ سيِّدي مُحمَّد جنازته.

وشكى لسيِّدي عبدالرَّحمن الفاسي ما تكلّفه به زوجته ممَّا ليس عنده فقال له " ولدها يعمل لها ما تُحب "

فقال ولدها يُحب ما يُزاد له قال فخيَّرهما قال إني أُحبها قال اصبر إذاً.

ودعا على رجلٍ بالموت ببئر النصارى فما مات إلَّا فيه.

وجاء لسيِّدي عبدالرَّحمن في حال عظيم فقال له أين لوحك فسرى عنه ورجع إلى حسِّه وجاء به, ولمَّا ذهب ليجيء به قال سيّدي عبدالرَّحمن " قد أطرتها له " يعني السكرة, يعني بكلامه على اللَّوح.

وشكى له بعضهم فاقةً فقال له

" ها ابنتك فلانة "

فتزوجت أزواجاً ذوي أموال عريضة وورِثتهم واحداً بعد واحد وأتت والدها بأموالهم، وكان إذا استلف من أحدٍ كتب بخطه

" استلف فلان بن فلان كذا واليوم الفلاني يأتي به فإذا حضر الأجل أتى به حتماً وإن لم يتيسَّر استسلف من آخر وكتب كذلك.

وكتب حرزاً طُلب منه ثمَّ قال له أقرؤه عليك فقال نعم, فقرأه عليه فإذا فيه ﴿ **إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ * وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ * الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ * كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ * إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ** ﴾(1).

---

[1] . الانفطار

ثم قال له اسمع ما يقول " ما بيدي شيء " وكلُ ذلك عنه في " **ممتع الأسماع** " نفعنا الله به.

ومنهم الولي الكبير أبو مُحمَّد عبدالله الدراوي الحدَّاد

دفين خارج باب الفتوح قرب روضة الولي سيِّدي علي حماموش وعدَّهُ في " **التحفة** " من خيار أصحاب سيِّدي يوسف الفاسي فقال فيه

" الشَّيخ المجذوب الملامتي ذو الخطوة أبو عبدالله الدراوي عُرِفَ بالحدَّاد".

وقال في " **المقصد** "

" كان رحمه الله قوي الحال عزيزه ملامتياً تصدر منه أمور لا يفهم ظاهرها، وكان من أهل الخطوة والطيران في الهواء وله كرامات ومُكاشفات, لقيه سيِّدي قاسم مراراً وتبرَّك به.

وكان يوماً أعني سيِّدي قاسماً جالساً بحانوته بالقراقين المُقابِلة لباب القرويين فرأى سيِّدي عبدالله ماراً بجامع القرويين فاستعظم أمره وقوة حاله وجعل ينظر إليه ويقول في نفسه

" ما أقواك يا رجل "

أو كلمة نحوها فكاشفه بذلك وأتاه من القرويين حتى وقف بباب الحانوت وقال له يا أخي

" قلبك مرآك كيف تراني أراك "

وتوفيَ رحمه الله في أواخر العشرة الرابعة من هذا القرن، وفي نسخة عتيقة من " **التُحفة** " بخط بعض تلامذَة مؤلفها أبي عبدالله الدراوي بإسقاط مُحمَّد.

وفي " **المقصد** " بخط مؤلفه أبي عبدالله على إنَّ أبا مُحمَّد كنيته واسمه عبدالله عكس ما يقتضي ما في التحفة فأحدهما سبق قلم أو سهو أو تحريف من كاتب " **التحفة** " ولم يُعرف به في التحفة.

وفي " **الممتع** ".

وبقرب سيِّدي حماموش أيضاً سيِّدي مسعود الدراوي من أصحاب سيِّدي يوسف أيضاً لكن لم يُذكره في " **التحفة** " وعرَّفَ به في " **المُمتع** " وقال فيه كان ذا حال عظيم وكانت غيبته في النبي ﷺ وكان لا يفتر عن الصلاة على النبي ﷺ ولا يقنع حتى يستأجر الأُجراء ويجلسون يصلون على النبي ﷺ وهو يُشاهد ذلك.

قال في " **المرآة** " وكان في أول أمره فتح له على يد الشَّيخ أبي المحاسن ثم قال بعد كلام، وتوفيَ بفاس سنة إحدى عشرة وألف ودُفن خارج باب الفتوح حيث سيِّدي علي حماموش وسيِّدي علي الصنهاجي وغيرهما, وبنى عليه قبة ولا يمكن أن يكون أخذ عنه سيِّدي قاسم لأنه لو تأهل للأخذ عنه قبل موته لأخذ عن الشَّيخ سيِّدي يوسف لكون سيِّدي مسعود تقدَّم زمن وفاته عن سيِّدي يوسف نحو عشرة أعوام وذكر لئلا يتطرَّق توهم اتحادهما من حيث النسبة وإن اختلفا في الاسم, وسيِّدي مُحمَّد الحدَّاد أخذ عن الشَّيخ الغزواني، وتوفيَ أواخر العشرة السابعة من القرن العاشر انظره في" **الدَّوحة**" وغيرها.

ومنهم الشَّيخ الولي الشهير أبو الحسن سيِّدي علي الهيري

الواريثني دفين الفخَّارين داخل باب الفتوح, قال في " **الممتع** " " من أصحاب سيِّدي الحسن الجزولي دفين خارج باب الفتوح وكان صاحب حال وكشف وإخبار بالمُغيبات, وأثر الخير عليه لائحٌ وسرور

المحبة وبمهجته منه واضح، وسيِّدي الحسن الجزولي عن الغزواني وسيأتي ذلك مستوفي في الباب السابع إن شاء الله ".

وقال في " **المقصد** "

" كان ﷺ قويٌّ الحال فائض النور مترسِّماً بالشَّريعة حافظاً لها ذا هيبةٍ وجلالةٍ وتعتريه أحياناً غيبةٌ حتى يسأل عن داره أين هي, له اتباع وتلامذةٍ وله مُكاشفات وإخبار بالمُغيبات وكرامات لقيه سيِّدي قاسم مراراً وانتفع به وكان يثني عليه ويقول

" إذا رأيته رأيت جبلاً من نوراً "

وكلاماً هذا معناه توفي رحمه الله في حدود سنة سبع وعشرين وألف وله عقِب ".

ومنهم الشَّيخ الولي الجليل أبو مُحمَّد سيِّدي عبد العزيز المدعو عزوزادَّ الله

أي الذي لله, دفين رأس الجِنان من فاس القرويين, كان ﷺ بهلولاً مولهاً ساقط التكليف ملامتياً وكانت من عادته الاصطلاء زمن الحر والمصيف والتبرُّد بالماء زمن الشتاء والبرد.

قال الإمام العارف بالله سيِّدنا أحمد بن مُحمَّد بن عبدالله

" إنما يفعل ذلك مبالغة في موافقة القدر وجرياناً مع مراد الله سبحانه لأن الواقع مرادٌ لله "

نقله عنه في " **المقصد** " في الباب الثامن.

وحدَّث بعض أصحاب الشَّيخ سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله ﷺ أنه ذهب مرةً إلى بلاد تطاون بقصد التجارة فنزل بها داراً مع أُناس فقَدَّم بعض الفاسيين صحناً من الكسكُسون وقال

" هذا الدقيق الذي صُنع منه من بلاد العنَّاب "

فقالوا وكيف ؟

قال قدمنا من الجزائر في البحر نُريد تطاون فلما أشرفنا عليها ردَّتنا الريح إلى الموضع الذي أتينا منه وعاينَّا الغرق فجعل كلُ يُنادي بصالح بلدهم, وجعلت أقول

" يا سيِّدي عزوزاً "

كررها وكان حياً فإذا به على الهيئة التي أعرفه بها عليه جلَّابيةٌ مقلوبة على رأسه حتى وصل إلى السفينة وَردَّها بيده فزال ما بنا, ومررنا ببلاد العنَّاب فاشترينا منه هذا الدقيق الذي صنع منه هذا الكسكسون.

قال المُحدِّث فلما سمعت هذه القصة أضمرت في نفسي إذا وصلت لفاس ولقيته أعطيته موزونة[1] فلما وصلت لقيتُه بباب السلسلة فقال أعطني موزونتي ولم يطلَع على ما أضمرتُ إلَّا الله فأعطيته إياها, ومات شهيداً أصابته رصاصة في الشرور التي كانت بين أهل فاس في وقته ".

وقال في " **المقصد** "

" كان رحمه الله بهلولاً مولّها ساقط التكليف ملامتياً, تُشير حاله إلى الغيبة في التوحيد وكان من أهل الاغاثة والخطوة وله مُكاشفات وكرامات, لقيه سيِّدي قاسم مراراً توفي في شهر ربيع الثاني سنة إحدى وثلاثين وألف ولم يتزوج وقبره ظاهر يُزار مُجرَّب لقضاء الحاجات ".

[1] ضرب من الدَّراهم

ومنهم الولي الشهير سيِّدي أبو عمران موسى دفين حومة جرنيز

من فاس القرويين أخذ عن سيِّدي علي ورزق الاتي قريباً قال في "**المقصد** "

" كان رحمه الله أسمر جداً بهلولاً ساقط التكليف وكان آخر عمره يأوي بحانوت بجرنيز مغلق عليه بابه لا يخرج منه يقصده الناس فيه للزيارة ويأتونه بالطعام كل يوم فيأكله هناك.

ولمَّا مات لم يرَ له فيه فضلة, وله مُكاشفات كثيرة وكرامات غزيرة يُخبر بما في الضمير ويُنبئ عن السرائر, كان يعدُّه سيِّدي قاسم ممَّن لقيه, توفيَ يوم الأربعاء ثماني جمادي الآخرة سنة اثنين وأربعين وألف.

ومنهم الولي الخطير أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد اكمكام

بكافين معقودين دفين روضة الولي سيِّدي علي بن الذياب بحومة العُيون من فاس القرويين.

قال في " **المقصد** "

" كان رحمه الله رجلاً كوشاً ذا سمةٌ بهية وأحوال سنيَّة وتصريفات وكرامات جليلة لقيه سيِّدي قاسم غير ما مرَّة, توفيَ رحمه الله في العشرة الخامسة من هذا القرن أي القرن الحادي ".

ومنهم الولي الشهير الجليل الخطير أبو الحسن سيِّدي علي بن رزق السُّوسي

المدعو بسيِّدي علي ورزق بالواو وعوض ابن علي لغة البربر وبالقاف المعقودة دفين خارج باب السبع من فاس الجديد بناحية سوق الخميس.

قال في " **المقصد** "

" كان رحمه الله رجُلاً مجذوباً غائباً في التوحيد قويُ الحال أخبر عنه الشَّيخ سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله بذلك, وأخبر عنه أنه كان يوماً بجامع القرويين فرآه بها فلما نظر إليه أحسَّ به كأنه أحرقه من قوة حاله, وله كرامات شهيرة وآيات مُنيرة وله اتباع وأصحاب وكان ملامتياً تصدر منه أمور يُنكَرُ ظاهرها, لقيه سيِّدي قاسم وهو صغير فضرب على ظهره.

توفيَ رحمه الله مهل صفر سنة خمس عشرة وألف، وقال غيره كان أسمر الشيب يحلق لحيته، سكناه بحانوت من فاس الجديد وبها مات وتُعرف له فَرسةٌ وشجاعةٌ وكان السلطان أبو عبدالله مُحمَّد الشَّيخ السعدي يُبالغ في تعظيمه وكان له فرس يركبه يحضُّ على ربطه بروائه وعلفه وريه وكان غائباً في التوحيد فإذا أتاه صاحب معصيةً كشُرب الخمر والدُّخان وترك الصلاة رحَّب به وقربه وهش إليه، وإذا أتاه صاحب صلاح ظاهري كَذي صلاة وعبادة طردهُ وأبعده ولم يعبأ به عكس عصر عصريه في ذلك كله وهو سيِّدي عبد المجيد.

قال سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله

" الذي يُربي منهما هو سيِّدي علي ورزق".

ومنهم الشَّيخ أبو عبدالله مُحمَّد الخلطي

دفين روضة سيِّدي مسعود الدراوي كان رجُلاً بهلولاً مُتجرداً ملامتياً له كرامات ومُكاشفات كان يعده سيِّدي قاسم فيمن لقي من أهل الأحوال توفي يوم الأحد المُوفَّى ثلاثين من المُحرم سنة ست عشرة وألف.

ومنهم الشَّيخ أبو زكريا يحيى البهلول

الذي كان بقرية آزرو, كان يُدعى بدادَّ يحيى بدالين بينهما ألف بتشديد آخرهِ وكان يجلس مع السِّباع ويأوي إليهم، لقيه سيِّدي قاسم مراراً عديدة بالقرية المذكورة وتبرَّك به، وكان من عادته مع سيّدي قاسم أنه إذا كان سيِّدي قاسم بقرية آزرو ويجمع له خبزاً ويعطيه إياه عَلِم سيِّدي قاسم أنه ذاهب إلى فاس وإنَّ ذلك الخبز زاده ثم يقع ذلك كما أشار إليه.

ومنهم الولي الشَّهير سيِّدي يدير

دفين اليتالين من فاس, كان رجُلاً بهلولاً تعتريه الأحوال دائماً وينطق بمغيبات وتظهر عليه مُكاشفات فتقع كما أخبر, كان يعُدُّه سيِّدي قاسم فيمن لقي توفيَ سنة اثنين وأربعين وألف.

هذا ما تيسَّر من التعريف بأشياخ الشَّيخ سيِّدي قاسم ﷺ ممَّن استفاد منه إمَّا بزيارة أو بمُلاقات.

قال في " المقصد "

" كان الشَّيخ سيِّدي قاسم ﷺ في غاية من القابلية لذلك والاستعداد لما هنالك, ذا عناية عظيمة بهذا الشأن وهمَّة عليَّة, متعطشاً له غاية فقلَّما يلقى أحداً إلَّا نال منه حالاً واستفاد منه فائدة من فوائد القوم, وبذلك عدَّهم من أشياخهِ وممَّن أخذ عنهم, وقد كان يذكر عنهم حكايات وقعت له معهم وآيات لم أوردها لِطولها هنا ولم أستوف التعريف بمن ذكرت منهم بل اقتصرتُ على ما تقدَّم اختصاراً وإلَّا مآثرهم ﷺ كثيرة وأخبارهم شهيرة وقد أدركنا غير واحد من الفضلاء ممَّن أدركهم وعلِم أخبارهم وكلهم أخذ عنه سيِّدي قاسم ﷺ على سبيل الاستفادة والتبرُّك ولم يُلازم إلَّا الثلاثة الأولين

الذين هم عمدتُه ولا ينتسب إلَّا لهم ولا عوَّل إلَّا عليهم كما اسلفناه وهم سِيّدي مُبارك وسيّدي عبدالرَّحمن الفاسي وسيّدي مُحمَّد بن عبدالله فبهم تخرج, ﷺ أجمعين ونفعنا ببركاتهم آمين وجعل مُستقرَّنا معهم مع الذين أنعم الله عليهم من النَّبيين والصدِّيقين والشُهداء والصَّالحين آمين.

أبو مُحمَّد سيّدي عبد المجيد

قلتُ ولا بأس بذكر ولي قريب من هذه الطبقة وهو سيّدي عبد المجيد القاطن بفندق شرقي الجامع من فاس المُسمَّى به لأنه من مشاهير الأولياء أهل فاس فنذكُر ما وقفنا عليه من التعريف به وإن لم يكن من موضوعنا تعرُّضاً لصلته ورجاء نيل بركته وأداءً لحق علّي رُتبته.

فأقول قال سيّدي الجد رحمه الله في " **نزهة النادي** "

" هو الشيّخ الولي الشهير المجذوب الكبير الملامتي الخطير القويُ الحال الغزير الأنوار المولَّه في النبي ﷺ آناء الليل والنهار ذو الكرامات الشهيرة والبركات الكبيرة والمدد المديد أبو مُحمَّد سيّدي عبد المجيد، كان ﷺ غائباً في النبي ﷺ دائم اللَّهج به وبالصلاة عليه مُسرمد الذكر باسمه الشَّريف لا يفتر عنه وقتاً من الأوقات كثير المحبَّة والتعظيم لآله ﷺ معظِّماً لأهل الطاعة والاتباع لسُنَّته الشريفة.

وكان إذا شرع في الصلاة على النَّبي ﷺ يقول

" أعوذُ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرَّحمن الرحيم

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[1].

---

[1] . الأحزاب 56

يُرتب ذلك ترتيباً حرفاً بعد حرف ثمَّ يقول

" اللَّهُمَّ صلِ على سيِّدنا مُحمَّد وعلى آله " يكرِّرها بأسرع من قراءته الأولى ثمَّ يقول

" اللَّهُمَّ صلِ على مُحمَّد " ثمَّ يغلِبُه الوجد فيقول " مُحمَّدٌ مُحمَّد " يُكرر اسمه ﷺ مُجرداً مُرتباً حرفاً حرفا لا يستطيع إمساك نفسُه عنه نفساً من الأنفاس، وكان لا يزال كذلك على أي حال من الأحوال وفي أي موضع من المواضع.

أخبرني بعض أي المُسنِّين من أصحاب سيّدي مُحمَّد بن عبدالله معن ﷺ عن بعض الفقهاء المُعاصرين له أنه أعني الفقيه كان يوماً واقفاً على أبواب المضيئات التي بشرقي جامع القرويين ينتظر فراغَ واحدةٌ منها فسمع رجُلاً يذكُر النبي ﷺ ويقول مُحمَّد مُحمَّد يسرد اسمه ﷺ سرداً لا يفتر عنه فهَمَّ بدفع الباب عليه ليزجُره فإذا به ﷺ خارجاً فقال الفقيه له ﷺ

" أفي المضيئة[1] تقول هذا يا سيِّدي " فقال له

" أُسكت يا ابن كذا أو سبَّه ".

وكان ﷺ لا يبصق إلَّا بثيابه ولا يرمي ببصاقه إلى الأرض البتة ويقول

" لا أطرح بالأرض ريقاً يجري مع ذكر النبي ﷺ "

ولم يكن له شيخ في هذا الشأن وإنما مَددهُ من رسول الله ﷺ حسبما أخبر بذلك عن نفسه.

حدثني بعض الفضلاء الاثبات عن الشَّيخ الولي الكبير سيّدي مُحمَّد الكومي دفين القليعة من داخل باب الفتوح لقيه أعني سيِّدي عبد المجيد ﷺ يوماً وهو قوله يقول على عادته مُحمَّد مُحمَّد يُكرره فقال له أُنشِدُك بالله

[1] مكان الوضوء

يا سيّدي عبد المجيد من أين خرجت لك هذه السكرة يُريد على يد أي شيخ كانت فقال سيّدي عبد المجيد

" والله ما لأحدٍ عليَّ مِنَّةٌ إلَّا رسول الله ﷺ أعطاني كأساً مُغدراً يعني مملوءةً له كالغدير فشربتُ حتى رويت وما بقى أدفقته على رأسي وبدني ".

فكان أخذه عن رسول الله ﷺ بلا واسطة واتفق له في ذلك ما اتفق لغير واحد من الأكابر كالشَّيخ عبد الرحيم الغناوي والشَّيخ مكين الدَّين الأسمر وأمثالهما ﷺ وصاروا في حصول هذا المدد الشَّريف كالصحابة رضوان الله عنهم وإن تأخر زمانُهم وناهيك بهذا شرفاً وفضلاً.

وكان ﷺ من أصحاب الخطوة لا يُصلِّي صلاةً إلَّا بمكة الشريفة أو المدينة المُشرفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، أخبر بذلك عن نفسه كما سيأتي في حكايةٍ له فكان لأجل ذلك لا يراه أحد بفاس يُصلِّي في مسجد من مساجدها أبداً حتى الجمعة فصار ذلك في ظاهر الأمر ملامة له، وكان متجرداً غير مُتأهل لا زوجة له ولا ولد يسكُن ببيت في الفندق المقابل لباب جامع القرويين الذي فوق الباب المسمَّى بباب سيِّدي عبد القادر الجيلاني وبه هذا الفندق اليوم يُدعى فيُقال له فندق سيِّدي عبد المجيد.

أصله من الريف من مدشر[1] بني يَّطفْت مدشر يُقال له العرْص، وكان له أصحاب واتباع يلوذون به ويخدمونه ويأتونه هم ومن هداهم بالطعام مطبوخاً إلى موضعه كُلهم يتمنى أن يقبلُه منه، وكان رجل من أصحابه يُقال له ربيط يُلازم له طبخ اللحم في الطنجية, ظرف معروف عند أهل فاس ويجيد عمل ذلك له بكُل ما يُحسِّنُه من أبازير [(2)] وزعفران حتى إنه

---

[1] القرية

[2] . الابزار ما يُطيَّب به الطعام كالفلفل والكمون

يُبخر له الآنية التي يأكلُ فيها والتي يشرب منها لِما يعلم من شأنه في ذلك ومن محبته بِتبخيرها, والمؤمن طيب يحبُ الطيب وحلوٌ يحبُ الحلاوة يراها مناسبةٌ لطيب قلبه وحلاوة إيمانه.

وكان ظاهر الخصوصية شهيرُ البركة ولايته معروفة عند الكافةَ مطبق بفاس عليها له كرامات لا تُحصى ومآثر عديدة.

منها أنَّ رجُلاً يُقال له أحمد بن ناصر كان يخدم برحبة الصفَّارين لقيه ﷺ يوم جمعة مراراً بباب القرويين الباب الذي يُقال له باب سيِّدي عبد القادر الجيلاني فذهب خلفه فوجد شريفين من شُرفاء سجلماسة جالسين بالباب الذي بعد الباب المذكور فقاما إلى سيّدي عبد المجيد وقالا له

" يا سيِّدي سألناك بجاه جدِنا رسول الله ﷺ إلَّا أخبرتنا أين تُصلِّي " ؟

فسكت هُنية واحمرَّ وجههُ وقال لهما بمكة أو المدينة فلمَّا سمع الرجل مقالته هذه عقد في نفسه عزماً ليتبعنَّهُ أينما سار يومه ذلك حتى ينظر ما يفعل في صلاة الجمعة, فذهب خلفه حتى قطع سوق العطارين ثمَّ الطالعة ثم ذهب خارج باب المحروق أحد أبواب فاس وهو يتبعه إلى قنطرة غدير الحمص ثم رجع عوده على بدءه فجعل الرجل يتبعه إلى أن بلغ جامع القرويين فوافق عندما لحِق به نزول العَلَم من موضعه وأذان المؤذن على المنار فدخل المحل المُعد للوضوء والرجل بأثره يتبعه فوجد ميضات[1] فارغة فدخلها فوقف الرجل على بابها ينتظر خروجه ثم دفع الباب يُريد الاشراف فوجدها كالحائط لم يستطع هزَّها فبينما هو كذلك إذ به ﷺ مُشرفاً عليه من الناحية التي أتيا منها فقال له

" صلَّى الناس صلاتهم قطع الله يدك "

---

[1] . موضع الوضوء

فعرف الرجل حلول العقوبة وجعل يلوذ به ويطلُب العفو ويتوب إلى الله عزَّ وجلَّ فقال له

" سِر عني وإلَّا قُطع رأسُك "

فلمَّا تحقَّق نفوذ الوعيد قال

" يا سيِّدي فإن كان لابد من القطع فيدي اليُسرى "

فقال " نعم "

فمكث زماناً وإذا بجامع القرويين قد سُرق زيته من مصابيحها مرَّة بعد مرَّة فادَّعى عليه أنه سرقها وهو من ذلك بريء فلما أمر بقطع يده رغب إليهم في قطع اليُسرى وذكر لهم دعاء سيِّدي عبد المجيد بذلك عليه وذكره اليُسرى له وقطعوا يُسراه.

ثمَّ بعد ذلك وجدوا السارق بالجامع ليلاً وقبضوا عليه فأقر بالسَّرقة فقتلوه وتحققوا براءة المقطوع, أخبرني بذلك كلهِ بعض الثُقات من أصحاب الشَّيخ سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله معن ﷺ عن صاحب الحكاية المقطوعة يدُه وأخبرنا بها غير واحد وهي حكاية شهيرة وقد اشتملت على خمس كرامات، وجود باب الميضات كالحائط، وخروج سيِّدي عبد المجيد منها وهي مغلقة من غير فرجة ولا حل باب، وإشرافه على الرجل من ناحية أُخرى، وقبول دعائه عليه، وصدق ما وعده به من كون المقطوعة هي اليُسرى، وصلاته بمكة أو المدينة باختيارٍ منه ﷺ ونفعنا به آمين.

ومنها أنَّ القاضي العلاَّمة أبا مُحمَّد عبد الواحد بن أحمد الحميدي رحمه الله مرَّ يوماً وهو بجامع القرويين بإزاء صومعته فوجده ﷺ جالساً هناك فقال له زاجراً له

" قم يا بغل الناس كلهم يصلُّون وأنت لا تُصلِّي والناس يتَّبعونك "

فنظر ﷺ إليه وقال له

" أنت معزول "

فبعد ذلك بيوم أو يومين جاء كتاب السلطان أبي العباس المنصور من مراكش بعزل القاضي المذكور أرسل به مع مراكب الجمل المهدي للمنصور المعد عنده للإرسال فيما يُريد قضاءه فوراً, وكان ذلك الجمل فيما قيل يقطع مفازة عشرة أيام في يوم واحد فتحققَّ القاضي أنه إنما أوتيَ من قِبل سيِّدي عبد المجيد.

فتربَّص حتى كان وقت ما بين المغرب والعِشاء من يومه ذلك الذي عُزِل فيه وأتى هو وأولاد له صغار قدَّمهم شُفعاء إليه وطلب منه الصفح عنه فسامحه وقال له

" أنت مردود "

فبقرب ذلك جاء كتاب آخر عند السلطان المذكور مع راكب الجمل المهدي أيضاً بتوليته وردِّه إلى خطته، وبلغنا أنَّ السلطان المذكور قال إنه ما عزله حتى رأى في نومه رجُلاً يأمُره بذلك ويُهدده إن لم يفعل وإنه ما ردَّه حتى رآه أيضاً يأمُره بردِّه.

أخبرنا بهذه الحكاية غير واحد من أهل العدالة وغيرهم وهي مُشتملةٌ على كرامتين عزل القاضي أولاً وتَوليه ثانياً كلاهما بعد أذِن فيه ﷺ ونفعنا به أمين.

ومنها أنه ﷺ ضرب رجُلاً من أصحابه بمفتاح كان في يده فصادفت الضربة عينه فأخرَّت بها فإمَّا سال ماؤها وأمَّا خرجت عن محلِها فمضى الرجل واضعاً كفه على عينه وبقيَ مريض العين أياماً يصنع لها الدواء, فتفقده ﷺ يوماً وسأل عنه أصحابه فذكروا له ما وقع لعينه فأمرهم أن يُنادوه ليأتي فجاء فوضع ﷺ كفه على عينه وقال لا بأس عليك ليس ثَم شيء فما رفع يده إلَّا والعين قد برِئت مكانها وعادت كأُختها ببركته ﷺ

فكان الرجل يُحدِّث مُتعجباً منه كلَ العجب وهو رجلٌ من أهل فاس معروف.

ومنها أنَّ رجُلاً من سُكان الفندق الذي به ﷺ أضاف رجُلين ليلاً ليبيتا عنده على شُرب الخمر فباتا فلمَّا أحضروا الخمر في البيت لِيشربوا جاءهم ﷺ ودقَّ عليهم الباب فرفعوا أوانيهم وفتحوا له فجلس بالباب ساعة يقول على عادته مُحمَّد مُحمَّد يكرِّرها.

ثم قام وانصرف فَسدُّوا الباب وأحضروا الأواني يُديرون الشُرب أيضاً فَرجَع اليهم ودَقَّ الباب فكَفوا عن ذلك ففتحوا له وجلس هنالك أيضاً, فعل ذلك مرتين أو ثلاثة كلما أرادوا الشرب جاءهم, ولما انصرف آخر مرة جعل واحد منهم يحذرهم الشرب وينهاهم ويقول

" أما ترون هذا الرجل يعني سيِّدي عبد المجيد يذهب ويجيئ وكأنه يحرسنا "

وخوفهم العقوبة التي تلحقهم من أجله ومن أجل مجاورته فانتهك الرجلان الحرمة وباتا يشربان وأبى هو أن يشرب فمن الغد لقيهما حاكم المخزن بكرة فقبضهما وضرب عنقهما وعلقهما, نسأل الله العافية بمنِّه وحصل بذلك كرامتان ومكاشفة أولاً بما أرادوا يفعلون وانتقام الله منهم بعد ذلك بما فعلوا.

ومنها أنه ﷺ كان بفندقه ليلة جماعة فيهم رجل بيده آلة ينقر أوتارها فحرَّك منه الوجد فجعل يقول له كثير ففعل حتى مرَّت عليهم ساعة فأحتاج الناس للأكل والفندق قد غلقت أبوابه كما غلَّقت أبواب الأسواق والطرق, فقال الرجل " يا سيِّدي أردنا العشاء "

فقال له " كنبر كنبر "

فأشتغل بذلك فأمَّا وعَّده ﷺ بذلك وأمَّا رجاهُ أو نحو ذلك, فبينما هم كذلك إذا ببعض أهل فاس قد جاءهم بأواني كثيرة مملوءة ثريداً ولحماً وكان ذلك البعض يومئذ صنع وليمة في سابع مولود تزيد له فحدث انه كان عليه التزام لطعام نذر أن يأتي به سيِّدي عبد المجيد ﷺ وأنه عزل بعض طعام من وليمته وخبأه له ليأتيه به من الغد فلما قام ليلتذَّ رأى سيِّدي عبد المجيد وهو يقول له

" ائتني بطعامي "

فأستيقظ ونهض مسرعاً ثمَّ لمَّا رأى الليل قد عسعس وأبواب الطرق مغلقة رجع لنومه فرآه مرَّة أخرى فقال

" ائتني بطعامي الآن "

فاستيقظ ونهض مسرعاً الى الطعام وهيأه وأتى به ليلاً يستفتح الأبواب حتى وصل اليه ﷺ.

ومنها أن رجلاً كان عليه دين كثير أهمَّه فقال في نفسه أذهب الى سيِّدي عبد المجيد وأذكر له ذلك عسى أن يقضيه الله عنِّي فجاءهُ فوجدهُ جالساً بسارية من سواري جامع القرويين فبينما هو أمامه يفكر في دينه قبل أن يذكره له ﷺ قال

" الذي عليه الدَّين يُصلِّي كل يوم على النَّبي ﷺ عشرة آلاف مرة فإنها تنفي الدَّين والهم والغم والحزن "

فقال الرجل في نفسه من دون أن يتلفظ بشيء

" كيف أصلِّي هذه الصلاة, هل أقول اللَّهُمَّ صلِّي على سيِّدنا مُحمَّد أو اللَّهُمَّ صلي على مُحمَّد يعني بزيادة لفظ سيِّدنا أو بدونه " ؟

فقال له يا أخي السِّيادة أحسن فكاشفه مرَّتين وأفاده الحكمتين ﷺ ونفعنا به.

ومنها أنه ﷺ قال يوماً

" مَن يأتيني يوم عيد الأضحى بكبد الشاة قبل أن يفطر به أحد من الناس فله حَجَّة "

فسمعه رجل يقول ذلك فعزم على فعله فلما كان يوم النَّحر جعل يرصد ذبح الامام من فوق سطح له فعندما ذبح الإمام ذبح هو شاته بسرعة وشق بطنها قبل سلخ جلدها فأخرج الكبد وشواه وأرسل به مع رجل رحوى أسرع منه مشياً فأشرف على سيّدي عبد المجيد قبل أن يأتيه أحد بشيء فلما مرَّ شهران أو نحوهما وجاء وقت خروج الحاج قذف الله باعث الحج في قلب ذلك المرسَل معه فخرج مع الركب وكان هو صاحب الحجَّة اذ كان هو الآتي بشرطها وكرامته ﷺ أكثر من أن تستوفي فلنقتصر على ما ذكر ففيه أجزاء واكفاء.

توفي ﷺ سنة ثلاث أو أربع وألف ودفن بباب خارج الجيسة أحد أبواب فاس وبني عليه قرب روضة الشَّيخ سيّدي أبي عبد الله التاودي وروضته هنالك معروفة تزار نفعنا الله بهم آمين " انتهى كلام **"صاحب النزهة"** بنصِّهِ.

البابُ السَّادس

في ذكر بعض مَن تخرَّج به وأنتفع مِن بركته وآدابهِ

أحمد بن مُحمَّد بن عبدالله معن الأندلسي.

منهم الإمام الهمام وغاية زمانه في الكرم والإكرام, سيّدنا ومولانا ومنيتنا ومنانا وبغيتنا وغنانا وأملنا ورجانا, الذخيرة العظمى والغنيمة الكبرى, والوسيلة الحسنى والمعقل الأسنى, ذو العطف والامتنان والجود والإحسان, والفضل الذي لا يستوفيه في حينه وأينه إنسان ولا يعبر فيه لسان, منة الله المهداة للشرفا والنعمة التي مَنَّ بها على الضعفاء, والكنز الذي عزَّ عظيم قدره ولا نقوم ولا قمنا بواجب شكره, الولي المحبوب المقرب المطلوب, العارف بربه والموصل بحبه وقربه, سيِّدنا أحمد بن سيِّدنا مُحمَّد بن عبدالله معن الأندلسي.

هذا ما ميزةُ إدراكنا القصير وعن قصورنا من وصفه الجليل الخطير, وإلَّا فهو بين أهل زمانه بتحقُّقه وعرفانه أجلُّ مِن أن يعرف وأعظم من أن يوصف, تحققنا ذلك تواتراً ورواه الكل كابراً فكابراً, ودونت في فضله الدَّواوين والتآليف وسُطِّرت في مدحه المجلدات من التصانيف, واشتهر عرفانه اشتهار النهار وظهرت كراماته ظهور الشمس والأقمار .

ولله در صاحب " **الالماع** " في إعرابه عن بعض أوصافه فقال وشنَّف الأسماع

" وإنَّ مَن أكرمه الله بكرامة القيام بالدِّين وجعله محل اقتداء واهتداء رحمةً للمؤمنين العابدين وحُجَّة عن الجاحدين المعاندين وأخرجه من آباء مهتدين سيِّدنا وسندنا ومولانا ووسيلتنا الى ربنا, الشَّيخ الإمام الحبر الهمام, ضوء الايقان ومنبع العرفان ومطلع شموس العيان ومعدن الفضل

والإحسان, المتخلِّق بأخلاق الرَّحمن مصباح الزمان وفريد الأوان, صدر الصدور الشهير البركة والحكمة والنور, ذو الحال والعمل والمقال والطريقة الواضحة التي ليس فيها إشكال, والسِّيرة السَّرية المرضية التي هي سيرة أمثاله من أهل الكمال وفحول الرجال, شيخ الطريقة وفارس الحقيقة, أبو العباس أحمد, وما ادراك ما أحمد بن سيِّدنا ومولانا الشَّيخ الإمام العارف الهمام الولي الكبير الصديق الخطير, الدائم الشهود المُتحقِّق بالوجود, أبي عبد الله مُحمَّد ابن الفاضل الخير الحسيب الجواد المسخاء المفضال أبي عبدالله مُحمَّد بن عبدالله معن الاندلسي فهو أدام الله حفظه وأجزل من قرب الله في الدارين حظُّه الفتى الذي ما مثله فتى والرجل الذي ما مثله في وقته أتى, ففي الغيبة في الله والشغل به عما سواه غاية, وقد وقع له حجاب النهاية وكوشف بالحقيقة كشفاً وحازت له لباساً ووصفاً, وفي البقاء بعد الفناء والقيام بحالة الجمع والفرق في اتباع السنة والبحث عنها قد حصل من ذلك على الحظ الأوفر وفي الالتحاق بالسلف الصالح في ذلك ما ونى ولا قصر, وفي الفتوة والأخلاق الزكية الكريمة والشيم المرضية المستقيمة, آية الزمان والمعجزة التي جَلَت عن مُباراَة الأقران وفي الفرار من الدعوة غاية الإمكان, وفي الفقر الى الله والغنا والتعزُّز به سابح مطلقة له اليدان.

قال وشهد له سيِّدنا أحمد اليمني بالخصوصية التامة وعظُم شأنه فكان يصفه بالمجذوب ويقول فيه أنه أبو يزيد البسطامي وقال فيه يوماً

" قَدَمهُ على رَقبتي ".

ولقد أجاد وأبدع سيِّدنا الجدُّ التعريف به في كتابه الذي سماه " **المقصد في التعريف بسيِّدنا ابن عبدالله أحمد** " الذي نقلنا منه غير ما مرَّة وأتى فيه بما هو أجمع وأفيد, فقد أشتمل على مجلد كبير وديوان خطير وأبدى موهبة فيه من أنواع البلاغة عجباً عجاباً, وفتح فيه لأهل البصائر أبواباً

وأكمل تحصيله وأتقن تفصيله فبوَّبه في نسبه وأبويه ونشأته وبدايته وأخذه طريق هدايته, ومواجده وأحواله ومقامه المتصف به وكماله وسيرته السنية, وجمل من أخلاقه السنية وكرمه وسخاءه وعظيم فتوته ووفائه, وعلو همته وورعه وزهده وحريته ودلالته على الله وجمعه عليه, وسوقه الأقوام لحاله ومقاله اليه وكلامه وإشارته, وما سمعه من تقريراته وكراماته وتصريفاته وشيخه ومشايخ مشيخته وتحرير رفع سند طريقته, وما قال فيه من القصائد وجمع ما تعلَّق به من الفوائد وتوسع في كل باب منه في الإتقان مع فصاحة اللفظ وعذوبة المقال وغاية التحقيق في العبارة ونهاية التدقيق في الإشارة, وبرع في نظم درر الفضائل وتحلية جيد من الكمال غير عاطل, فلا يُجزأ حذوه ولا ينال شأوه, بيد أن تأليفه تقدم على موت صاحب الترجمة بأزيد من عشرين عاماً فيكون الحاق ما أبرزه الحال بعدُ إكمالاً وإتماماً, وإلَّا فذكر ما قبله محضُّ تكرار إلَّا ما لا محيد عنه من فائض تلك الأسرار وإشراق تلك الانوار, بل تدعوا الضرورة الى ذكر ولادته ووفاته وذكر وقائع تتعلَّق بمماته.

فنقول وما أعذب في مثله المقول, ولد ﷺ سنة ثلاث أو أثنين وأربعين وألف حسبما يؤخذ من أخباره عن نفسه كما في " **الإلماع** " وتوفي ﷺ يوم الأثنين ثالث جمادي الآخرة عام من عشرين ومائة ألف عقب زيارته مولانا عبد السلام بن مشيش, وقد أشار لموته قبل وقوعه فإنه لما أحدق مع الزائرين من الضريح المذكور أمرهم بقراءة

﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾[1]

وقال بعد ذلك وهو جالس بين قوم

" سبحان الله الرجل منكم يقصد في كذا لمدة سمَّاها أي يموت "

---

[1] . النحل **1**

فظن كل واحد من الحاضرين نفسهُ فمات هو ﷺ عند تمام تلك المدة بأثر قدومه من الزيارة المذكورة, وقد سمعنا عن بعضهم انه سمع من الولي العارف الكامل الراسخ سيِّدنا أحمد اليمني ﷺ إنه كان جالساً مع شيخه سيِّدي عبدالله البرنوي من بلاد برنو فسمع سيِّدنا أحمد اليمني صوت دندنة فقال لشيخه البرنوي

" ما هذا يا سيِّدي "

فقال له

" انسان بالمغرب يرعى بقرات يقال له أحمد بن عبدالله ما تحت أديم السماء أفضل منه "

فأراد بالبقرات أصحابه المجتمعين عليه على طريق المجاز بجامع الحرس والدلالة.

وكان بعد موت شيخه سيِّدي قاسم مستوحشاً غريباً فرداً ائتلافه على زيارة سيِّدنا عبد السلام بن مشيش ثم لمَّا أتصلت صحبته بسيِّدنا أحمد اليمني جدَّدَ معه الجمع على الله والأخوة في الله وزاد به تأنيساً ولم يكن في المغرب مَن آخى أخوتهما .

وكان سيِّدنا ابن عبد الله ﷺ في غاية الإجلال والإعظام عند الخاص والعام ينصح القوي والضعيف والمشروف والشريف ولا يبالي بالعتاب ولا يقصر في جانب أحد منهُ الخطاب .

ورأيت مكاتبة له لسلطان وقته مولانا أسماعيل بن الشريف مضنها الشفاعة في بعض خاصته رأيتها بخط إمام زاويته الفصيح البليغ سيِّدي أحمد بن عبد الوهاب الوزير ولا أظن معناها إلَّا من إملاء سيِّدنا أحمد بل مختومة باسمه ولا أدري أرضيها أم أضرب عنها نصُّها

السيادة الكاملة والمجادة الحافلة محل الإجلال والتعظيم والبحر الراسخ الجسيم المكين الأرقى الجليل الأسعد الأبين ابو الفداء مولانا أسماعيل أبن مولانا الشريف زاده الله شرفاً وبوَّأهُ من الجنةِ غرفاً, سلام كريم طيب مبارك عميم يغشى بساطكم نفحاته ورحمة الله وبركاته

وبعد, فموجبهُ لمولانا أيده الله أوجب الله له الكرامة وجنبه ما يوجب أو يعقبهُ ندامة, السؤال عن أحواله والدعاء لهُ أن يصلح الله به وعلى يديه ويوفقه للخير ويعينه عليه, وأن يجعلهُ لأنعمهِ من الشاكرين ولآلائه من الذاكرين, وعلى رهبته من المشفقين فيكم قوامها وبنفحاتكم تثير أكمامها وبوجودكم دوام العافية وتَمامها, فليعامل مولانا نصرهُ الله رعيتهُ بما هو أهله من الحلم والإحسان, وليكن كبير المسلمين عنده أباً وأوسطهم أخاً وأصغرهم ابناً, فإنكم رجل واحد منهم لولا ما خصَّكم الله به مَن ذلكم المعنى, وليستوصي مولانا نصره الله وأيدهُ بخدامه وكُتَّابه وأهل بطانتهِ وَوُجوه أهل دولته خيراً ويتنازل لهم, وتسعهم أخلاقه الكريمة وأياديه العميمة, ويراعي فيهم الخدمة ويحفظ ما لهم من الحق والحرمة, لا سيما من طالت عشرته وثبتت مودته, كالسَّيد فلان الفلاني وسماهُ فإنه لازم لأبوابكم السعيدة المدة المديدة وتحت رواق ظلكم السنين العديدة, ومن هو أولاكم ولا غَيرهُ ممَّن والاكم فيكم معروف وبالانحياش الى جانبكم موصوف, والحمد لله. والحلم موجود وبساط العفو ممدود وباب التوبة والحمد لله غير مسدود, فليسامحه مولانا ومَن معه من الكتاب ويتوب الله على مَن تاب, وليخفض لهم ولغيرهم الجناح فأنتم أحق وأولى بإرث جدِّكم الرسول وبأتباع سنته ﷺ يبلغ العبد المُنى والسؤل, فقد كان ﷺ يتنازل

للصحابة الكرام ويستشيرهم فيما نزل به من الأمور مع وجود العصمة وإنه ما ينطق عن الهوى كما وصفهُ العليم بذات الصدور , قال سبحانه

﴿ فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَّ لَهُمْ وَلَو كُنْتَّ فَظّاً غَليظَ القَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَولِكَ فَاْعفُ عَنْهُم واسْتَغْفِر لَهُمْ وَشَاوِرْهُم في الأمرِ ﴾[1]

وقد صرَّح في أصحابه رضوان الله عليهم أيضاً بذلك فقال

﴿ وأمْرُهُم شُورَى بَيْنَهُم ﴾[2]

ومَن لا أصلحتهُ السُّنَّة لا أصلحته البدعة.

وقال تعالى

﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذينَ يُخالِفونَ عَنْ أمْرِهِ ﴾[3]

الآية وحاصله والمقصود الشفاعة.

وقد ورد

" **شفاعتي لأهل الكبائر من أُمتي** "

وجاءَ أيضاً

" **أترونها للتوابين إنما هي للخطَّائين** "

والإنسان محل الخطأ والزلل ونسأل الله أن يوفق مولانا المنصور بالله لصالح القول والعمل إنهُ واسع الكرم والجود والسلام عائد على ذلكم المقام ورحمة الله وبركاته, وكتب عبدالله وخديم أهل البيت بيت رسول الله ﷺ أحمد بن مُحمَّد بن عبدالله كان الله له " انتهت.

---

1 . آل عمران 159

2 . الشورى 38

3 . النور 63

وصدور هذا من أمثاله ﷺ من باب السكون تحت مجاري القدر والإذعان والتسليم لِما نفدت به الإرادة والحرص على النُّصح للأمة والسعي في منافع المسلمين وقد كان من ذلك بالمكان.

قال في " **المقصد** "

" ومن عظيم فتوته وإيثاره وسعيه في منتفع الغير وأوطارهُ ما هو عليه من معاملة السَّيد الجليل العارف الكامل الأصيل أبي العباس سيِّدي أحمد اليمني ﷺ ومرافقته إياه بأنواع المبرَّة والإكرام والإجلال و الإعظام والقيام بوظيفهِ ووظيف أصحابه وعظيم أدبه معه وحُسن معاشرته ومؤاخاته له في الله ومودته وإيثاره على نفسه في كل شيء من الأشياء, فقد كان سيِّدي أحمد اليمني ﷺ بجامع الأبارين من حارة قيس من عدوة فاس القرويين يأوي بصقلبية منها وهي التي فوق السقاية من صحن الجامع المذكور فكان سيِّدنا أحمد ﷺ يرسل ما يحتاجه من الطعام المطبوخ كل يوم ويتخيَّر له من أنواع الأطعمة جيدها وأرفعها ويقيمه من كل شيء حتى الأواني الصغار ولا تجد منها عنده إلَّا أبدعها وأحسنها ويتعاهد أموره كلها ويستعمل له الأدوية والأشربة إذا مرض ويباشرها بيده وربما فَصدَ له في ذراعه بيده لأنه يحس ذلك ويبادر الى الأمر الذي فهم عنه إرادته ولا يتركه يتعنى لشيء, ويشفع فيمَن يتعلَّق به عند ولاة فاس مراسلة ولا يحتاج الى مراسلتهم ويواسي أصحابه بأنواع المواساة كلها فيكسوا عاريهم ويُشبع جائعهم ويدافع عنهم من أراد ضيمهم ويغار عليهم ولا يألوا جهداً جهداً في نصيحتهم وإيصال الخير اليهم.

وإذا خرجا معاً لزيارة مولانا عبد السلام بن مشيش ﷺ وغيرهُ من المشايخ نفعنا الله بهم في رفقة واحدة أستصحب معهُ لأجله أطايب الطعام وأحسنها, وأعد له مركوباً ليركبه وفراشاً ووسادة و سجَّادة وأمر له بتسخين

الماء فلا يتوضأ بكل منزل ينزله إلَّا بالماء الساخن, ولا يغفل عنه فيما يحتاجه من ضروريات السفر كلها ويبالغ في إكرامه وتوقيرهُ واحترامه, ويرفق بأصحابه ويرفدهم فيضيف اليه منهم عدداً يأكلون معهُ وينزلون معه فلا يحتاجون الى زاد سائر سفرهم, وندبهُ للتزويج لكثرة اعتراء الأمراض فلما أجابهُ نهض سيِّدنا أبن عبدالله لذلك وخطب له أبنة الولي الصالح ذي الكشف الواضح سيِّدي عبدالملك بن مُحمَّد الغمري بالمعجمة دفين أكدال من بلاد غمرة على نصف مرحلة من فاس لصلاحه وكونه لا يعرف عوائد فاس من الرفاهية فأستصحب جماعة من الفقهاء وغيرهم ووفد بهم على أخي المخطوبة فعظُّم فرح المخطوب منهُ بمصاهرة هذا السَّيد المبارك, فأنعقد النكاح وتولى سيِّدنا أبن عبد الله جميع نقد الصداق وأمَته, وأراد بعض من حضر الرفق في الصداق فقال سيِّدنا أبن عبدالله

" الذي عندي أن المنسوب الى الله لا يُرفق به في نحو هذا لأنه لا يرى الإنفاق من ماله إنما يراهُ من مال الله ".

وقام بجميع مؤن العرس واللباس وحوائج الزاد وصنع وليمة بدار شيخه سيِّدي قاسم قبل البناء وحشد لها من الطلبة وغيرهم ما لا يكاد يُعد وأطعمهم الثريد واللحم والعسل وكثُر الجاؤون تعرضاً لبركتهما وأعد لهم دار السكنى وإقامتهما من جميع ما يلزم من ادام وزرع ويرسل لهُ زيادة على ذلك ما يكفيه من طبيخ الطعام كل يوم ويقيم اصحابه وأضيافه وأعد لهم داراً يبيتون فيها, ولا يغفل عن شيء من إكرامهم الغاية بالغين ما بلغوا حتى يلتمسوا مَن يأكل ما فضل عنهم من شدةِ في الوقت وغلاء, وسيِّدنا اليمني ﷺ مقبل على عبادته مجموع القلب على مولاه.

وراودهُ بعض أهل فاس أن يجاورهم ويشتروا له داراً لذلك فأبى إلَّا مجاورة سيِّدنا أبن عبدالله لما بينهما من المؤاخاة في الله.

وقال مرَّة

" إن سيِّدنا أحمد بن عبدالله لا يقدر أحد أن يرد عليه شيئاً لأنَّ ماله لله وفي الله فمَن دفعهُ خشى ما ينزل بهِ من عقوبة الله ".

فأنظر رحمك الله ما أقوى هذا السَّيد في ذات الله وما أعظم معاملتهُ فيه حتى لا يسع أحد التخلي عن مواساته وإحسانهِ ﷺ ونفعنا به .

وسيِّدنا أحمد اليمني ﷺ تربى وتأدب وتكَمل بأشياخ من بلادهِ, ولا شَكَّ أنهُ رأى سيِّدنا قاسماً ولا نحفظ له أخذ عنهُ بل مقتضى عموم قولهِ فيما يأتي

" لا منةً لأحدٍ من صالحي المغرب عليَّ إلّا أبن عباد إنهُ لم يأخذ منهُ ولا عن غيره من أهل المغرب ".

وإذا أتسع الكلام اليه فلا بأس أن يتأكد بعض التعريف به.

التَّعريف بسيِّدنا أحمَد اليَمني

فهو ﷺ أعني سيِّدنا اليمني من جُلَّة أولياء الزمان و أكابر أهل الرسوخ في العرفان شهد له سيِّدنا أحمد بن عبدالله بالخصوصية الكاملة و البصيرة التامة وزهده وورعه و اتباعه للسنة و كرم أخلاقه أدلُّ دليل على ذلك و قد صرح عن نفسه بالعرفان وله الكرامات الكبيرة والكشف القوي والفراسة النيّرة اذا تَنكرَّهُ أحد ظهر عليه الخسران من حينه, وإذا أضر به أحد أهلكه الله مكانه, وقال

" إذا آذاني أحد ففاضت عيناي أهلكه الله لا محالة ".

ولما سَمِع سيّدنا اليمني ﷺ ابن عبدالله بذلك قال

" إذا آذاني أحد وضحكت أخذهُ الله ".

وقد صرَّح سيِّدنا اليمني ﷺ بأن أمرين كفيهما لا يهمَّانه همُّ الرِّزق وخوف الخلق وهو على ما منحه الله من العلم اللَّدني يتعاطى قراءة العلم ويعتني بدقائق الفهم يدرس مختصر خليل, قال عمُّ والدنا أبو عبدالله مُحمَّد العربي ومن خَطِّهِ نقلت

" حدثني الثقة الصَدوق أخونا في الله ابو عبدالله مُحمَّد بن مُحمَّد الدريج التطاوني الأندلسي أنه كان يتكلَّم مع الشَّيخ اليمني في شأن الخواطر التي تعتري الإنسان وأنه لا يمكنهُ الانفكاك عنها فقال له الشَّيخ اليمني

" أن هذه الخواطر لابد منها لكل إنسان ولا انفكاك لأحد عنها حتى الخصوص من الخلق ولا ينجوا منها إلَّا مَن كان غائباً في شهود الذات العلية ".

وقد وقعت لي تلك الغيبة مرة فبقيت مصطلماً غائباً لا شعور لي بشيء يوماً وليلة ثم استصحبت مع ذلك واستأنست ولم تبق الغيبة على ظاهري ولما حَدثتُ بهذهِ الحكاية صاحبَنا في الله السَّيد الفاضل العالم أبا عبدالله سيِّدي مُحمَّد المهدي بن أحمد بن علي يوسف الفاسي كلاه الله بيمينه استعظم ذلك وقال

" هذا التصريح بالعرفان "

وصار بعد ذلك إذا كتبهُ يقول فيه الشَّيخ الكامل الراسخ " انتهى.

قال ومن كرامات الشَّيخ اليمني أنه ذهب مرَّة الى زيارة الشِّيخ أبي شعيب الزموري شيخ أبي يعزى نفعنا الله بهما وكان مولَعاً بزيارته ويثني عليه كثيراً وشهد لهُ بالقوة وكان يخبر أنه يراه يقظة ويتحدَّث معهُ فذهب الى زيارته سنة إحدى وتسعين وألف وأتى ضريحهُ ففُتح له القبر المبارك وتبدا له سيِّدي أبو شعيب وجعل يتحدَّث معه فبينما هو كذلك إذ خرج من

القبر شيءُ يشبه النور أو غيره وسار ممتداً في الارض فظهر اليهِ الشَّيخ اليمني وأرادَ أن يتبعهُ بصرهُ لينظر أين يذهب, فقال لهُ الشَّيخ أبو شعيب

" لا تنظر اليه فإن مَن نظر الى ذلك مات "

فقال له الشَّيخ اليمني

" ماذا يا سيِّدي " ؟

فقال له " إن تلك السكينة ذهبت لتزيل الهلع من قلوب الناس والسعر يبقى على حاله لا يزيد ".

وكان قد حدث غلاء حينئذٍ وبلغ القمح فيه ثلاث أواق فكان الأمر فيه كما قال فبقى الناس مطمئنين لم يقع في قلوبهم هلع ولم يحصل جَزع حسبما شوهد من حالهم وتحدَّثوا به, أخبرني بذلك صاحبنا أبو عبدالله الدريج وإنهُ سمعهُ من الشَّيخ اليمني وكان معهُ في تلك الزيارة.

قلت والسَّيد الدريج المذكور من أهل التحقيق والعرفان والعدالة والتثبُّت والاتقان ومن أفاضل المجودين حملة القرآن, صواماً قواماً ذاكراً مجتهداً متبتلاً صابراً عارفاً واصلاً محققاً منوراً فاضلاً, ولهُ صحبة مع السَّيدين الأحمدين معتبرة وخلطة متصلة مقدرة تحقق بقربهما وروى عن معين حبهما, ولاحت عليه أنوار الطريقة وأتَّضح مقامه في الحقيقة وعَبَّر عنه تلميذهُ الولي البركة الأنور الفاضل الصالح الأشهر الزاهد الورع أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد المدرع بقولهِ في منظومة

ومنهم المبرور شمس الأمة ... مُحمَّد الدريج عالي الهمة

كان جواداً فاضلاً ذا نية ... حالتهُ زكية مرضية

من الفحول المتمكنينا ... الواصلين المتحققينا

قرب ضريح شيخه قد ألحدا ... وشيخهُ أعني الامام أحمدا

وجملة أعني الخ, تفسير لضمير شيخهِ الثاني, وشيخهِ هو سيِّدنا قاسم والمعنى اتحد قرب ضريح شيخهِ أعني سيِّدنا أحمد بن عبدالله وقرب ضريح شيخ سيِّدنا أحمد وهو سيِّدي قاسم.

والسَّيد المدرَّع المذكور وهو بصيغة أسم مفعول المضعف الذي مصدره التفعيل كمفضل أدركناه.

كان رحمهُ الله ذا حالة منوَّرة وسيرة في الصلاح مقرَّرة, تلوح عليه أنوار العرفان ويأتي في الطريقة بما لا يصفهُ لسان, لهُ مكاشفات وكرامات وأتباع وأصحاب, وحب في الجانب واقتراب, ملازم للذكر والقيام والعكوف بالمشهد الأعظم والصيام, ولهُ سهم في الطريقة مصيب واعتناء بشأن القوم وذوق عجيب.

ولهُ منظومة في عدِّ صالحي فاس مشتملة على أزيد من خمس مائة بيت وقد ختمها بقوله

هــذا الــذي بلغنــي مــن عنــدهم	ومـــا خفـــى فـــالله أعلـــم بهـــم
لأن ســر أوليـــاءه خفـــــــــــــي	لَـيس يُـرى بـل هــو معنــوي
فـــي العبـــد بينـــه وبـــينَ ربـــه	وغيـــره لـــيس بمشـــعر بـــه
إلَّا إذا شـــــاء الإلــــــه القـــــادر	بـــدَّ و نـــور بـــاطن للظـــاهر
ومَـــــن أراد ســـــترهُ أخفـــــاه	عـــن العيـــون فهـــي لا تـــراه
كـــم عـــارف حبـــر مـــن الـــدُّهات	سُـتر فـــي المحيـــا وفـــي الممـــات
وكـــــم ضـــــريح واضـــــح يـــــزار	صـــاحبه النـــار لـــه قـــرار
لكن حسن الظن في الشرع حميـــــد	فـــي الله أولـــى وكـــذاك فـــي العبيـــد
مَــن أطبقــت عليــه أمــةَ النبـــي	زرهُ بحســــــــن نيـــــــة وأدب
فمــــــنهم النسَّــــــاك والعبَّـــــاد	و الوارعــــون وكـــــذا الزهَّـــــاد

والعلماء العاملون والأتقياء   والمخبتون الخاشعون الأصفياء

والمكرمون بعلا المراقبة   بداخل الحضرة والمقاربة

والتلذذ بأنس القرب   والمتواجد بحب الرَّب

والشائق المتيَّم الحيران   والدَّهش المولَّه السكران

والفاقد التمييز والعقول   وذو البكا والسير والذهول

والسائحون في مدائن الجلال   والعاكفون في بساتين الجمال

كل مقامات من المقامات   هي ولاية من الولايات

لكنه شتَّان ما بينهما   في رفعة القدر وحسن الانتما

يا فوز من كان لهم منسوباً   وفي علا مجدهم محسوبا

هبَّت عليهم نسيمات القبول   وسارعت أرواحهم الى الوصول

تشوقت قلوبهم إليه   وعكفت هممهم لديه

نالوا معاني المجد من بحر الوفا   أهل وراثة النبي المصطفى

خاضوا مع الناس علوم الظاهر   وانفردوا بالفهم للسرائر

مصابيح الدنيا هم والدِّين   ولجا الحائر المسكين

يكفيك من مجدهم وفخرهم   تنزل الرحمة عندَ ذكرهم

فالقوم لا يشقى بهم جليسَهم   ولا يخيب أبداً أنيسهم

فيا أُهيلَ الحمى بالود القديم   هلَ عطفةً منكم على مضنى سقيم

ما لي سوى أبوابكم يا سادتي   أنا الحزين ولديكم حاجتي

فالقلب من هجركم مرجوف   والفضل أن لا ينكر المعروف

حاشاكم أن تطردوا عبداً لكم   وهو ذليل جاء يسعى بابكم

قِدماً أخذتم مهجتي ملكاً لكم   والقلب لا يبرح ودادكم

ثوا هواكم في الحشا وطبنا   لولاكم ما نال قلبُ طربا

عليكم مني السلام سرمدا   ما طلعت شمسُ وما البدر بدا

وصـلي يـا ربِ علـى سـاقي الـورى ... وخيـرُ مَـن لحضـرة القـدس سـرا
مُحمَّــد المختــار بــذرة الوجــود ... مَـن عمنـا فضـلاً وإحسـانا وجـود
أوصـــل منـــا لاحقـــاً بســـائق ... حتـــى تجلَّـــت عنـــدنا الحقـــائق
أزكـــى صـــلاةٍ عَرفُهـــا يفـــوح ... ونورُهـــا مشعشـــع يلـــوح
مـــا حَـــن مشـــتاق لحمـــى لـــيلا ... ومـــا ســـار الحـــيُ اليهـــا لـــيلا
ومـا بكـي الكئيـب مـن حـر جـواه ... ومـا همـت عينـهُ مـن فـرط هـواه
ومـــا تغنـــت بالغصـــون ورقهـــا ... ومـا همعـت سـحب وسـال ودقهـا
وألـه وصحبـــــــــهِ العــــــــدول ... وتابعي ورثة الرســــــــــــــول

وأتينا به لمناسبة المقام وليكتمل التعريف بناظمه عليه ورحمة الله السلام.

وقد تبرَّكت به والحمد لله ودعاني بخير وصحبته في زيارة مولانا عبد السلام حدود خمسة وأربعين ومائة وألف.

وتوفي رحمهُ الله عام ثمانية وأربعين من المائة المذكورة ودفن في روضة سيِّدي الغرابلي بينه وبين سيِّدي مُحمَّد الطالب بالقليعة وبُني عليه قوس متَّصل بقُبَّة سيِّدي الغرابلي بجنوبها.

وترك بعده ولده صاحبنا الطالب الأرضى سيِّدي مُحمَّد ثم توفي عن غير عقب بالطَّاعون حدود ستة وخمسين ومائة وألف ببعض نواحي جبل العِلم ودُفن هناك رحمهُ الله وقد خرجنا عن الموضوع فلنرجع اليه .

المشايخ الذين التقى بهم الشيخ أحمد اليمني

قال في " **المقصد** "

ولقي سيِّدنا أحمد اليمني عدداً من المشايخ

فمنهم الشَّيخ العارف المتمكن سيِّدي دفع الله بن الشَّيخ العارف أبي عبدالله مُحمَّد العراكي وهو عمدته وعلى يده فتح له وإليه ينتسب وهو من بلاد أربجي[1].

وقال عمُّ والدنا سمعت الشَّيخ اليمني يقول

" أخذ الشَّيخ دفع الله عن والده الشَّيخ مُحمَّد عن أخيه الشَّيخ عبدالله عن الشَّيخ حبيب الله العجمي بالسند المتصل الى الشَّيخ عبد القادر الجيلاني ﷺ فطريقته قادرية ".

ومنهم الشَّيخ العالم العارف الكبير المجذوب الشهير صاحب وقته وأعجوبة دهره أبو مُحمَّد عبدالله بن الإمام عبد الجليل بن عمر البرنوي الحسيني القاطن ببرنوا من بلاد السودان وكثيراً ما يذكره ويُحدِّث عن جلالة قدرِهِ وعظم أمره وعنهما تقدمت سماع دندنة سيِّدنا أحمد أبن عبدالله.

وتوفي الشَّيخ البرنوي يوم الأثنين من ربيع الثاني سنة ثمان وثمانين وألف حسبما كتب به ولدهُ ووارثهُ في الطريق الشَّيخ عمر ونقل عنه عن غير واحد, ورأيته بخط عمِّ والدنا أبي عبدالله مُحمَّد العربي ان الشَّيخ اليمني خرج الى زيارة شيخهُ البرنوي بعد العشاء من ليلة الأثنين السابع

[1] دينة سودانية تقع على ضفاف النيل الأزرق، جنوب شرقي الحصاحيصا وجنوب رفاعة وقرب مدينة العيكورة

عشر من شعبان سنة أثنين وتسعين وألف فوجده توفي في السنة المذكورة ثم رجع لفاس.

وقد ألف أديبُ وقتهُ العالم سراج الدين أحمد عبد الحي الحلبي الشافعي ثم الفاسي في مناقبه مؤلَفاً آلى فيه بالعجائب يسع نحو عشرين كراسة.

ومنهم الشَّيخ العالم الولي الكبير العارف أبو العباس أحمد المدعو بالصادق لقب له أبن الشَّيخ أبي مُحمَّد أويس بن عبد القادر التاركي بالكاف المعقودة وهو قاطن ببلدة من السودان.

ومنهم الشَّيخ العالم الولي المجذوب الخطير ذو الكرامات الظاهرة والآيات الباهرة أبو النجدة فارس السناسن بالنون بعد السين الاولى والثانية أسم طعام هنالك سمي به هذا الشَّيخ لأنهُ لا يزال يطعمهُ الناس ولا يطعمهم غيره يحكى عنهُ تصريفات عظام وآيات وإخبارات.

وحدثَ عنهُ أنهُ قال مراراً

" ان طرق الصوفية الموجودة في هذا الزمان محصورة في أربع لا خامس لها كالمذاهب الأربعة وهي الغزالية والقادرية والرفاعية والشاذلية ".

والشَّيخ هذا حنفي المذهب نازل " بوادي سُنَّر " بسين مضمومة فنون مفتوحة مشددة وراء , والثلاثة قبلهُ مالكيّ المذهب.

ولقي سيِّدنا أحمد اليمني الخضر ﷺ ويعرف اسم الله الأعظم وهو قادري الطريقة كما صرَّح به مراراً, شريف النسب أصيل الحسب لهُ سلف في الخصوصية, وصرَّح بأنهُ ترك ذكر نسبهِ لله وهو من قرية يُقال لها مَعَلَّى بفتحات وتشديد بصحراء بين أعالي صعيد مصر وبلاد السودان بين سُنَّر كسكر و أربجي بكسر فسكون فكسر وجيم بينهما نحو عشرين يوماً.

يذكر أنه من ذرية سيِّدنا عبد القادر الجيلاني ووصفهُ بالشرف والولاية والعرفان الشَّيخ الكبير المجذوب أبو حفص ولد شيخهُ سيِّدي عبدالله البرنوي ولجدهِ بأرضه مزاره كبيرة شهيرة ولأبيه ولأخيه ولاية.

وأُخبر أن خروجَه من بلاده كان سنة خمس وسبعين بتقديم السين وألف وجاب في الأقطار برسم الحج ولقاء المشايخ, ودخل بلاد السودان وأتى على سجلماسة وأقام بها, ودخل فاساً اليوم الثامن والعشرين من جمادي الآخرة سنة تسع بتقديم المثنات وسبعين بتقديم السين, وبات يوم دخل بجامع القرويين ومن غده سكن صقلبيه مسجد الأبارين أنزله به القاضي المجاصي ثم انتقل للمخفية كما تقدم وبقى مع سيِّدنا أحمد بن عبدالله, وأمرهما في المؤاخاة والمودة وكمال الحال واتفاق السيرة وأتحاد نظرهما من أعاجيب الزمان, وكذا قولهما في الله وغناهما به وما أمرَهُما في ذلك إلَّا كما قال بعض الصالحين لبعض

" خذ لا لك قال أخذ لا منك "

فكان كلٌ منهما لله وبالله عن الله كما كان هذان السَّيدان في أمرهما رضي الله عنهما ونفعنا بهما وأماتنا على حبهما آمين " هذا كلام " **المقصد** " مع بعض حذف والمذكور ومنهُ بحروفه.

وسمعت من بعضهم أن سبب قدوم سيِّدنا أحمد اليمني من بلاده لفاس ان أهله بيت صلاح في بلادهِ وأولاد عمِّهم بيت رئاسة فمات أهل الرئاسة وبقي منهم طفل صغير وعادة البلدة لا يولون إلَّا منهم فكلفوا سيِّدنا أحمد الولاية حتى يكبر ولَد عمهِ فخرج فاراً من ذلك الى المغرب ولا يعارض حكاية الدَّندة المتقدمة اذ لا مانع من وقوعهما معاً.

وسمعت من شيخنا الزاهد الورع الثبت العلامة الأنور سيِّدي الكبير السرغيني رحمه الله يقول قال سيِّدي أحمد اليمني

" لا منةَ عليَّ لأحد من صالحي المغرب إلَّا الشَّيخ أبن عَباد ﷺ "
قال فإنهُ قضى لي حاجةً ولا أدري أسَمِعهُ منهُ أو بواسطة وهو كالصَّريح في تعميم الأموات والأحياء.

وكان دخول شيخنا هذا أعني سيِّدي الكبير لفاس عام عشرة ومائة وألف حسبما سمعت منهُ وسيِّدي عبدالله البرنوي المذكور هنا ليس هو الذي ذكره شيخنا العلامة سيِّدي أحمد بن مبارك أخذ عنهُ شيخهُ وهو الشريف الجليل الكامل مولاي عبد العزيز ابن مسعود الدباغي الحسني في تأليفه الذي ألفهُ في جمع كلامه وفيما ظهر لهُ من كراماته وبدء أمره الى نهايتهِ لأن سيِّدي البرنوي شيخ سيِّدي أحمد اليمني لم يدخل فاساً بل ولا المغرب أصلاً بالقِدم ولا يمكن ملاقاته مولاي عبد العزيز بالخطوة ولا غيرها لأنهُ أي السَّيد البرنوي توفي سنة ثمان وثمانين من الحادي ولم يكن سيِّدي عبد العزيز حينئذ ولد ولا حملت به أمهُ.

والشَّيخ عبدالله البرنوي الذي ذكر شيخنا ابن المبارك تأخرت وفاتهُ الى سنة ستٍ وعشرين من القرن الثاني عشر كما أعترف به شيخنا المذكور فهو من الاشتراك في العلم فقط, وبقي سيِّدنا اليمني في مؤاخاة سيِّدنا أبن عبدالله كما ذكر الى أن توفي السَّيد اليمني عقب قدومهما من عند سلطان وقتهما سيِّدنا ابي النصر أسماعيل الشريف الحسني باستدعاء منه بسبب شفاعة منهما مراسلة لهما في أمر هائل نزل بأعيان فاس من قبله ولولا شفاعتهما لآل الى أمر فضيع جداً قَل مَن يسلم منهُ من جميع مَن قطن بها فتدارك الله ذلك برحمته ببركتهما فجعل الله لهما المنَّة بذلك على جميع مَن بفاس من وقتئذ فكان ذلك ختمُ مَزايا سيِّدنا اليمني ﷺ.

وقد سمعت من بعضهم أنهُ لما اجتمعا مع السلطان المذكور وطلب منهما فاتحةً وانصرفا عنهُ أمر بعض كُتَّابه أن يشيعهما فلمَّا بعُدا عن السلطان قال سيِّدنا اليمني

" التقى سيِّدي أحمد بن عبدالله ومولاي اسماعيل وأحمد اليمني أحدهم يموت اللَّهُمَّ أجعله أحمد اليمني يعني نفسهُ "

فكان هذا إيثارهُ المسلمين وأميرهم على نفسه وظهرت إجابة دعوته فمات من مرضٍ صحبهُ في الحال وقَدِم فاس مريضاً فتوفي أثر قدومه من سفره ذلك.

وكانت وفاته في مهلِّ رجب عام ثلاثة عشر ومائة وألف, وكان في جنازتهِ مشهد عظيم من حضور خاصة الناس وعامَّتهم على اختلاف أنواعهم ودفن في الموضع الذي يقال له الجنان بأعلى مطرح الجنَّة بجوار سيِّدي يوسف الفاسي وأصحابه بالقباب خارج باب الفتوح إحدى أبواب مدينة فاس الادريسية ووجد موضع القبر حجراً صلباً فتمالا الناس على حفره بآلات الحفر العظام والمواطن وغيرها حتى فرغ من حفره ودفن من يومه.

وخرج سيِّدنا أحمد بن عبدالله بطائفة من أصحابه من المعلمين البنائين والخدمة والجير والرمل والأجر وبنى القبَّة التي على ضريحه الآن وأتقنها غاية الاتقان كقباب أشياخه وأبيه.

وبقى سيّدنا أبن عبد الله مستوحشاً من فراق سيّدنا اليمني غريباً وأولع حينئذٍ بزيارة سيّدنا عبد السلام بن مشيش وجعل فيها الأموال الثقيلة فيهيئ أطعمة مختلفة الانواع بقصد المصاحبين لهُ في السفر ويصحبهُ الجمع الغفير ويستصحب دراهم كبيرة يرفعها للشرفاء أولاد مولاي عبد السلام

ولات ضريحهُ ومَن لقيهُ من غيرهم وأكسية وغيرها من أنواع اللباس وكأنه أنس بذلك عن فراق سيِّدي أحمد اليمني .

واشتدت الفتن وعظمت الأهوال الوقتية فكان يقع له من الكرامات حينئذٍ ما لا يحصى ولو حضر لذلك مؤلف " المقصد " لا يُثبت في كتابة الكثير منها إلَّا إنه فاتهُ ذلك بتقدم التأليف وموته.

وتقدَّمت لهُ زيارات فأجمع في بعضها مع مَن لهُ من الأصحاب وشملهم اصطحاب الأُنس وأُنس الاصطحاب, في عشية آن منها الغروب وسال ذهبها على الربا مرتفعاً على الشهوب, ولاح منها قطعة من الشعاع حاجب سر حنى جبل متوسط الارتفاع, فحسُن للناظرين سناه وبهرهم حسنه وبقاه, فقال كل قائل منهم بيتين توأمين وبعضهم ضاعفها فزاد اثنين آخرين فقال سيِّدنا الجدُّ من بحر الطويل التام الضرب المستطيل

وما أبصرت عيناي مثل عشيةٍ لها منظر يزهوا بحاجب سرحني
كأن ابن عبدالله لاح جمالـــــهُ عليه فأبرى للورى أبدع الحسنـــــي

وقال الفقيه النبيه الأديب البارع النزيه ابو عبد الله الطيب بن مسعود المريني من الطويل أيضاً من الضرب المقبوض منهُ

لعمرُكَ ما شمس العشيةِ أدبرت على متنِ هضب كالأمير المتوج
بأبهى لدينا من جمال إمامنــــــا الولي أبي العباس ذي الحسن الأبهـــج

وقال السَّيد الأجل المنور المبجل العارف الواصل المحقق أبو عبدالله مُحمَّد بن مُحمَّد الدريج من الطويل المقبوض أيضاً

ولما رَفعت الطرف منى لاحظاً وفاجأني نور أضاء على الربا
تَحير مني العقل في وصف حسنه فقلت ابن عبدالله أبدا التقرُّبا
فـلاح لنـا منـه الجمـال عشـيةً وحرك أشواقاً وللقلب أطربا

وكنا جميعاً لا هجين بذكـــــــــره   شربنا بها صهباً هيَّجت الصبـــــا

وقال الأديب الأريب الخيرِ النجيب, ابو مُحمَّد عبد القادر بن الفقيه المتفنن أبي عبد الله مُحمَّد المنقوش من بحر الوافي المقطوف

ألا أرسل عنان الطرف وأبصِر   الى طــودٍ بـهِ نـورٌ تلألأ
كان حبيـب أحمدنا تبـــــــدا   وقد عمت محاسنه الجبـــالا

وقال أيضاً من البحر الكامل

لله مــا بهـــى بهــاء عشـــية   قد نمقَت بنمارق الديباجِ
والشمسُ تحسبها جمال أمامنا   شمس الزمان ونورِهِ الوهــاج

فقوله شمس بدل من إمامنا وقوله ونور بالجر عطف على الشمس والوهاج نعت لنوره.

وقال عمُّنا الفقيه الأخير الأديب الأريب, الأنور الفارس المجاهد الأغر الزكي الحاج الابر, أبو العباس أحمد بن عبد القادر الحسني من الوافر المقطوف أيضاً

ومـا شـمسُ العشـية إذ تبَدَت   كعرس فوق منبرها العلي
بأجمل من أبي العباس إذ ما   يفاجـئُنا بمنظـره البهـــــي

وقال سيّدنا الجد في تلك العشية اذ تبدَّت على ذلك الجبل حمرتها البهية متخلصاً منها الى أنوار سيّدنا أحمد السَّنية هذه القطعة الوافرية سالكاً النوع المُسمَّى عند أهل البلاغة بتجاهل العارف وما أبدعهُ من واصف

أشـمسٌ فـي العشـيةِ قد تـرآءت   أم اليـافق مُحمَّداً أراه

أم المرجـان أُخـرج مـن بحـاره   فصار ربى وطوداً في ثراهُ
أم الـذهب السبيك حمتـهُ نـارهُ   فسال على الربى وبدا سناه
أم المحبــوب وجنتــهُ تبــدت   فلاحَ لنا شعاع من بهاهُ
نعـــم ســـرٌّ جمـــالي تبـــدا   لِمَن بسنا ابن عبدالله تاه
ولاح بهـــاؤهُ لهـــم أصــــيلاً   فحار العقل مما قد عراه
وأبصــر كلهــم ســراً بــديعاً   سرى منهُ وما أحلى سراهُ
هي الأنوار لا أنوار شمـــس   وذلك الحُسن لا حسن تــــراه

قلت والكلام يفضح الغرام وقد حاز سبقهُ صاحب النظم الثالث ويليه الأخير فعليهما ورحمة الله السلام.

وممَّا قاله فيه ﷺ أبو عبد الله الطيب المديني بلغهُ الله كل مقصد ديني وقد أبصر في طريق السفر المذكور صفصافة حسنة المنظر رائقة الأوصاف قد مر على أوراقها النسيم فغدت تتحرك وتهيم هذان البيتان من بحور البسيط اللذين يقر بحسنهما كل ذي طبع بسيط.

صفصافة قد رفرفت أوراقها فحكت   حمائها رقصت من شدة الطرب
كأنها لمحت صفات من فرحـــــة   به القلوب ابن عبدالله ذي القـرب

وقال سيّدنا الجد وقال أيضاً أبو مُحمَّد عبد القادر المنقوشي كان الله لهُ ولكل خيراً أهَّلهُ في أثناء ذلك السفر هذين البيتين من الطويل المقبوض المساوي ضربهُ للعروض

ولمـــا تناشـــدنا مـــدائح أحمـــد   أضاءت به الأرجاء وأترعت الترع
وغنت به الأطيار من فوق أيكهـا   وقد رقصت أغصانها شدةِ الفـرحِ

وقد أنشأ أبو عبدالله الطيب بن مسعود المريني السَّابق ذكرُهُ مقامهِ على صنيع الحريري أمتدح بها سيِّدنا أحمد بن عبدالله وكتاب " **المقصد** " الذي ألَّفهُ فيه سيِّدنا الجد فلا بأس بإيرادها لما اشتملت عليه من المعاني الرائعة المعجِبة والألفاظ الفائضة المطربة

فمَـــــــن فاتـــــــهُ مـــــــنهم الإرب تسلى بما في كمال أوصافهم من الأدب
ونقها نحوك اللَّهُمَّ على ما أسديت من نعم ونصلي على سيِّدنا مُحمَّد منبع الجود والكرم

وبعد فيقول عبدالله تعالى مُحمَّد بن الطيب بن مسعود بن أحمد المريني.

لمَّا أراد الله سبحانهُ أن يمُنَّ علينا بمعرفة الشَّيخ الإمام القدوة الهمام المُتحقِّق الواصل العارف الكامل ذي الهمَّة السَّنية والسيرة السُّنية الدَّال على الله والناصح لعباد الله سيِّدنا وسَندنا ومُعتمدنا أبو العباس أحمد بن الشَّيخ الشهير العارف الكبير أبي عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن مُحمَّد الشهير بأبي عبدالله ﷺ وأرضاه وأنالنا بركتهُ ورضاه.

لقيتهُ يوماً وهو قادم من لمطة فنظر إليَّ طويلاً ثم سرتُ قليلاً وقد أخذ قلبي وذهب بلبي فألتفتُ أتبعهُ نظري فوجدتهُ ملتفتاً بكُلِّيته ينظر إلي فاعتراني من تلك النظرة دهشٌ وحيرة وجعلتُ أُقدِّم رجلاً وأُجِر أخرى ولم استطع عنهُ صبرا فلقيت بعدُ شيخنا العلامة الشريف الهمام مولاي أبا عبدالله مُحمَّد عبد السلام فدلَّني عليه وأشار عليَّ بما يوصلني إليه جزاهُ الله عنا خيراً وأعظم له عندهُ منزلة وقدرا.

ثم وقف عَليَّ ﷺ في المنام وتلقَّاني بالترحيب وأطيب الكلام, فانتبهت فرحاً مسروراً وقد نلت من القبول منهُ حظاً موفوراً, فأنشأت إذ ذاك مقامة

محتوية على نثر ونظام وبعثتُ بها اليهِ فقبلها والحمد لله من غير ملام, ورأيت بركتها على ظاهرة نفعني الله بها في الدنيا والآخرة .

ثمَ لَما وقفتُ على التأليف الجليل الجامع الحفيل المُسمَّى " **بالمقصد الأحمد في التعريف بسيِّدنا ابن عبدالله أحمد** " الذي ألفهُ شيخنا مولاي عبد السلام المذكور أنشأت فيه مقدمة ضمنتها شرح ما أتفق لي معه في الورود وأسندت روايتها الى الطفيلي ابن مسعود وختمتها بقصيدة جعلت تغزلها فيه ثم تخلَّصت منه اليه بما لا ينافيه مادحاً للمقصود والمقصد ومؤلفه الذي جاء في تنميقه موجد, فقلت وبالله التوفيق الهادي الى أقوم طريق

حدَّث الطفيلي ابن مسعود قال لمَّا تلقَّاني بوجه الرِّضى زماني, وحيَّاني طالع السعد بالتهاني, نهضت لأتمِ الأفراحِ بالمليحِ والراحِ, ففاجأني في الطريق ذو وجهٍ طليقٍ, وخدٌ شريفٌ قد نصب أشراك النظر ليقتنص البشر, فدَنا إليَّ بطرفهِ وثنا نحوي عنان طرفه, فمكث نزراً يلحظني شزراً فلم أشعر إلَّا وقد نشبت في حبالته ودخلتُ في أيالته ثم عذرني وسار وغادرني في الأسحار.

رماني بسهم اللحظ عن قوس حاجبٍ	بهي المحيا فائق الشمس والبدر
فصادق قلبي ثم أعرض تائهــــــــاً	فجاءتني الأشواق من حيث لا أدري

فبقيتُ هيماناً لا أستطيعُ كتماناً, متشوقاً لأخباره متشوقاً لأثاره, الى أن جرت الأقدار بالإيراد والإصدارِ, فأزعجتني بواعث الأشواق للتردد في الأسواق, فلقيتُ بعضَ الأصحاب وندبني للأصحاب, فقلتُ لا سمعاً ولبيتهُ طوعاً, وسرنا واليُمنُ أمامنا والخير يقود بزمانِنا, الى حيثُ المَسرَّاةُ مخفية والمبَرَّةُ مستوفية, فألفينا حضرة عَمَّ السعدُ جنابها وخدم المجدُ بابها, ووافتها

الأماني بالبشرى والمواهب تترا, والعز ضربَ بها سرادقة والفجر يروي عن شرفها أحاديث صادقة, ومطابقة لمعاليها وموافقة يستضيء راقيها بنور ساقيها, قطب مرادهم وشمس نهارهم, إنسان عين الإنسان والجامع بين الحسن والإحسان, سحر العقول ويسخر بالفحول, يسبي النها بالجمال والبها

ينبئك ظاهرهُ عن سر باطنهِ   وقد حوى الحلمُ والإحسان والجودا

لولاهُ ما نظرت عيناي من حُسن   ولا ظننت أن الحُسنَ موجودا

لا يسمع ناديه غير مناديه, ولا يؤثر بنعمائه غيرَ نُدمائهِ, فهم مذعنون اليه مجتمعون بكليتهم عليه, قد ظفروا منهُ بالآمال وتلقاهم الرضوان بالإقبال, فدام لهم السرور والفرح والحبور, وأمات بهم الدموع السواكب وخجلَت منهم نيرات الكواكب, فازوا بأوفر نصيب ورموا الواشي منهم بسهمٍ مصيب, ورفضوا العوائق وحسموا العلائق, وحصلوا على مطلوبهم ونالوا القرب من محبوبهم, وعلموا أنهُ من أنفسهم فَحكموه في نفوسهم, الرجال وعاء راه يقال لمَن لم يتصف بمعاني وصفهم رجل.

قال الطفيلي ابن مسعود فلمَّا رأيت ما أعجب الألحاظ وأعجز الألفاظ, وجدت مقتنص قلبي ينتعل الرؤوس مختلس لُبِّي يسترقُّ النفوس, فخيَّمت بفنائهم واستظللتُ تحت لوائهم, لتنظم في سلك درهم صدفي ويلتئم بهم شملي ويخبر بهم تلفي, فقد سمعنا سعد قاصديهم إذ حسنت مقاصدهم, فبينما نحنُ على بساط الانبساط نتجاذب أطراف الاغتباط, إذا أقبل شخص يتكبَّل فرأينا أنهُ يريد أن يتطفَّل, فمِلنا عن مدح الأدباء لقدم الرقباء, فلما ألمَّ بنا وحضر ولم يغنِ منهُ حذر, أو خشيَ عتاباً أو توهم اغتياباً, أخذ يستميل القلوب بأشعار في المحبوب, فقلتُ يا هذا إن كنتَ ممَّن يعرف

القريض ويميز بين الصحيح والمريض, فلنا في هذا المحبوب قصدٌ جيد وحالنا فيه متأبد, فإن أدَّعيت بالشعر علماً فصفهُ نظماً, فمكث أقصر من جلسة الخطيب واعتدال الغصن الرَّطيب, ثمَ ألتحض براعتهُ وشحذ يراعتهُ وانتقاها امضى من العائل ورقم بها في صفاح الطروس من نظم الكامل.

لامـوا عليـك ومـا دروا بالمقصـد ... رأوا ملامـي للسلامـة مرشـد
زعمـوا بـأن تحيـزي بتخيُّـر ... فرثوا لطول تجلُّدي وتشهدِ
هيهـات لـو ذاقـوا هـواك لأنصـفوا ... وأتوا بعذرٍ للمحب ممهدُ
يـا لائمـي ردد علـيَّ حديثـهُ ... فالأذن تعشق ذكر في الملأ الأغيد
ودع المِـلاحَ فمـا يصـد عزيمتـي ... شيءٌ فساعدني وإلَّا فأبعد
وأعلـم بـأن تـولهي مـا ينقضـي أبـداً ... ووجدٌ مؤبـدٌ لم ينفدِ
إن كنـت ذا قلـبٍ سـليم سـالمٍ ... فأنا السليم وليس تدري عوَّدِ
قلبـي تملَّكـهُ الغـرام بأسـره ... فجوارحي أبداً بذلك تقتدي
إنـي رضـيتُ مـن الحبيـب بهجـرهِ ... هبني بذلك أهتدي أو أعتدي
لـم يبـقِ فـيَّ هـوى الملـيح بقيـةٌ ... تصغى لقول الناصحين السَّردُ
مـا زلـتُ بـينَ صـبابةٍ ومهابـةٍ ... متحيراً فيه أروح وأغتدي
لـو أبصـرت عينـاك نـور جبينـهُ ... وضياءهُ كالكوكب المتوقدِ
أو لـو سـمعت خطابـهُ وحديثـهُ ... يشفع غليل المستهام المكمَدِ
أو لـو رأيـت جمالـهِ وكمالـه ... وبهاؤه وعـلاءهُ كـالفرقد
لخضـعت إجـلالاً وصـرت أسـيره ... وحلفت من شغف به لا تفتدي
ورأيـت مـن صـنع المهـيمن صـورةً ... وسريرة في غيرهِ لم توجدِ
ورأيـتُ رضـى الحسن حيـث قلوبُنا ... ما بينَ طيارٍ بها ومغردِ
حيـي المحيـا أيـام كنـت بقربـهِ ... أجني المنا من خدهِ المتورد
لَـم أنسـى ليلـةً جـاد لـي بتألفـهِ ... و تلطف و تعطف وتوددِ

غفـل الرقيـب فنلنا منهـا فرصـةً | يا ليتها دامت لصبٍ مبعد
بتنــا نشعشــع خنــدريس لحاظــه | بعذيب منطقهِ الشهي الموردِ
خــنس الصــباح ومــا ألــم بــديرنا | إلَّا رقيب الفجر أدنى موعدِ
حيـــثُ الربيـــع تفتقـــت أنـــوارهُ | كمنظر مـن لـؤلـؤ وزبرجد
والزهـر ينشـر فـي بسـاط أخضـر | والنهى كالسَّيف الصقيل
والـــروض مبـــتهج النبـــات يزينـــهُ | صوب الجبا بتهطلٍ متحددِ
مــا بــين أبــيض كــالجبن وأحمــر | مثل العقيق وأصفر كالعسجد
والغصـنُ قـد بعـث الصـبا بـدراهم | من نورهِ كرماً بغير تبردِ
والجـــو يـــنفح والنســـيم معنبـــرُ | والطير يصدح في الغصون الصيَّدِ
فتمـيس مـن طـرب لـذاك وتنثنـي | وتَخُر إجلالاً له كالسُّجَدِ
لله مـــا أشـــهى وأحلـــى ليلـــةٍ | جاد الزمان بك برغم الحُسَّدِ
عجـز اللسـان فلـم يطـق إحصـاءها | طويت عليه من السرور السرمدِ
مـا دمـت أحصـد وصـفها الا أنثنـي | عزمي كأني دمتُ علياً أحمد
يحصـى الحصـا والرمـل دون صفاتها | لا بل صفات إمامنا ذي السؤددِ
لــو كــان يــدرك وصــفهُ مُدَّاحــهُ | طراً لكان أحقهم ذو المقصد
فلقـد أتـى فيـه مـا يسـبي النهـى | ويزيد في إيمان كل موحِّدِ
مـــا إن رءا راءٍ لـــهُ شـــبهاً ولا راوٍ | روى خبراً كهذا المرشدِ
فيـــهِ الفضـــائلِ والمكـــارمِ جمـــةً | ما حازها في وقتنا من أمجدِ
نِعـمَ الـذخيرةِ والجلـيس فلـم يَـدع | شوقاً لشخصٍ منهم أو منجدِ
ويـأنس الصَـبُ الغريـبُ ويـنعشِ | الفاني ويجلوا غمةَ القلب الصَدِ
سـرح لحاظـك فـي ريـاض صـفاحه | منعجباً وانشق شذاها ترشدِ
وأنـخ ركـاب العـزم تحـت لوائـهِ | ورد المعين بحوضهِ وتوردِ
يغنيـك عـن زهـر الربيـع وزهـوهُ | والحوض والروض الأنيق الأصعدِ

واشــكر لجامعــهِ الموفــق ســيّدي — عبد السلام القادري الأوحدِ
أكــرم بــه مــن ســابق فــي علمــهِ — فردٌ بأنوار الإله مؤيدُ
مــاذا بــه طيبــت يــا بــن الطيــب — الأسماع من خبر صحيح مسنَدِ
وأفــدتنا مــن كيميــاء علــومكم — ببديع لفظ للجموح مفيدُ
مــا نــاب عــن كنــز وحــرزٌ مــانعُ — أو عز مقدام السرِ المهندِ
وســلكت منهــاج التحقــق للعــلا — ومَن أقتفى سبل المحامد يحمدِ
لا زلــت نفاعــاً معيــداً ناصــحا — للخلق مأجور اليوم المشهدِ
هــذي مواهــب ربنــا مــا قالهــا — إلا السعيد ومَن أتاهُ يسعدِ
هــذا هــو الحســن البــديع طــرازةُ — هذا هو الكنز الذي لم ينفدِ
هــذا هــو الســحر الحــلال يــروح — العاني وينفي كل خطب أنكد
ويزيــد فــي القلــب المشــوق تولعــاً — وتولهاً وتحيراً لم يعهدِ
خــلِ الخلــيّ ومــا اقتضــاهُ رأيــهُ — فالشمسُ ما وضحت لعين الأرمدِ
هــذي ثواقــب زاهــرات فــي الــدجى — هذي مناقب فوقَ كل تعددِ
هــذي عــرائس بالمحاســن تجتلــي — تجلو العَشَّا عن طرفنا كالأثمد
هـــذي ريـــاضٌ نُمقَـــت أزهارهـــا — هذي حياض عذبةُ للورَّدِ
هــذي ثمــار المجــد لاكــن فطمهــا — باللحظ يحصل للنهى لا باليدِ
هــذي ينــابيع الرضــى هــذي مراتــعُ — العلا هذي مواضع السعدِ
هـــذي فضـــائل لا يحـــاط بقـــدرها — طول المدى هذي شمائل سيِّدي
هـــذي طريقتـــهُ الســـنيةُ أوضـــحت — سنن الشريعةِ للمريد المهتدي
هذي الحقائق بعضُ بعضِ علومهِ — فأعجب لذا البحر الخضم المزبد
هــذا ابــو العبــاس أحمــدنا الــذي — ورثَ المكارم عن ابيه مُحمَّد
هــذا ابــنَ عبــدالله مَــن افضــالهِ — عمَّ الورى من أبيض أو أسودِ
هــذا الــذي أخــذَ القلــوب فأذعنــت — طوعاً بنظرتهِ بغير ترددِ

أكــرم بــه مــن أكمــل ومفضــلِ ومبجل ومعظم وممجد
نــال الســيادة والمجــادةُ والإفــادةُ والعبادة والسعادةُ في غدِ
مــا نالــت الســبَّاق مثــلَ كمالــهِ كلا ولا ضاهاه كل مسوَّد
أو هـــي تقدمـــه فـــوق حســـادِه لمَّا تفرد بالعلا والسؤددِ
أعيــا وأتعــب مَــن تصــدى بعــدهُ من ذا يطول بوالدٍ كمُحمَّد
فجـــزاهُ ربـــه العـــالمين بفضـــلهِ عند جزاء العارفين الهجَّد
والله يرضـــيه ويرضـــى دائمـــاً عنهُ ويكلؤه ليوم الموعد
والله يهـــــــدينا لطريقـــــــــهِ ويديمهُ ليقيم كل تأوُدِ
وينيلنـــــا إحســــانهُ بقبولـــــهِ فينا شفاعتهُ بجاهِ مُحمَّد
صلى عليه إلهُنا ما أقبلـــــــــت بذل تجوب له الفلا بالفرقـــــــدِ

وهي مشتملة عل ستة وسبعين بيتاً بتقديم السين على الموحدة وقولهِ لكان أحقهم ذو المقصد, ورأى به للكتاب الذي ألفهُ سيّدنا الجد في صاحب الترجمة وسماهُ " **المقصد** " وقولهُ مَن ذا يطول بوالد كمُحمَّد, المراد بمُحمَّد ولد سيّدنا أحمد سميُّ جدّه وهو أكبر بنيه.

وقد كان سيِّداً صالحاً بركة واضحاً خيراً ديناً ناصحاً, متجرداً للعبادة مدمناً للعمارة, غايةٌ في كمال العقل ونهاية الفضل.

توفي ثالث عشر ذي الحجة الحرام عام أربعة وثلاثين ومائة وألف ودفن بشرقي قبة أبيه وجدهِ داخلها.

والسَّيد الطيب المريني السابق من الأذكياء النبهاء والفضلاء والفقهاء, تعلَّم الكتابة لسلطان الوقت ثمَ تخلَّى عنها لَمَّا أتصل بسيّدنا أحمد, ولهُ تأليف منها " **المقصد المحمود والمنهل المورود** " ضَمنهُ قصائد وغيرها من كلامهِ وأستفتحهُ برسالة نبوية.

ولهُ أرجوزة في الديانات سَمَاها " **الأربعينية في الأحكام الدينية** " وشرحها في كذا, وتأخرت وفاتهُ لسنة خمس وأربعين ومائة وألف رحمهُ الله

وقال في سيِّدنا أحمد بن عبدالله السَّيد الفقيه الشريف الوجيه أبو عبدالله مُحمَّد بن أحمد الطاهري الحسني الجوطي

ألا فاعذروني في الغرام فأنني ... قتيل هوى من هام قلبي بسرِّهِ
سباني وايم الله من نظرة بدت ... وأسر قلبي دائما حكم جبره
فمقلته تدهي العقول إذا زنت ... وافدة العشاق تحيى بنشره
له قامة يحكي الغنات قوامها ... وصوت له يحلوا الذي نشر دره
فياله من بدر رماني بسمعه ... وقدَّ فؤادي منه سطوة قبره
فها أنا متبول كئيب متيَّم ... رهين غرام لا فكاك لأسره
فوا شجبي فوا احترافي ولوعتي ... أصابت والحشا نار هجره
بكاءي بكا ثكلى بديع مهمع ... وشوقي شوق لا خبوَّ بحمده
فلو قصتي قصت على صُمِ جندلِ ... لحنَّ قلبي بالبكا طول دهري
فإن صرت مبهوراً بما قد وصفتهُ ... فما وصف إلا بعض حُسنٍ وشطرهِ
فإن شئت حسناً يوسوفياً مكَّملاً ... فخفيةُ غراء عرج بديرهِ
فيهزُ بالبدر المنير جمالهُ ... ويزرني بضوء الشمسِ أضواءُ
وذاك ابن عبدالله فرد زمانه ... إمامٌ علا كل المعالي بقدرهِ
أضاءت به الآفاق من كل جانبٍ ... وجاء به المولى على أهل عصرهِ
تشير اليه في الأنام أناملُ ... وتحسبهُ بدراً علا في مقره
إذا مر بالأقطار نمت بعرفهِ ... وإن سار في الأدواح جادته
ويُبرز ابكار العلوم بديهةٌ ... ويهز نسيم الطيب في حالِه
أيا ساعياً يبغي الوصول لنحوهِ ... ويبغي شفاء القلب من كل ضُرهِ

فهـــي باحتقـــار وافتقـــار وذلـــة إذا تبلـغ المأمول مـن فـيض خيرهِ
وأعرض أخي عن قول واشي حاسدٍ وعن ملحدٍ يغدوا علـى عمـى مَكرهِ
فيا أيها اللاحون كفوا عن اللحي ســيبلكم المــولى بعاجــل مكــرهِ
لقد خـاب منكم مَن غدا متعرضـاً اليــه عنــاداً قاصــداً بعــد خيــرهِ
فـــو الله لـــو أنصـــفتم لأصـــبتم ومـا ضَـرهُ تزويـدكم وصـف أمـرهِ
فـلا عيـبَ فيـه مـا عـدا أنـه غـدا معــزاً لأهــل البيــت دابــا بيــده
ومـــا هـــو إلا فاضـــلٌ متفضـــلُ كمـــوجي مـــؤثر شـــان غيـــرهِ
تـراهُ إذا مـا جئتـه عنـد معضـل يميـل اهتمامـاً دائمـاً حـل عسـرهُ
ويهتــز عطفــاً كــاهتزاز مهنـدٍ ومـــا ذاك الا مـــن حنانـــة صـــدرهِ
ولا تسـتحي عـذراء مثـل حيـاءهِ لو صـانها الصـوان فـي طـي خدرها
كســـاهُ إلـــه العـــالمين مهابـــةً وأعلـى علـى أهـل التقـى شأن خطرهِ
أيـا عاديـاً يبغـي المحاسـن جمـةً فجـئ بخضـوع قارعـاً بـاب ذخـرهِ
ويـا طالبـاً عـزاً وجاهـاً ومنعـةً جبينـــك عفـــرهُ بنعـــل وقعـــدهُ
و يا مَـن جنـى كـل الكبـائر مـذنباً توســل الـــى الـــرب الكـــريم بقـــدرهِ
إذا شـئت ان تحظـى بعلـمٍ وحكمـةٍ فكــن حافظــاً عهــداً رقيــاً لأهلــهِ
علـى طاعـة الـرحمن والبـر والتقـى غــدا عاكفــاً فـــي ســرهِ مــع جهــرهِ
حبـاه إلـه العـرش كـل فضـيلةٍ فيـــا رب أمتعنـــا بـــهِ وبســـرهِ
هنيئـاً لكـم يـا تـابعين طريقـه لقــد حــزتم العــز الســني بأســرهِ
تحصـنتم مـن كـل خطـب وآفـةٍ وحـــاميتم الـــدين الغريـــب بنصـــرهِ
وأحييـتم الحـق المبـين بحبـه فطــوبى لكــم يــا والهــين بــديرهِ
فيا ربُ يـا رحمن كن لـي ناصـرا وأدخلنـــي يـــا قيـــوم فـــي مســـتقرهِ
بجـــاه شـــفيع المـــذنبين محمد رسـول الإلـه الحـق مطلـع أمـرهِ
عليه صلاة الله ما لاح بــــــارقٌ وما حن مشتاق الى روض زهـــره

وقال فيه الفقيه الأديب أبو العباس أحمد بن الفقيه المشارك لسيِّدي الشاذلي بن الولي الصالح ابن عبدالله مُحمَّد بن الولي الشهير الشَّيخ سيِّدي أبي بكر الرَّحمن

ألا فاسحب ذيول الجد وأزحف ... الى نيل المعاني الراقيات
محنَّن ما تحن الى بروق ... وتجنح للحصان الخافراتُ
وتمدح لاهياً وتتيم زهواً ... وتصبوا للغواني الناغمات
وتعجب إن مذ رنَّ عليك تيهاً ... وتلهوا بالقدود الناعماتُ
وترنوا كل أحور ذا ابتهاج ... ولا تصغى الى قول اللحاتِ
وقد لاحَ ابن عبدالله شمساً ... لمثل جماله فأخضع وآتِ
تنال الفضل في ظل وريف ... وتجني المجد مخضول النباتِ
وترقى في المعالي سماء عز ... وتنتعل النجوم الزاهراتِ
ولا تعجب لرفع سناك وأنظر ... لمَن أبرك مرفوع الصفاتِ
إمامُ سابح في بحر صدى جمالي ... الحقائق والذوات
وبدر قد تسامى في علاه ... وبحرُ قد تدفق بالهباتِ
أقام منار دين الله حقاً ... وأحيانا الى نهجه الهداة
وقام على سبيل الحق يحمي ... حماة بالسيوف الماضياتِ
لهُ خص الإله بكل سر ... به أرقاهُ بين النيراتِ
وما زالت شموس هداهُ تبدوا ... وتخفق في سماء المكرمات
عليه تحية وسنا سلام ... يفوق سنا النجوم الزاهرات
مداماً هيَّج المضنى اشتياق ... شوق لحمى صوت الحدات

وقال فيه الأديب البارع سيِّدي عبدالرَّحمن بن علي السكاج

انــزل بســاحة مسـبل الإحسـان والمنجـد المسـتنجد اللهفـان
وألجـأ اليـه لـذ بـه متـذللاً وأخضع لهُ في السرِ والاعلانِ
والـزم حمـاه وكـن ببابـهِ واقفـاً حاشا يخيب فـي حماهُ العاني
واجعلـهُ كنـزاً والفـؤاد وعـاءهُ وأكـتم سـراً غايـة الكتمـان
فلعـل ان تحظـى بلمحـةِ نظرتـهِ تغنيك عن عرض مزال فانِ
من سيِّدي في حضرة القدس اعتلاء متوجهـاً لمكـون الأكـوانِ
غـوث الكـرام ذوي الأمانـةِ والوفـا منهـلُ رحـم هاطـل هتـان
طـود العنايـة والمهابـةِ والوفـا بحـر النـوال الزاخـر المـلآنُ
بيـت السـيادةُ والصيانةُ والصـفا ملجأ الغريب ومرشد الجيران
أكـرم بـه مـن فاضـل متفضـلِ ومعظم القـدر والعلـي الشأن
شـمس المحاسـن غـرةً فـي وجهـه تجلـوا عـوارض حالـك ظلمانُ
بـدر الخلافـة فـي جبينـهِ طـالعُ مسبي المعنَّـى الوالـه الهيمانُ
سـجدت لـهُ الأرواح لمـا أن بـدا حَنَـت لـهُ بتعـرفٍ روحـانِ
وتفكـرت عهـداً قـديماً قـد مضـى وتـودداً فـي عـالم الجـولانِ
فغـدت بـه مشـغوفةً ملهوفـةً مفتونـة فـي حسـنهِ الفتـانِ
فعليه من رب الأنام تحيةً مـا حـنَّ مشـتاقٌ الـى الأوطـانِ

ولـه فيـه أيضـاً رحمـه الله

ألا عـج بالـديار وحمـى لـيلا ومـل بالركـب نحـو الربـع مـيلا
وخـيم بالخيـام وهـم هيامـاً وقـم وأخلـع بـذاك الـوادِ نعـلا
وجـاور سـاكنيها واسـعى دأبـاً بأنديـة الكـرام تنـال فضـلا
وقـف وأهتـف بهـم طرباً ونـاد أُهيل الحمـى هـاكم روحـي بـذلا
وعَفر في الثرى صحن الخدود وحـط الـرأس للأقـدام ذُلا
وقل يا أهل ليلى في هواكم قُتلت بأسـهم التبـريح قـتلا

وقـد طــار الفـؤاد وذابِ شـوقاً على جَمرِ الصبابةُ صار يُصلاَ
مُميلـــك الغـرام رهــينَ ســقم حلـيم الوجــد والهيمــان مــبلا
عـدمت الاصـطبار وبـان نومـهِ ودمـع العـين سحَ وسـال سـيلاً
يصـير العــيش مــراً إن نــأيتم لذيـذ العـيش عنكم كيـف يحـلا
وكيـف المسـتهام بكـم دوامـاً أسـير السَّــهر والزفـرات يسـلا
وكيـف القلـب يثنـى عـن هـواكم وأنـتم فـي الحشـا روحـاً وعقـلا
فـدعني يـا عـذولي فلستُ ألـوي ولا أصـغى لأهـل العـدل أصـلا
أمـا لـو ذقـت حُـرق الحـب حقـاً لا أضـــمرت للعشـــاق عـــدلا
ولـو أن أبصـرت عينـاك شمسـاً ذرى بالشـمس عنـك العقـل أجـلا
عـروس الحسـن بسـتان الجمـال سـراج النـور بـدر انـتم الاعلـى
إمـــام العـــارفين الواصـــلين ومَـن أحيـا رسـوم الـدين طفـلا
ابـــو العبـــاس أحمـــد الحـــابي وقـــدوتنا ابـــن عبـــدالله أمهـــلا
فيـا لـه مـن إمـامٌ حـاز يسـرا و يـا لـهُ مـن ولـيٍّ قـد تـولى
أمـين ناصـح بَـرٌ زكـيٌ وفـيٌ صـــــادق قــــــولاً وفعــــــلا
عفيـــفٌ زاهـــدٌ حبـــر رشـــيد بـه عـاد الزمـان الصـعب سـهلا
همـام فـائض الانـوار يسـبي لبـاب العقـل يـروي القلـب نهـلا
خِضـــمٌ زاخـــر بالسِّـــر طـــامِ لأبحـــره ذلاً الـــوارد تـــدلا
فمـــا أن أمـــهُ لهفـــان قلـــبٍ مصـــاب بالظمـــأ إلا تَمـــلَّا
وبنـــور ضـــيائه نـــار الزمـــان ومـــن عليـــاء همتـــه تَعَـــلَّا
ومـــن نفحاتـــهِ طـــاب الهيـــام ومـــن فيضـــانهِ الأنـــوار تُجـــلا
وتـــولاه إلهـــهُ واجتبـــاه صـــبياً ثـــم طفـــلاً ثـــم كهـــلا
ولـــم يتـــرك بمهجتـــه ســـواه ومـــا أبقـــى بـــه للغيـــر نـــيلا
عليـــه الله أفـــرغ كـــل حســـنٍ لـــهُ دان الجمـــال وصـــار مـــولا

لأربــاب القلــوب غــدا إمامــا — مكيناً مرتضـى الأوصـاف عـدلا

بـــه لانـــت وطابـــت واطمأنـــت — نفـوس عـن منـال المجـد كسلا

وكـــم للحضـــرةِ العليـــاءِ ســـاقت — مواهبـــهُ شـــروداً كـــان كـــلا

وكـــم فتحـــت مفاتحـــهُ وحلـــت — عـن القلـب البهيـم القـاسِ فعـلا

وكـم صـدرٍ جـريحٍ ضـاق ذرعـاً — غدا فـي الحـين مشروحاً مجـلا

لقـــد نـــارت مـــآثرهُ وجَلَـــت — عـن الإحصـاء والتعـداد قـولا

لـــه طاشـــت عقـول قـد رماهـا — فيسمى الـود مـن لحظيـه نـبلا

تبارك ربنا ولقد علتهُ شمائل — فـي المـلاح عـد مَـن مـثلا

فما عاينتهُ إلا ذهلتُ وظلتُ — بغيـــر وجـــدٍ لـــي يُحـــلا

ومـــا نظرتـــهُ عـــينٌ إلا قَـــرَت — ولـم تلحـظ جمـالٌ سواه أصـلا

وما وقعت محبته بقلبِ شجيً — إلا وصـــار لـــهُ محـــلَّا

ولا نَزلَـــت ركائبـــهُ بـــأرضٍ — خلـت إلَّا نمـت مـالاً وأهـلا

ولا حطـــت نجائبـــهُ بـــوادٍ — عفـاً إلَّا بعـذبٍ صـار يمـلا

لـهُ الأرواح فـي الأشـباح حَنَّـت — واهـوت سـجداً وهـو المصـلَّا

وذكَّرهـــا قـــدير العهـــد لمَّـــا — بهـــاءُ جَمالـــهِ فيـــه تجـــلَّا

فيـا فرحـاً لمجمـوع عليـه وعـن — كـــل الشـــواغل قـــد تَخَـــلَّا

و يـا طربـاً لمنسـوب اليـه ومـن — بالبـــاب حـــط لديـــه رحـــلا

و يـا فـوز الممتـع فـي رضـاه — وبالوصـف الجميـل كسـاهُ فضـلا

عليـــه كـــل حـــين مســـتمرا — ســـلام الله والرحمـــات تُـــتلا

مـــداماً يهـــيج الأشـــواق وجـــدٌ — وحنت للحما الأرواح كـــــلَّا

وهي مشتملة على جملة من أوصافهِ الحسية والمعنوية الظاهرة والباطنة ولذلك حرصنا على ايرادها وإن ففيها بعض مناقشة لفظية لا تضر لكنها

عذبة اللفظ رائعة المعنى.

وقال فيه الأديب البليغ سراج الدين أحمد بن عبد الحي الحلبي الشافعي

أُنظر لروض الحسن فيه تفتَّقت ... بجماله وبهاء أزهارِه
مَن يستطيع يرى لذاك حقيقة ... حارت لذي لب به أبصارِه
وبقلبهِ النور الإلهي اجتلا ... فعلى محياه بدت أسراره
واختارهُ الرَّحمن فينا مرشدا ... يا حبذا يا حبذا مختارهُ
بحُلا السكينة والوقار متوجٌ ... وعليه من سر الهوى اثارهُ
يبغي الخمول لصدقه و عفافه ... والحق فيه يجتلى اظهارهُ
لاحت عليه من النبي معارفُ ... فزهت بدارة وجهه أنوارهُ
فوحى من أعلا مقام علائهِ ... في العارفين لقد مضت أقطارهُ
هل تنكر الشمس المضيئةُ ضحوةً ... لا حبذا من منكر انكاره
إن رمتَ رأس العارفين بعصرنا ... هو رأسهم وبذا فشا أخبارِه
فتراهُ يمشي في العمارةِ والفلا ... ولغير مولاه استحال قراره
هذا ابن عبدالله قدسَ سره ... سعدى بطيب وجودهِ أمصارُه
أنظر طلائع حسنه بجبينهِ ... فيبين ماذا ناله اضمارُه
وعليهِ مني الف الف تحيةٍ ... ما هذَّا مدة النهار اكبارُه

وقال فيه أيضاً بأحرف سيدنا أحمد

رُمت كتم الهوى فزاد افتضاحي ... ما علَّى به إذ أمنَ جناح
وبكل الهوى سَرا من حبيبي ... سريان الجباة في الأشباح
وغدا طالعاً بقلبي مقيماً ... قاضياً بالهوى على الأرواحِ
دعهُ يفعل ما يشاءُ بقلبي ... فهو ريحانتي وروحهُ وراح
وبهِ قد عرفت لا بسواه ... وبهِ قد شغفت لا بالملاح

لــيس قــوت القلــوب إلَّا هــواه قدَّ قلبا قل حلَّه في اجتياحِ
لَـذ لـي فـي هـواهُ نشوةَ سُكري وبصرف هواه صابَ اصطباح
مـــن معَتَقــةٍ ســقاني رحيقــاً مـن هـواه مُزمـزم الأقـداح
فتمايلـــت بـــينَ شـــوقٍ وســـوى للقـــاهُ تمايـــل الارمـــاحِ
عـن شـمائلهِ ورقـة جسـمي سَـل مـرور النسـيج عنـد الصـباحِ
يـا عـذولي دعنـي وحبـي وقلبـي لم تزل نـار مهجتي في اقتداحِ
لا تقـل بالصـدود عَـذب قلبـي فصدود الحبيب فيـه صـلاحُ
لــم أطــق نظــرةً بوجــه حبيــبٍ البس الشمس كسوة الافتضاحِ
والأهلـــــةُ والبـــــدور ســـــجودُ نحـو كعبـةٍ وجهـه الوضـاحِ
حبــهُ اســتعبد القلــوب فهانــت في هوى مهند نفوس الشحاحِ
قـد أصـاب الهـوى صـفيح فـؤادي يـا لـه الله مـن هـوى رمَّـاحِ
وإذا كـان فـي الهـوى جُـرح قلبـي لا شـفى الله فـي الغـرام جـراح
فـي رضـاهُ عـذاب فلبـي عـذب والضـنا جنتـي وقيـدي سـراحِ
ســـعد الهـــائمون فيـــه فغـــابوا عن وجود الـى الفنـاء الصـراح
يممـــوا حســـنهُ بقلـــب ولـــب رامقـــين اليـــه بـــالأرواح
دائمـــو الوجـــد والتوجـــه شـــوقاً بازديــاد الفــؤاد بالارتيــاحِ
يتجلـــى علـــيهم كـــل وقـــتِ فيبلبـــلُ مـــنهم كـــل صـــاح
أســـرتهم صـــبابةً كـــل يـــوم مـن هـواه وليلـه وصـباحِ
حاشـى لله لـم يسـجد القلـب غفلـةً عـــن جمالـــهِ المصـــباحِ
ملكـــوه قيـــاد روح ومـــال وفـؤاداً مـن حبـه فـي انشراحِ
أم من بجمالهِ هام وجـــــــداً ءاخذ الوصل من يد الفتَّــاحِ

وقال فيه أيضاً في رمضان سنة إحدى وتسعين وألف

سليمى افعلي ما سببتُ اني مطاوع   فـلا أنـا غضـبان ولا أنـا جـازعُ
علـى أي حـال شـئت كـوني فـأنني   مكـبٌ عليك فـي رضـاك اسارع
وعدت فكان الوصـل منك موصـلاً   فكـل عشـيق بالوفـا منـك قـاطعُ
أأغضـب إن فات اللقاء منك جازعاً   وقد كان منـي حين فات الموانعُ
لك الأمر والتصريف والمنع والعطا   ولم تجد لي إن لم تجودي المنافع
جمالـــك فتـــان كمالـــك فـــائق   جلالــك قتــال وحســنك بــارعُ
قتلـت الـورى والوجـه منـك مبرقـعُ   فكيفـً إذا مـا أنـزل عنهـا البرابـع
ملكــت فــؤادي بــالهوى وســلبتني   مـرادي فيهـا قلبـي المـراد مـوادعُ
لوجهــك كــل العاشــقين توجهــوا   ومـا مـنهم إلا لوجهـك خاشـعُ
لهـم زفـرات فـي حشـاهم تسـعرت   كمـا أغـرقتهم بالبكـاء المـدامعُ
لقـد ابـدلوا فيـك نعيمـاً بمحنـةٍ   وأنَّـى لهـم جفنٌ مـن الليـل هـاجعُ
ومـن عجـبٍ يفنون فيك عـن الفنا   ولـم يبقـى إلا محـوهم فيهـا ذائـعُ
بـأرض خمـول أنفسـا دفنـوا وفـي   المزابـل أبقاهـا الجبـل والتواضـع
قـد انخفضـوا لمـا رفعـت حقيقـةٌ   كمـا فيـك قـد ذلـوا وعـزك شـائعُ
و والله لــم يعبــؤا لغيــرك لمحــةٍ   ولـو مُزِّقت أوصـالهم و الأضـالعُ
يـروي مـن الضـرَّاء فيـكَ مسـرةً   بعكس مـن السـرَّاء والحـق لامـعُ
وأولـى بـذم هـم مـن الغيـر عنـدهم   لعلمهـــم أن الأمـــان يخـــادعُ
يـرون بعـين القـبح فيـك ملـيحهم   وكـل ملـيح منـك فهـو بـدائعُ
رأوهــا بهــا لمــا تجلَّــت علــيهم   أعـارتهم طرفـاً بـه الكشـفَ واقـعُ
وراءيــــةٌ مرءيــــةٌ اذ هــــي بــــدت   كذا روت عنهـا الحديث الأسـامعُ
وكـم عاشـق سـكران يهتـف باسـمها   لـهُ فـي ميـادين الغـرام مصـارعُ
تنـاجي رسـول اليسـر سـلمى بسـره   وتطعمـهُ فـي الوصـل وهـو تـوادعُ
فلـم يرمـز الصـب فـي الكـون غيرهـا   ولا غيـره والخلـق للمحـو راجـعُ

رأى الغيـر كـالموتى وصـلَّى علـيهم ... وما آن لهُ في غير سلمى مطامعُ
ألا كــلُّ حــبٍ للمشــار بحبــهِ ... لحـب أبـن عبـدالله أحمد تـابعُ
يقـول لسـان حالــهِ عنـد صـدقه ... فـلا أنـا غضـبان ولا أنـا جـازعُ
مواعظـــهِ مقرونـــاً بنصـــائحِ ... ولــيس لــهُ الرشــاد بضــائعُ
اذا زلزلــت شــمَّ الرواســي فإنــهُ ... له شاهد التأييد في الحال ساطعُ
ولــولاهُ فــي هــذا الزمــان وأهلــهِ ... لقيــل ديــار العــارفين بلاقــعُ
ولكنهــا والله قــد عمــرت بــه ... وفي روضها الأسنى نفوس رواتع
سقاه الخصاصي الرضى كأس خمرةٍ ... وشعشعت في القلب منها الطلائع
وســاغ لــه منهـا شـرابٌ مقـدسُ ... فهــام بــه المرجفــون مواجــعُ
ومـن قاسم قـد نـال قسمتهُ التـي ... عليه لها من عـالم الغيـب طابعُ
ووالــدهُ أولــى الخصاصــي شــربة ... حقائقهــا مــن الســالكين لوامــعُ
ومـن عابـد الـرَّحمن والـدهُ ارتقـى ... وباطنــهِ كــل المعــارف جــامعُ
الـى يوسـف الفاسـي كـلٌ قـد انتهـى ... وذاك مـن المجـذوب فيـه طلائـعُ
وما كـان فـيهم من خصـال حميدة ... كأحمـدهم تلـك الخصـال طبـائع
ألا أفهـم اشـارتي بقـولي مترجمـاً ... فـلا أنـا غضـبان ولا أنـا جـازعُ
وذاك شــعار العــارفين حقيقــة ... وفيــه كأربــاب القلــوب شــجائعُ
تسـربلهُ مـن مالـك الملـك أحـد ... وذاك قمـيص الرشـد للغـي قـامعُ
عبارتـــه خـــلٍ والإشـــارة جمـــة ... مضـمنها الأسـرار وهـي جوامـعٌ
تحـدر عقـولٌ مـن غـوامض سـرها ... لهـا مـرد مـن عـالم الـروح واسـعُ
تناول ندى الحب في العصر وعده ... وقـد حرمـت لمَّـا استقل المراضـعُ
فهـذا عطـاء الله يخـتص مَـن يشـاء ... برحمتـــهِ والله معـــطٍ ومـــانعُ
وهـــذا لوجـــه الله لا لعـــوارض ... مـن العـرض الفـاني قبلها شـتائع
أذاع لســـاني مـــا بقلبـــي كـــامنُ ... وكـل إنـاءٍ بالـذي فيـه صـادعُ

أردت وداداً منـــك مـــع اننـــي	على ذنوبي مُصركم أخ هو شافعُ
ولا بـد للأحبـاب مـن دولـةٍ غـداً	بمقعـد صــدق إذ تــرد الودائـعُ
فيا حسرتي ضاع عمري الى متى	قصوري التسويف والعمر ضائعُ
فهل دعوةً يا سيِّدي منك ترتجى	لعبدٍ محـبٍ حبَّـهُ فـيكم ناصـعُ
كـذبت بحبـي لـم أكـن تابعـاً لكـم	فكــل محـــب للأحبـــةُ تـــابعُ
ولكننـي أهـل الـوفى جيئـت بـابكم	إذا لـم أكـن مـنكم فحبـي نـافعُ
فيـا رب زده فـوق مـا روض سـره	بأزهـــار أنـــواع الحقـــائق يـــانعُ
وأنبــع بــه حلمــاً وعلمــاً وحكمــة	ومن عين جمع الجمع تلك الينابعُ
وأمتعـه بالتقريـب والفـوز والرضـى	ورؤيتـك العظمـى فجـودك واسـعُ
وصـلي وسـلم يـا إلهـي علـى الـذي	لهُ نور في فردوس الشمس ساطعُ
وعترتــهِ والصـــحب والتــابعين مــا	تلُــذ بأذكـــار الحبيـــب المسـامعُ
وما قال يلقي القَيال لأمـــــــره	لا غضبان ولا جــــــــــازعُ

وقال سيِّدنا الجد رحمه الله وممَّا قلتَ فيه أي سيِّدنا أحمد بن عبدالله صاحب الترجمة أنا وأبن عمِّه أبو العباس كان الله لي وله وأحسن عملي وعمله, هذه الأبيات الكائنة من بحر السريع ذات العروض الأولى المطرية المكشوفة والضرب الثاني المطوي الموقوف المفيدة القائمة السينية الروى المردفة بالواو وساجلتهُ فيها مساجلة وتناوبت معهُ نظماً مناوله أُنظم خمساً وينظم هو خمساً على منوالها الى أن اجتمع منها قدر قصيدة بكمالهِ فجاءت أبياتهِ مجزءِة بالخمس متصلة المعنى كاتصال اليوم بالأمس مفترقة القائل متحدة المقول فيه متغايرة العبارة متوافقة البحر وقوافيه ذات نمط رفيع وشكل بديع وغزل أنيق ونوع منهُ رقيق, قلت أنا افتتاحاً ومن الله أستمد فلاحاً

يا روضةً تزهوا بحسن الغروس — وقد كساها النور خير لبوس
وافتر ثغراً لا قحوان بها — والزهر أمسى باسماك الغروس
وعانق النسرين زهراً — وقد زهى عليها الورد وهي عكوس
وهب منهُ نسمةً أعبقت — مهما سرت أحيا شذاها النفوس
وهكذا النسرين فاح بها — وصار يزهوا بين تلك الغروس

وقال هو

على بساط عرفه عاطر — تعطرت أرجاؤهُ للجلوس
يسقي الملأ خمرٌ حلالاً بها — مزمز مات منك تلك الكؤوس
لها شعاع مثل شمس الضحى — ضاءت عليهم من سناها شموس
قد طربوا من أجلها فرحاً — لست ترى في ديرهم من عبوس
فهم نشاوى هائمون بمن — أقدامهُ تُجعل فوق الرؤوس

وقلت أنا

أحمدنا الحبر الهمام الذي — أحيا بسرٍ كل رسمٍ دروس
وفاض من أبحر عرفانهِ ما — ضاق عن حمل دناهُ الطروس
قد مرَ بالإمداد أربابها — وقادَ للحضرةِ كل شموس
سقى معيناً طيباً شربهُ — أحيا به والقلب وأحيا النفوس
وفرَّج الغمَّاء عن أهلها — فزال عنهم كل غم وبؤس

وقال هو

هو الامام المقتفَي في الورى — بالسنةِ البيضاء كلاً يسوس
أهدى به الله لسبُل الهدى — فبيَّن الآثار بعد الطموس
وجدَّد الدين ومهَّدهُ — فروعهُ احيا لنا والاسوس
فضاءت الدنيا بأنوارهِ — وأينعت بالخصب بعد اليبوس
فشاع في الأقطار أخبارهُ — وانقاد من أحبارها كل روس

وقلت أنا

وخضـــــع القـــوم لأجلالـــــه	رؤوسـهم حـول حماه نكـوس
هـو إمـام السـر قطـب الهـدى	نـراه كـل منـه غيـر يـؤوس
شـيخ مربـي وارثٌ جـامع مـا	مثلــهُ شــيخ لقــومٍ حـــروس
أقســـم بـــالله وأســـمائه يمـــين	عـــن الإيقـــان غيـــر غمـــوس
ما أن رأت عيناي في قطـــــــرنا	مثل ابن عبدالله نور الشمـــــوس

وقال فيه الفقيه الأثير الفصيح الشهير, أبي الفضل الفيض النوراني والفتح الرباني, سيّدي أحمد بن عبد الوهاب الوزير الأندلسي الغساني يذكر طريقتهُ المقدرة ويعد مشيختهُ المنورة على سبيل التدلي مبتدأً بالحضرة المقدسة المطهرة حضرة المصطفى الكريم عليه أفضل السلام وأزكى التسليم

أحمـد مَـن عـمَّ الـورى فضـلهُ	سبحان المعطي بغيرِ سؤالِ
مزين الايمان في قلب مَن شاء	هداهُ ربنا ذو الجلالِ
في أول الأمر دعاهم الى جنابهِ	الأكرم قصد النوال
فأختـار مـن شـاء فأجـاب بمـا	أودعهُ من سر ذاك الجمال
وقسَّـم الخلـق فريـق هـدى	وفرقة حق عليها الضلال
فـالرب لا يسـأل عـن فعلـهِ	فهو الكريم الواحد المتعال
وبعـدما أختـار فريـق الهـدى	تَخَير الصفوة أهل الكمال
الأنبيـاء ثـم أولـي العـزم مـن	ليس لعلياء مجدهم من زوال
ثـم انتقـى المختـار سـيّدهم	إمامَهم فوق الطباق العوال
أكـــرمُ خلـــق الله قاطبـــةً	أكرمهم من حاق أو ذي انتعال
منـه بـدا النـور الـذي قـد سـرا	به لآدم ثم غدا في انتقالِ
مـن ولـد سـيّدي الـى ولـد ولـم	يزل في قوةٍ واشتغال

حتـــى بـــدا ســـر الوجـــود الـــذي   من أجله الكون زهى واستطال
واســـــطةُ العقــــد يتيمتــــه   فأنتظم الدين به كاللآل
هديــــــة الله إلـــــى خلقــــهِ   منقذهم من حر نار الخبال
حيـــاة الأرواح ومســـبي النهـــا   باللفظ والخط البديع الجمال
إذا جـــرى فـــي الفكـــر أطربـــهُ   وزال منهُ كل داءٍ عضال
وانهالـــت البشـــرى وجـــاء الهنـــى   وذكرهُ أحلا صفاء الزلال
وكـــل طيـــب طـــاب مـــن طيبـــهِ   الطيب الأصل الكريم الفعال
الأول الخـــاتم مـــن وصـــفهِ انـــذهلت   فيه عقول الرجال
كـــل بـــديع القـــول أعجـــز ذاك   البهاء فلم يجد من مقال
كيـــفَ يـــوفي عـــاجز قـــدره بعـــد   ثناء الله مولى الموالي
بخلقـــهِ الأعظـــم أعظـــم بـــه   ما فوق ذاك العز عز ينال
بشــــرى لنــــا بالهــــادي آمالنــــا   مزيةٌ لم تكتسب بمنالِ
مَـــن الله علينـــا بالمصـــطفى   المنتقى الأنس العظيم الجلال
اعطـــف مـــن أمٍ ومـــن والـــد   ومن صديق وحميم وآل
وهـــو علينـــا مشـــفق ناصـــح   كأنما الخلق عليه عيال
أبقـــاهُ فيـــه ربنـــا فغـــدت   انوارهُ تسري بمدى الليال
وســـــرهُ مـــــا زال مســـــتودعاً   يعلوا أو يربوا في صدور الرجال
مـــن واحـــد يســـري الـــى واحـــد   فالحمد للـه على كـل حال
أودعـــــه بضـــــعتهُ فغـــــدت   سيرةٌ ليس لـها من مثال
ثـــم الـــى الصِـــديق أول مَـــن   بدت به أنواره في الرجال
مَـــن جبـــر الله بـــه دينـــهُ مـــن   بعد ما زاغ أهل الضلال
وبعـــده الفـــاروق مـــن قـــد غـــدا   للحق مأوى حيثما مالَ مال
لله مـــــا أقـــــواه مـــــن حـــــازم   أحسَنَ متبوع وأكرم وال

ثـم الـى السـهم الحيـي الـذي لذلهِ بالله مـرُّ الوبال
وبعـــدهُ أخـــو المصـــطفى لهُ ثبوت في اشتداد النزال
فكـم لـهُ مـن آيـةٍ بهـرت فعَدها فاق الحصا والرمال
ومَـن علـي قالهـا حَسَـن السَّيد السبط الحميد الخصال
زَهُـد فـي الفـاني فنـال البقـى وحاول الملك الذي لا يزال
وسـرهُ مـا زال يسـري الـى أن ارتقى فوق رؤوس الجبال
الـى كـريم الأهـل والفـرع مـن حطَت لهُ أعناق أهل الكمال
ابـن مشـيش قطـب أهـل النهـى من بلغ العليا التي لا تُنال
إلَّا بمحضـر الفضـل مـن واهـب سبحانهُ من مكرم متعال
والشـاذلي القطـب منـهُ امـتلأ مجرد الدين العزيز النوال
ثـم الـى المرسـي خلـف التقـى العارف القطب العديم المثال
وخَلـف المرسـي تاجـاً عـلا على رؤوس القوم مثل الظلال
ابـن عطـاء الله مـن ذكـره قد سارَ في الآفاق سيرِ الهلالِ
وخلـف التـاج الرضـى البـاخلي سندهم جاء كذا باتصالِ
وبعـدهُ امتـد الـى ابـن وفـا القطب ثم كأبنهِ بالتوال
أعنـي عليـاً سـيِّدي أماجـدا والأمر يسري هكذا بانتقالِ
ثـم سـرا منـهُ الـى القـادري كنز الغنا والغوث عند المحالِ
أعقبـهُ مـن بعـد ذلـك أحمـد الحضرمي القطب مبري العضَالِ
ثـم بـدا بعـد سـميُّهُ مَـن يـدعي بزرُّوق محطُّ الرحال
غـوث منيـع جـامع نـافع خاتمةُ التحقيق رحب المجالِ
ثـم اليـهِ انضـافَ مَـن يـدعي فهامَ شيخ من شيوخ الكمالِ
منـهُ استقرَّ الشَّـيخ أبـو حسـن أعني به الصنهاجي خلَفَ الوصل
مولَـه فـي الله مسـتغرق غـاب عن الكون وللحق مال

منــهُ ارتــوى حتــى أمــتلأ مــدداً … سيّدنا المجذوب مسبي الرجالِ
فاض على ظهرهِ ظاهرهُ ولم يزل … دأبهُ دون انـفـصالِ
فصـــار يرعـــى وارثـــاً جامعـــاً … فكم شيوخاً قد رآهم ونال
ثـــم أتـــى شـــيخ الطريقـــة مـــن … قد جمع البحرين بحر الكمالِ
بفـــاس يرعـــى وإليهـــا انتمـــى … وجدد الدين بها وأستطالِ
محـــي رســـوم العلـــم لَمـــا عَفَـــت … ومنقذ العاني مميت الضلالِ
ومنــهُ صــار لأخيــه ابــي مُحمَّــد … كنز الغنـــا والنوال
العـــارف الأســـمى المقـــام الـــذي … يحل ما أشكل عند السؤال
مبـــدي علومـــاً طالمـــا اندرســـت … مجلي فهوماً لم تَمر بالبالِ
ومنـــه صـــار الســـر غيـــر خفـــا … فساغ في مخفيه واستطال
وعمرت سوق الهدايةِ في دار بها … الدين أقـــــام وصال
أعنـــي ابـــن عبـــدالله ســـيّدنا مُحمَّـــد … الفضـــل العزيز النوال
وســـرهُ أودعـــهُ لأبنـــهِ لـــدى … ابن الفضل الحميد الخصالِ
أعني الخصاصي الذي خَص في … يومَ ألست حيث كان الوصال
يـــوم عجيـــب مالـــهُ مثـــلِ … لله ما أبدع تلك الليالي
ثـــم ســـر الســـر لســـيّدنا … أحمدنا بحر العطايا الجزالِ
شَــمر عــن ســاق وعــن ســاعدِ … الجد وولى عن سواه ومال
ممهـــد الأخـــلاق طيبهـــا … اليه كل مذعن استمالَ
وعصـــمةُ الخـــائف عونـــاً لمـــن … اليه يلجأ في الأمور الثقال
قـــد طبـــق الارض علومـــاً فلـــم … ينجِ عليها أحد بمثال
ديدنـــهُ الإصـــلاح بـــين الـــورى … وبين مولاهم على كل حال
يظهـــر للعبـــد الـــذي قـــد خفـــا … عنهُ من إحسان بدا ونوال
البســـتهُ مـــن وصـــفهِ حلـــةً يشـــفي … بمرآهُ ذوي الاعتلال

فمـــا رآهُ المــــرءِ إلا انثنــــى منشرح الصدر وناعم بال

ومَــن لقصــدٍ أمــه نالــهُ ونــال ما يرجوه فوق السؤالِ

وأمــرهُ بــــالله إن قــال كــن وربما يسبق الأمر المقالِ

وشـأنه النصـح لكـل أمــر لــي لم يأل جمراً لمقالٍ ولا حالِ

أحيـــا بـــه الله الـــبلاد كمـــا خصَ به قوماً بخير المآلِ

حبَّبـــه الله الـــى خَلقـــهِ بمـــا كساه من نعوت الجلالِ

كـــذا بمـــا أودع فـــي قلبـــهِ عليهم من رحمة واحتفالِ

ولـــهُ أوصــــاف فـــلا تنقضـــي تعددها من لي بعدِّ الرمالِ

أبقاه الله ربي هادياً مرشـــــــــدا ينيل فوزاً ببلوغ الكمـــــــــــالِ

ولناظمها شرح عليها وكان سيِّدي أحمد الوزير هذا هو إمام زاوية سيِّدنا أحمد من موت إمامها قبله الفقيه اللبيب سيِّدي علي الخميري بخاء معجمة فميم مكسورة وياء ساكنة فراء وياء النسب, وكان إمامها قبلهُ الإمام سيِّدي عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي في حياة سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله الى أن توفي سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله فأنتقل سيِّدي عبد القادر الى زاوية عمِّه والد سيِّدي عبدالرَّحمن بالقلقيين وبقى سيِّدي أحمد الوزير إمامها كما ذكر الى ان توفي في ربيع الأول من عام ستة وأربعين ومائة وألف.

ولسيِّدي أحمد الوزير المذكور تأليف منها " مقصودة في مدح سيِّدنا أحمد بن عبدالله" طويلة جداً ابتدأها من يوم ألست بربكم وشرحها في سفرين و " شرح الهمزية والبردة " ومنها " عوارف المنة فيمن بشر بالجنة " و " شرح الحزب الكبير لسيِّدي ابي الحسن الشاذلي " و " صلاة سيِّدنا ومولانا عبد السلام بن مشيش " و " التعريف بسيِّدنا الجد بالعلامة سيِّدي مُحمَّد بن المسناوي " و " التعريف بسيِّدي المهدي الفاسي سماهُ جلاء القلب القاسي بمآثر سيِّدي المهدي الفاسي " و "

حاشيته على الكلاعي الى وفاته ﷺ .

وتوفي في ربيع النبوي عام ستة وأربعين ومائة وألف ودفن بقرب قبة سيِّدنا مُحمَّد ابن عبدالله ﷺ وهؤلاء السادة المذكورون كلهم انتفع بسيِّدنا أحمد بن عبدالله ونال منه وظهرت عليه بركته أمَّا في الطريقة أو في العلم.

وكثر أتباع سيِّدنا أحمد بن عبدالله فلا تجد شريفاً ولا عالماً ولا طالباً ولا تاجراً من أهل فاس ومن غيرها سيما شرفاء جبل العَلَم وتجار تطوان حيث كان يتردَّد لناحيتهم لزيارة مولانا عبد السلام وشرفاء سجلماسة حيث كانوا يعدون على سيِّدي أحمد اليمني لتقدم إقامتهِ ببلدهم سجلماسة, واتصلت زيارتهم لسيِّدنا أحمد ابن عبدالله بعده وكثر معروفه ومعاملته للضعفاء والمساكين وعظم فرحه بالأشراف والعلماء ومواساتهم واهتمامه بأمورهم وقيامهِ بوظائف مَن يليه على أنواع فيعطي مشافهة وبواسطة خفية بحيث لا يشعرون واتضح سرهُ واشرف نورهُ في جميع مَن عرفه.

وكتب يوماً لبعض الولاة

" وأعلموا أنكم لا ترجون عملاً يتقبلهُ الله منكم إلَّا ثلاثة العفو عن الظلم وإغاثة الملهوف والأخذ بيد المسكين, ومن أراد الشفاء في سيرته فعليه بالمقصد ولمؤلفه قصائد في مدح سيِّدنا أحمد وردها آخره, وبوَّب لما قيل فيه من القصائد الشعرية بالبناء للمجهول ولم يذكر إلا كلامه وكأنهُ لم يقنعهُ شيء مما اجتبيناه من الانظام أو تأخر نظم بعض ذلك وحق له أن يقتصر على ما أورد فلهُ قصيدة دالية طويلة عارضَ بها دالية البوصيري, وقصيدة أخرى ميمية في غاية البلاغة لا تُمَل مع طولها, وانظام أخرى لم نورد شيئاً منها لأنهُ شبه تكرار فمَن أراده فلينظره.

وذكر سيِّدنا أحمد بن عبدالله في " **المقصد** " من الكرامات ما يزيد على السبعين وغالبها حضرها والتي لم يحضرها بلغت عنده مبلغ القطع, وبالجملة فولاية سيِّدنا أحمد بن عبدالله بلغت التواتر عند عامة أهل فاس وخاصتهم بل والمغرب وخاصة

أهل المشرق.

ولما مات ﷺ رزء لموته أصحابه ما لم يرزه لموت والد ولا مولود ولا قريب ولا مواخي وبقي أصحابهُ آسفين يبيتون على قبره يصلُّون على النَّبي ﷺ ويقرؤون القرآن والبردة وسائر المدح النبوي طرفي النهار وليلاً أزيد من شهرين.

وتقدَّمت وفاته صدر الترجمة وفي فقد رسول الله ﷺ تسلية من جميع المصائب أماتنا الله على حبّهِ وحبِّ أصحابه وذريته وسائر حزبه وجعلنا مع

﴿ الَّذينَ أَنْعَمَ اللهُ عَليهِم مِنْ النَّبيينَ والصدِّيقين والشُّهداءِ والصَّالحين وحَسُنَ أولئِكَ رَفيقاً﴾[1] والحمد لله رب العالمين.

المهدي ابن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي ﷺ.

ومنهم العلامة الأشهر البركة الأنور الصوفي الأزهر المحدث الحجة الأكبر المحقق الأبهر صاحب التقاييد والمجالس المفيدة والبركات المتوافرة المزيدة البالغ في التحرير والإتقان ما يكل عن حصرهِ من مثلي اللسان سيِّدي المهدي ابن العلامة الإمام الحافظ سيِّدي أحمد بن سيِّدي علي بن الولي الكبير العارف الشهير سيِّدي يوسف الفاسي ﷺ.

كان رحمه الله عالماً قديراً محققاً كبيراً مشاركاً متقناً خطيراً وزاهداً ورعاً ومنيباً خاشعاً له البصيرة في طريق القوم زيادة على ما منح من العلوم وفتح عليه من الفهوم وانفرد في الاتقان الذي لا يعرف لغيره سيما في نسخ الكتب, فإذا كتب نسخة من تأليف لا يكاد بل لا يعثر على حرف واحد أو على حركة في غير محلّهِ مع جودة الخطة في إتقانه.

كان رحمه الله رأساً في الحفظ والضبط والثقة والتحرير غواصاً على درر

---

[1] النساء. 69

المعاني مؤيداً مع ذلك بالتنوير, ذا بصيرة ثاقبة وسهام لعيون الحق صائبة لا يتخلَّف عن قوله التحقيق ولا يحيد عن رأيه التوفيق وتأليفه ﷺ كلها مبنية على التحرير وغاية الاحتياط في النقل والفهم المؤيد بالتنوير, يطيل في التراجم إن وجد في النقل متسعاً ويقصر ان لم يجد موضعاً يتحقق هذا كل مَن وقف على تأليفه, ولا يشك في جودة صنيعهُ وتصريفهُ فلا تجدها إلَّا مشحونة بالنقول مؤنسة المبنى على قواعد المعقول جامعة مانعة مقنعة نافعة ولا يخفى هذا الَّا عن معاند أو جهول حدث ذي ريبة جاحد, وكيف لا وقد أتاني عليه من أهل عصره جهابذة العلماء الأعيان واعجب به من بعدهم من أكابر أهل الولاية والعرفان وأعترف لهُ الكل بالحفظ والضبط والإتقان.

وقال فيه صاحب " **المقصد** "

" هو صاحبنا ومفيدنا السَّيد الفقيه المشارك النبيل العالم المحدث الصوفي الجليل الدراكة الواعية الحفيل المصنِّف المُفسِّر المُتقن المُجيد ذو الفكر الصائب والذهن الثاقب الفاضل المبارك المنيف المنور الأعراف الزاهد العفيف الخير البركة, أبو عبدالله مُحمَّد المهدي بن العَلامة الحافظ المدرس أبي العباس أحمد بن الفقيه الناسك البركة أبي الحسن علي بن الشَّيخ الإمام العالم العَلامة الهمام حجة الإسلام وقدوة الأنام, العارف الكبير الولي الشهير طود المعرفة الشامخ المتمكن الراسخ, الكامل العرفان والأتباع الموصل المربي النفاع, أبي المحاسن سيِّدي يوسف الفاسي ﷺ وأفاض علينا من بركاته.

قرأ حفظه الله على أبيه وأعمامه وعلى غير واحد ممَّن في طبقتهم من مشيخة فاس, العربية والحديث والفقه والعقائد وغير ذلك, وعمدته قراءةً ومجالسةً واستفادةً والده وعمُّه الإمام أبو مُحمَّد عبد القادر بن علي الفاسي وخاله أبو عبدالله مُحمَّد بن أحمد بن يوسف الفاسي " انتهى المراد من كلام المقصد.

وألَّف شرحاً كبيراً على دلائل الخيرات سمَّاهُ " **تحفة الأخيار**" من سفرين كبيرين و

أجلد فيه ما شاء من نقل وتحرير وشرحاً صغير أنحى فيه منحى التهذيب مع الإفادة وحسن الترتيب والإجادة وسمَّاهُ " **مطالع المسرات** " وقد وقفت عليهما واستفدت منهما, و شرحاً أخر سمَّاهُ " **التجريد لما في الكبير على الصغير من المزيد** " و " **العقد المنضد من جواهر مفاخر سيِّدنا ومولانا مُحمَّد في السير** " في سفر كبير و " **كفاية المحتاج من خبر صاحب التاج** " و " **اللواء والمعراج** " في سفر صغير وسمَّاهُ " **الجوهر الفاخر من مفاخر النبي الأول و الاخر**" في سفر كبير و " **الدرة الغراء في وقف القراء** " تكلم فيه على الفصل والوصل و " **النبذة اليسيرة** " و " **اللمعة الخطيرة في مسألة خلق أفعال العباد الشهيرة** " و" **ممتع الأسماع في مناقب الشَّيخ الجزولي ومن له من الأتباع** " و " **الالماع ببعض من لم يذكر في ممتع الاسماع** " و " **تحفة أهل الصديقية بأسانيد الطريقة الجزولية والزرُّوقية** " و " **الجواهر الصفية من المحاسن اليوسفية** " و " **روضة المحاسن الزهية بمأثر الشَّيخ ابي المحاسن البهية** " و " **معونة الناسك بالضروري من المناسك** " و " **تحفة الناسك بالمهم من المناسك**" و " **داعي الطرب باختصار أنساب العرب** " و " **شفاء الغلة وانقشاع السحابة عن حكم السكران أول الملَّة** " و " **تنزيه الصحابة** " و " **الرصاصة المطفية في الدب عن أهل المخفية** " رأيت كراسة واحدة منه بخط مؤلفه لكنها في القالب الكبير وخطها مزدحم جداً وغالب ظني أنها جلد, وسبب هذا التأليف إنهُ وقع من بعض طلبة فاس ممَّن كان يقرأ في زاوية عمِّهِ انكار واعتراض على حال سيِّدنا قاسم ﷺ حتى كتب مكتوبا وأرسله الى أهل زاوية سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله وصدرت الفاظ شنيعة فأدركت سيِّدي المهدي نورانية الانتصار للحق فألف المسمَّى " **بالرَّصاصة** " كالحاشية على المكتوب المذكور وأتى بالعجب العجاب وآل أمر الكتاب الى أمر فضيع كان فيه أتلاف نفسه ومال قبيلتهِ وعشيرته بتوعد من سيِّدي قاسم نشأ عن حال حين قرأ عليه المكتوب, وأمر سيِّدنا قاسم سيِّدنا بحفظ المكتوب عنده وكل شيء بقدر ولا حول ولا

قوة إلَّا بالله العلي العظيم.

فهذا تسعة عشر تأليفاً وقد وقعتُ على جُلِّها وكل ما وقفت عليه منها في غاية الإتقان والتحرير, وكان يحرر علوماً جمَّة وله حفظ واطلاع سيما أسانيد أهل الطريق وأحوالهم ولم يسبق لمثل تأليفهِ " **التحفة** " المذكور ولا أعلم في عصره مَن يجيد تأليفهُ مثلهُ اللَّهُمَّ إلَّا أن يكون عمُّهُ وشيخهُ الامام سيِّدي عبد القادر فإن له التقدُّم والتعمير, انعقد اجماع أهل عصره على تشييخه في العلم الظاهر.

ولصاحب الترجمة تقاييد محرَّرة وتحريرات مسطرة وقد شهد له سيِّدنا أحمد بن عبدالله بنفوذ البصيرة وتنوير السريرة فقال فيما يحكى عنه أنه لما مات والد سيِّدنا مُحمَّد بن عبدالله بقي حيراناً قال حتى جاء رجل مفتوح العينين ودلَّني على سيِّدي قاسم وهو سيِّدي المهدي بن أحمد الفاسي, وكان سيِّدنا أحمد يبالغ في تعظيمهِ وإكرامه ومحبته ويحرص كثيراً على دلالتهِ على الخير, ورأيت مراسلة بخطه أرسلها اليه يذكر له أموراً أبى إخفاءها عنه وينهاه عن الخلطة.

فأجابهُ سيِّدي المهدي بالاعتراف وقبول النصح مع غاية الاعتزاز والاستعطاف, ونص المراد من كلام سيِّدي المهدي

سيِّدي وابن سيِّدي, سيِّدي أحمد كان الله لكم وأعزكم في الدنيا والآخرة سلامٌ عليكم ورحمة الله وبركاته

وقد أتاني كتابكم الى أن قال, وحجة الله قائمة الى أن يرحمني ربِّي وينظر إلى مَن جعل الله في قلبه الرَّحمة بعين الرحمة وينتزعني من يد نفسي, فإن يرحمني فبفضله وهو أهل الفضل حقاً وبفضله عرفته وجالسته, وإن يتركني الى نفسي تهلكني فأنا أهلٌ لذلك ولا حق لي عليه, والمعرفة الأولى لم تكن من عندي وإنما كانت من فضله ولو لا فضلهم ما دخلت مواضعهم ولا رأيتهم قط, و والله لهم أولى بي من أبي وأمي وعمِّي وخالي وهم أرحم بأبي منهم, ثم إن كانت الصدقة إنما هي

للفقير فلا أفقر مني, وان كان الجَبر للكسير فلا كسير ولا معد من مثلي ولا غريق في الشهوة ولا مغيب في بحر الظلمات بحالي والله أعلم ومطَّلع على أن هذا حالي.

ومن كلام صاحب الترجمة يمدح سيِّدنا أحمد بن عبدالله

لقد مـدَّت المُـداح اعناقهـا الـى	مديح إمام فائض النور والسرِّ
فقال لسان الحـال كيـف بدا وقد	غدا قبلهُ مرسىً به مظهر الأمرِ
ولـم يبـقَ فيـه ذكـر غيـر الهـه	وصار لهُ بيتاً تقدس عن غير
وافنـى علـى التوحيد ذاتـاً فأمسـى	في بحار من التحقيق في لجها يسر
ومر بسر من بقاهُ وألقيت عليـه	حلا التقريب والوصل والبر
وقيـل لـه أنـت الخليفـة فـارعين	وأمرك أمري ما حكمت يجدي
وعمَّتـــهُ أنـــوار النبـــوةِ قالبـــاً	وقلباً ما ولته الكمال بلا حصري
وزكتـهُ أخلاقـاً وفـاض ينابعـاً من	من الفضل والعرفان والسر والخير
وأبـدت عليـه مسـحةً من جمالهـا	لذاك قلوب العاشقين له تجدي
وتشــتاقهُ حبـاً وتحيـى بوصـلـه	وكان لديه طيب الذكر والنشرِ
وصار مهاباً في الصدور معظما	يزج الذي يغشاه في الحد والذكر
وتفصــيل أوصــاف لــهُ متعـزز	فكيف يطاق مدحهُ فأقبل عذري
وهـذا كـلام مـن طفيلـي ملفـق	يجاري جياداً بالبطي من الحمر
عليــه رضــاء الله مــاحنَ عاشـقُ	لرؤيا سناه في محاسنه الغرِ
و آله والأصحاب طراً والعــــــلا	شباب وشيخ في حياةٍ وفي قبـــــري

وألفُ أمسى من مصراع البيت الرابع الأول حشو وإن كان محلُّه في الأصل كذلك إلَّا أنه حذف لازم وهو من الزحاف الجاري مجرى العلَّة لأنهُ في محل العروض كما في محلِّه ولو جعل براح مكان فأمسى لسَلم من ذلك, وقال فيه أيضاً

عـابوا التقرب مـن شـيخٍ بـه جمعت كل المحاسن والعلياء بها انفردا

لمـا أحـاط بهـم حرمـانهم فغـدوا من ذاك مرتكبين في حبال ردا

أي فتى هو ذاك الحبر الهمام الذي مناهل الفضل بالتفصيل قد وردا

شيخٌ عـلا قدرهُ في المعلو أي فما ترى لهُ شبهاً في عصرهِ أبدا

وهـو عنصـر فضـل فـائض أبـدا وبحر سر خضم ممتل مددا

شـمس المعـارف بالتوحيـد بـدرٌ دجىً أعظم بنجمه العلم الذي وجدا

بنـورك فـي الطريـق تستضـيء ويهتدي لقصدك ان جعلتهُ سرا

ضحى العيان وطود في اليقين علا وصف المتمكن في مرقاه مذ صعدا

ذو المحـو والصـحو والتجريـد عمـا سوى الهه تاركاً لما سواه سدا

في الاتصال بـه علـى الدوام مضى فلا انقطاع له حاشاه قد رشدا

وفي اقتفاء الرسولِ المصطفى عملا والقول والحال والأخلاق نجم هدا

فـي جذبـه والسلوك صـار معجـزة ان طار أو صار لم تدرك لهُ أمرا

فـاق المشـايخ فـي زهـدٍ وفـي كـرمٍ وفي التواضع والإيثار ما جحدا

وفـي الفتـوةِ مـا أزكـاه مـن رجـلٍ اعظم بإنصافه للحق حيث بدا

وفـي التـورع والعفاف لـيس لـهُ مثلُ يضاهيه في ذا الوقت ما وجدا

ذو حكمـة وانبسـاط فـي اعـتلاءه مع اغتراب عن الأكوان منفردا

لـهُ البصـيرة والكشـف العظـيم وقـد حوى التفرس بالوجه الذي حمدا

وهـو المهـاب الـذي حـلاهُ خالقـهُ من الجمال بأسنى حلَّة وردا

وهـو الإمـام الـذي جلـت مواهبـهُ عن أن يرام بحصر قدرها عددا

فيالـهُ مـن همـام نـورهُ فـائض يسبي العقول ويروي القلب والكبدا

فمـن غـدير قتيـلٍ حبـهُ شُـغفا أو الذي عقلهُ بحسنهِ فقدا
نفسـي الفداء لـه من سيّدي كمُلت فيه المحاسن ليتها تكون فدا
تبـارك الله مـا أحلـى شـمائلهُ فلن ترى من بهي مثلهُ شهدا
والله أكبر على فضائلـــهُ فلن ترى ولي سَمتَه قصـــدا
سبحان الله ما أثنى مآثره قُلت نظائره ما مِثلها عهدا
والحمد لله إذ قد خطهُ كرماً هو حقيقٌ شريفٌ مُحتداً وهُدا
وهو رحيمٌ كريمٌ فاضٍ منبعه لن يُعدم الجود منه كلَ من وردا
لو لم يعلم الناس ما يحويه من عِظمٍ كلٌ على الفور إجلالاً له سُجَّدا
أوَ يعلمون برُحماه ورأفته ما فارقوه بياض يومهم وغدا
رضى الإله عليه دائماً عطرا ينمْ مسكاً أو كوردِ ندا
ثمَّ علينا به دُنيا وآخـــره فهو الكريمُ الذي من أُمِه سعـــدا

وصلة الهاء من بنجمه في البيت السادس حشو مضرةً بالوزن.

وكان صاحب الترجمة ممَّن انتفع بسيِّدي قاسم وأشرق فيه نورُ خصوصيته حتى انتشرت منه هذه الفضائل وتفجرَّت منه العلوم ونفذ نور بصيرته في المعارف و الفهوم.

وأمَدُ صحبته سيِّدنا قاسم عشرون سنة, وانتفع قبل بشيخهما سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله وأمَدُ صحبته له سبع سنين, وتقدَّم ثناؤه عليه وما تلقَّى منه من المعارف, ولازم بعد ذلك سيِّدنا أحمد وزاويته بعد موت سيِّدي قاسم فكان لا يلوي على غيره بل لا يُعرِّج إلَّا عليه, وتقدَّم نصُّ وصفه له وأفرده بتأليفه المسمَّى " **بالإلماع** " فلم يذكر فيه إلَّا إياه وشيخه وأشياخَهُ وما يتعلَّق بهما.

وقد ألف سيّدي أحمد الوزير فيه تأليفاً سمَّاه " **جلاء القلب القاسي بمآثر سيّدي المهدي الفاسي** " وتقدَّم ذكره.

وسمعتُ من شيخنا العلاَّمة الورع الحازم سيّدي الكبير بن مُحمَّد السرغيني العنبري إنَّ الولي الشهير سيّدنا مُحمَّد أو ولده سيّدنا أحمد الشكُ مني ابن ناصر الدَّرعي استدعى سيّدي المهدي أن يكتب له كتاب " **حُلية ابي نعيم الأصبهاني** " وبذل له على ذلك مالاً كاملاً أظنه قال ثمانين مثقالاً فكتبها سيّدي المهدي وبالغ في اتقانها على عادته فأُعجب بذلك سيّدي ابن ناصر حتى إنه لمَّا وقف بعد حَجِّه في المواجهة النبوية قال بين أصحابه ومَلأِه جهراً

" نقرأ فاتحة لكاتب الحُلية "

ورفع يديه بقصد الدعاء ودعا له بذلك المكان الشريف شُكراً لِصنيعه رضي الله عن جميعهم.

وقد طلب بعض الأعمام من صاحب الترجمة أن يكتُب له أسماء الله الحُسنى بخطِّه وهو عمُنا أحمد الآتية ترجمته مُخاطباً له بهذه الأبيات.

سلامٌ كعُرف المسك والعود والندى	على مانح الخيرات سيِّدنا المهدي
وأنا أردنا من مجادة فضلكم	بحُرمةِ ما حُزتم من المجد بالجِدِ
كتابة أسماء الإله بخطكم	لِنتلوها راجين ما صحَّ من قصدِ
لقد جاء في الآثار عن خير مُرسلٍ	مُحصلُها حفظاً له جنَّة الخُلدِ
لعلَّ الإله أن يُعين عبيده	على حفضِها كيما تُعاهد كالوردِ
وهذا كلامي نائبٌ عن بضاعتي	وخُطه قد وافاكَ وفداً بلا رفدِ

فكتب له الأسماء بخطه مع زيادات تليق بالمقام مُبالغةً في إسعافه لمطلوبه واظهاراً للترحيب به والمرغوبة، وأجابه عن نُظمه بهذه الأبيات

بحمـد الإلـه فـي الرسـالة أبتـدي	وأهـدي السـلام للحبيـب مُحمَّـد
عليكم سلام سيِّدي طيب الشذى	يفوق صنوف الطيب كلا بلا حدِّ
وهـذه أسـماء الله مسـرودة كمـا	أتـى نصُّها من غير نقص ولا زيد
وقـد زدت معهـا مـن كـلام أئمـة	كلامـاً كثيـراً لا يقابـل بـالردِّ
فخـذه اليـكم واقبلـوه بفضـلكم	ومتنـك الطـولى بـذاكم علـى العبـد
وطيب السلام عائداً متجـــــــــــرد	على مجدكم يثنى عليه من المهدي

وفيه اختلاف ضرب البيت الأول مع أضرب ما بعده وهو من عيوب القوافي لكنه مُغتفر, توفي ﷺ آخر ليلة السبت التاسع والعشرين من شهر شعبان عام تسعة ومائة وألف وبالغ سيِّده أحمد بن عبدالله في الوقوف على حفر قبره بنفسه مع سائر أصحابه وقُرَبائه لكونه وجد موضع القبر حجراً صلباً ورغب فيه لقربه من جده الشَّيخ يوسف من غرب القبة بداخلها بقرب الحائط المواجه للداخل وأستُعينَ عليه بمطارق الحديد العظام حتى فتح, ولم يتأتَّ دفنه إلَّا بعد صلاة العصر رحمة الله تعالى علينا وعليه ورضوانه وكرامته وجميع المُسلمين آمين.

ومنهم أبو عبدالله مُحمَّد العربي القادري

ومنهم السيَّد العلاَّمة الأنور المُتقن الثقة الورِع الأشهر الفاضل البركة الأغر المُحقِّق المُحصِّل الصوفي الأكبر عمُّ والدنا الشقيق وجدِّنا للاُّم العطوف الشفيق أبو عبدالله مُحمَّد العربي القادري, نسبةً إلى سيِّدي عبد القادر الجيلاني ﷺ.

فهو رحمه الله العربي بن الطَّيب بن مُحمَّد بن علي بن أحمد بن مُحمَّد بن الإمام سراج الدِّين ابراهيم بن مُحي الدِّين سيِّدنا عبدالقادر الجيلاني بن

موسى بن عبدالله بن يحيى الزاهد ابن مُحمَّد بن داوود بن موسى بن عبدالله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ كما هو متداول عندنا وعند غيرنا والحمد لله.

وقال في صاحب الترجمة عصريه سيِّدي المهدي بن أحمد الفاسي

" هو السَّيد الأطهر الشَّريف الأغر الفاضل الأنور, التقي النقي, الأعَف الفقيه المشارك الأعرف ".

وقال شيخنا العلاَّمة سيِّدي أحمد بن مُبارك السجلماسي عن بعض الثقات

" وكان مولاي العربي القادري ممَّن أدرك شيئاً من طريق القوم ولاحت عليه شواهد أنوارها ".

وقال أخوه في كتابه " **المقصد** "

" وكثيراً ما أنقُل عنه ولا أُحلِّيه وما منعني من وصفه وتحليته إلَّا مكان قرابته وأُخوَّته لأنه من أخصِّ جنسي ومدحُه مدحٌ لنفسي وإلَّا فهو حفِظهُ الله علاَّمة مُتفنِّن مُشارك ثاقب الذهن بصير بغوامض المدارك, من ذوي الاتقان والتحقيق والتنقير عما خُفي والتدقيق, خيِّرٌ مُرضي تقيٌ زكيٌ ذو حال سنيٌ وقدرٌ في الدَّين على قولِ الحق مُعرض عن الخلق، قرأ النحو والحديث والفقه والبيان والمنطق والكلام والأصول وحصل له في ذلك اتصال ووصول فله يدٌ في هذه الفنون العلمية وخصوصاً الحديث والعربية, وقرأ على غير واحد من الفقهاء وأماثل النُبهاء وعمدته

منهم اثنان شيخنا العلاَّمة المُحقق الدَّراكة المُدقق أبو عبدالله مُحمَّد بن الشَّيخ أبي مُحمَّد عبدالله القادر الفاسي, وشيخنا علاَّمة الزمان ووحيد الأمان ابو مُحمَّد الحسن بن مسعود اليوسي.

ومن أشَّياخه الإمام عالم الأنام شيخ سائر المغرب أبو مُحمَّد عبد القادر بن علي يوسف الفاسي, قرأ عليه ختمة من صحيح البُخاري وختمتين من شمائل الترمذي وأخذ عنه علم الكلام والتفسير والتصوف وغير ذلك, والإمام الحافظ المُشارك سيِّدي مُحمَّد بن أحمد بن يوسف الفاسي, والفقيه الأديب أبو مُحمَّد عبد الوهاب بن العربي بن يوسف الفاسي, أخذ عنه علم العروض.

وما وصفه به أخوه وغيره ممَّن ذكرنا سمعتُ مثله وأزيد من عامة من أدركنا وخاصتهم ومن جميع من أدركه الأعيان وأهل العصر مطبقون على اتِّصافه بجميع ذلك رحمه الله.

وزار سيِّدنا قاسم نحو أربع مرَّات قرب وفاة أخيه أبي مُحمَّد عبد السلام فدلَّهما على الله وترك الاختيار وبيَّن لهما أنَّ المُدبر مخاصِمٌ مع الله واستشهد على ذلك بالآية

﴿ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾[1].

وكان يوصي بهما سيِّدنا أحمد بن عبدالله قبل مجيئهما ويُخبره أنهما يأتيان إليه، وقد كان محلُّ قراءتهما زاوية سيِّدي عبدالرَّحمن الفاسي على حفيد أخيه سيِّدي عبد القادر.

قال في " **المقصد** "

" صَحِب يعني صاحب الترجمة الشَّيخ الإمام عارف الأنام, قدوة المُتقين وعمدة المحققين, شِهاب الدين ومصباح المهتدين, الطالع الأسعد سيِّدنا أبا العباس أحمد, بن الشَّيخ الهمام الصدِّيق الإمام, الولي الشهير العارف الكبير, أبي عبدالله سيِّدي مُحمَّد ابن عبد الله رضي الله عنهما المؤلَف فيه هذا التأليف والمُشرَّف به هذا التَّصيف, فلازمه المُحرَّم سنة خمس وثمانين

---

[1] . يس 77

لهذا العهد وانضاف إليه وانجمع والحمد لله عليه, وتقيَّد بذلك لا يشتغل بسواه ولا يلتفت لما عداه, فشملته بركاته وعمَّته نفحاته, وانتفع به كثيراً ونال خيراً غزيراً, وحالاً شريفاً ومنصباً منيفاً, أدام الله ذلك له وبلَّغه في الله ما أمَّلهُ.

وصَحِبهُ للحجِّ فحجَّ معه عام مائة وألف ورافقه ذهاباً وإياباً وتوفي في صحبته وتأتي وفاته.

ونشأ رحمه الله في مروءة وصيانة وعفاف وديانه وتوفي عنه والده سنة اثنين وستين وألف فتركه من نحو ست سنين في كفالة أُمِّه وتحت حِجرها السَّيدة الصالحة المُباركة الخيِّرة الناصحة السَّيدة فاطمة بنت سيِّدي حمدون الشقوري الأندلسي, ولم تزل تُربيه على المروءة والخير وتبذل في قراءته من غزل يديها ما لا يعهد من النساء إلى أن أكمل الله مُرادها فيه وفي أخيه الآتي ذكره ورأت فيهما ما أقر عينها, وتوفيت في غيبته للحج عشية يوم الخميس رابع عشر المُحرم فاتح عام واحد ومائة وألف ودُفنت بإزاء زوجها قرب سيِّدي مُحمَّد بن عبَّاد بعد صلاة العشاء نفعنا الله به.

وكان صاحب الترجمة تعتريه أحوال, وصاح مرَّة فسمعه سيِّدي أحمد بن عبدالله ولم يره فقال

" هذه صيحةٌ هاشمية "

وسمعتُ من بعض الأقارب أنه كان يخرق ثيابه حين يُغلب بالحال, وربما يأتي بعض الأصحاب لداره يطلب له لباساً آخر من داره ويأتيهم بالثياب المخرقة، وسمعت من أُمي رحمها الله وكانت ابنته أنها رأت شيئاً من تلك الثياب الخرقة محفوظاً عند أمها بقصد التبرُّك وانهاشت منها رائحةٌ طيبة جداً لا تشبه المُعتاد من الطيب.

وسمعتُ عن زوجته جدتنا للأم إنها سألته عن سبب تخريقه ثيابه مع ما تعلَّم منه من البعد عن ما يُخالف ظاهر الشريعة وشدة حزمه على ذلك وأقسمت عليه فأخبرها أنه إذا نظر إليه سيّدنا أحمد بن عبدالله رأى عمودين من نور خرجا من عينه ودخلا في عين صاحب الترجمة فإذا أحس بهما بلغا قلبه غاب عن حسه ولا يدري ما يفعل بعد ذلك حتى يفيق وقال لها " لولا قَسمُكِ ما أخبرتُكِ وتوعَّدها إن باحت بذلك حتى يموت ".

وكان ورعاً منعزلاً عن الخلق مقتصراً على مُلازمة الزاوية متفرغاً لما يسمع من سيّدِنا أحمد من أُصول طريق القوم لا يدعُ شيئاً ممَّا يسمع منه ويبحث من أحوال الصالحين وأخبارهم عالماً بأسانيدهم وألَّف في ذلك كتاب سمَّاه " **الطُرفة** " اختصر فيه كتاب " **تُحفة أهل الصدِّيقية** " وله تأليف في ولادة الشَّيخ عبد القادر الجيلاني ووفاته ووفاة الأئمة وولادتهم, وله كُناش جمع فيه غرائب العلم وشوارده وأُعجِب الناس منه فكتبت منه نُسخ, ومنهم مَن رتَّبهُ ومنهم مَن كتب منه كما هو.

قال صاحب الترجمة ومن خطِّه نقلتُ

طلب مني بعض وهو صاحبنا أبو عبدالله مُحمَّد بن عيشون المُلقب بالشرَّاط أن أضع له تأليفاً مُختصراً مُهذباً مُحرراً في التعريف بصالحي مدينة فاس حرسها الله, ذكرَ كراماتهم وأخبارهم وآثارهم فساعفتُه ثمَّ استأجرني على كتبه فجعلت أُنشئه وكلما أعطيته كُراسةً ناولني أُخرى حتى أتممته في بضع وثلاثين كراسة بخطِّي وعَدد مَن عرَّفتُ فيه ثمانون ولياً إلاَّ واحداً, أولُهم سيِّدي دراس بن إسماعيل وآخرهم سيّدي مُجبر ولم يبق عندي من التأليف المذكور شيءٌ, ثمَّ عرض لي قرب ذلك الخروج إلى الحج سنة مائة وألف فتركتُ التأليف عنده ولمَّا قدمتُ من الحج عرض لي مرض عظيم أربع سنين شغلتُ منه بنفسي فاسترحت وأنهى إلى بعض الفقهاء أن

ابن عَيشون نسب التأليف لنفسه وذكر اسمه في خطبته فتعجبتُ كل العجب واستغربتُ كل الاستغراب فلقيته فرأيت التأليف عنده بغير خطي فنظرتُ فيه فإذا هو منسوب إلى مسعود الشرَّاط وبعض أهل الوقت من أهل فاس أربعة أو خمسة فتحيَّر عقلي من فعله فقلت له

" يا فلان مَن ألف هذا الكتاب " ؟

فقال لي " أنت "

فقلتُ " ما هذا "

فخجِل وخرس ولم يجد جواباً فقلت له

" ما تقول غداً بين يدي الله إذا عرض عليك هذا التأليف "

ولم يفُه بكلمة فقلت

" أين المُبيضة التي كُتِبت لك "

فقال " ذهبت إلى وادي سبّوا فغسلتها فيه "

فجعلتُ أُوَبخُه على ذلك وأذكر الله والقيامة وما يُضرمه في ذلك من الوعيد الشَّديد ثمَّ عمدت إلى اسمه الذي نُسِب إليه التأليف من الخطبة وقطعتُه ثمَّ أعطيته التأليف وذهبتُ.

ثمَّ بعد ذلك أخذ الورقة التي قطع منها اسمُه وأزالها واستنسخها وذكر اسمُه فيها كما كان وعزا التأليف إلى نفسه فمَن رأى التأليف المذكور منسوباً إليه فلا يعوِّل على ذلك ولا يلتفت إلى ما هنالك لأنه كذِبٌ محض سمح الله لنا وله، وقد ألف ابن عيشون أيضاً تأليفاً في الأذكار فأتى به فاسداً فألحَّ عليَّ في تهذيبه وتحريره فرأيتُ إنشاءه أسهل من تنقيحه فامْتنعتُ له امتناعاً كلياً فجاء إلى أخي العلاَّمة أبي مُحمَّد عبد السلام بن الطيب القادري وألحَّ عليه في ذلك فأجابه وحرَّره له حتى صار التأليف ليس له قطعاً.

نعم لابن عيشون تأليفٌ في عدد صُلحاء فاس على زعمه من غير ذكر خبرهم ولا زمنهُم ولا وفاتُهم بل سردهم سرداً وعدَّهم عدَّاً ومُستندُه في ذلك سؤال أهل كل حومة كم عندهم من الصالحين فيذكرون له ذلك على حسب ما يُذكر على ألسنة العوام الذين لا عقل لهم فيذكر مَن ذُكِر له من المجاهيل ممَّن لم يعلم حاله أهو صالح أم هو طالح, غفر الله لنا وله وأماتنا مسلمين آمين ". انتهى كلام صاحب الترجمة.

وقد حذفتُ منه أموراً لأسباب منها إيثار عدم الطول وقد كان صاحب الترجمة لقيَ سيِّدنا قاسماً المؤلَف فيه هذا التأليف وتبرَّك به لكن مُعوِّلُه وعمدتُه هو تلميذه سيِّدُنا أحمد بن عبدالله.

قال صاحب الترجمة في تأليفه المُسمَّى " **بالطُرفة** "

وبيننا وبين الشَّيخ الجزولي في مُجرد الرؤية أربعُ وسائط وذلك من طريقين أحدهما رُؤيا لبعض الفضلاء ممَّن لقيَ أبا العباس أحمد السكراتي بسين وكاف معقودة وهو عن سيِّدي أحمد بن موسى عن الشَّيخ التبَّاع عن الشَّيخ الجزولي، وفي المُخاطبة والتبرَّك والاستفادة خمسة وسائط وهو أنَّ سيِّدنا الإمام العارف الكامل أبا العباس أحمد بن عبدالله عن والده سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله عن سيِّدي يوسف الفاسي عن سيِّدي كانون المُطاعي وسيِّدي إبراهيم الزَّواري كلاهما عن الشَّيخ التبَّاع عن الشَّيخ الجزولي ﷺ أجمعين ذكره في الطائفة الجزولية.

وقال عند تمام كلامه على الطائفة الزرُّوقية, وبيننا وبين الشَّيخ زرُّوق وأشياخه في مُجرد الروية ثلاث وسائط وذلك برؤيتنا غير واحد ممَّن رأى سيِّدي يوسف الفاسي وهو عن سيِّدي إبراهيم الزَّواري ﷺ أجمعين.

ولم يذكر سيِّدي قاسماً أدباً منه مع شيخه سيِّدي أحمد بن عبدالله وإلَّا فقد زاره وتبرَّك به وخاطبه وأفاده كما مرَّ لكن مُلازمته إنما كانت لسيِّده

أحمد بن عبدالله, ومُدة ملازمته إياه تزيد على العشرين سنة إلى وفاته في حياة سيِّدنا أحمد.

وكان صاحب الترجمة داعيةً مُتقناً بصيراً بالنقد والتحرير جداً وأعرض عن التَّصدي للتدريس وتعليم الطلبة والخوض مع فقهاء الوقت واقتصر على لزوم الزاوية والتجرُّد والتلقي لما يظهر من سيِّدنا أحمد من المعارف فلا يصدُر منه أثر فعلي أو قولي ممَّا يتعلق بالطريق إلَّا التقطه, وكان من أخصّ أصحابه.

وكتب له إمام زاويته الفقيه الأثير سيِّدي أحمد بن عبد الوهاب الوزير مراسلة يُسلم فيها على جميعهم يستنشده استمطار الخيرات من سيِّدنا أحمد في غيبتهم للحج ونص المُراد منها

الفاضل الأجلُّ الخيِّر المُبارك المُبجَّل, السَّيد الشريف ذو القدر السامي المُنيف, الفقيه العلاَّمة الأوحد الصادق الناصح الأنزه, الحبيب وأيُ حبيب مَن له في المحبةِ أوفر نصيب ورمي بسهمها المُصيب, مولاي وسيِّدي وابن سيِّدي أبو عبدالله العربي بن مولاي الطيب القادري الحسني إلى أن قال

وبالفضل عنكم نُبْ عنِّي في السَّلام على كافة ساداتِنا الأصحاب إن خف عليك فإني أعرفُ منك العجز في بعض الأحيان حتى عن الكلام إلَّا في مسألة واحدة لا أُقيلك فيها إن والاك أن تذكُرني لسيِّدي ومولاي والمُراد سيِّدي أحمد بن عبدالله.

وسمعتُ من والدي رحمه الله غير ما مرَّة أنَّ صاحب الترجمة كان يقول ما معناه

" يا ليت كل زنقة من فاس فيها ولي حتى يظهر مَن فيه محبة ابن عبدالله "

يعني لا يلتفت لغيره ولو مُلِئت بالصالحين وهذا من المُبالغة في صدق الطلب، ولمَّا قَفل صاحب الترجمة من المشرق مرض المرض المُسمَّى بالنفخة نحو أربع سنين ثمَّ عوفي, وسمِعتُ إنه لمَّا ظهر مُنكر في جانب البعض من المسلمين وأنهى إليه أخذته الغيرة وجعل يقول

" الله الله الله "

يُكرر اسم الجلالة حتى أُغميَ عليه وحُمل إلى داره فبقيَ مريضاً فَحماه الله من سماعه مرةً أُخرى والدخول فيه فمات بعد أيام فكانت من عناية الله به وكرامته.

وسمعتُ من والدتي رحمها الله أنه لمَّا قرُب موته لبِس نعله غداة يوم الخميس ومكَّنه في رجله على وجه لا ينفصل إلَّا بإزالتهِ باليد مُريداً الذِهاب للخميس ثمَّ جلس على عتبة البيت فأخذته سِنةٌ كالنوم ففتح عينيه وقال

" لكم الله يا أولادي "

ثمَّ خلع النعل ورجع للفراش وصحبه المرض إلى أن مات وكأنه رأى في تلك السِّنة ما يدلُّهُ على موته بالقرب رحمه الله، وكان وفاته حدود آخر الحجة عام ستة ومائة وألف, واجتمع بجنازته الجمُّ الغفير من أهل فاس وغيرها أشراف وعلماء وطلبة وأهل الشرط من فاس وغيرها، وكان في مشهدٍ عظيم, سمعنا ذلك من غير واحد وأعقب ولداً هو ولدُ عمِّ أبينا أبو مُحمَّد عبد القادر وهو الآن في قيد الحياة في سِن الشيخوخة.

أبو مُحمَّد عبد السلام بن الطيب القادري الحسني

ومنهم العلاَّمة الراسخ في المعارف والعلوم وإمام أئمة المنشور والمنظوم المُشارك الحُجة القدوة الدرَّاكة جدنا للأب أبو مُحمَّد عبد السلام بن الطيب القادري الحسني, وهو شقيق أبي مُحمَّد العربي صاحب الترجمة التي قبله

فليراجع رفع نسبه في صدرها, وممَّا هو صريح في اتصاله بالشَّيخ سيِّدي قاسم نفعنا الله به ما نقله سراجُ الدَّين الحلبي في " **ريحان القلوب فيما للشَّيخ عبدالله البرناوي من أسرار الغيوب للحلبي** " ما نصُّهُ.

" أخبرني الفقيه المُشارك الأصولي البياني الجامع بين غرائب العلوم والفهوم الناظم الناثر الحسني القادري السَّيد عبد السلام بن السَّيد المُبارك المرحوم السَّيد الطَّيب بن السَّيد مُحمَّد بن السَّيد مُحمَّد بن السَّيد مُحمَّد بن السَّيد مُحمَّد بن السَّيد مُحمَّد بن السَّيد بن مُحمَّد بن السَّيد أبي الخيرات سعد بن السَّيد أحمد بن السَّيد الصالح أبي العباس أحمد بن السَّيد أحمد بن السَّيد العارف المُحقِّق القدوة أبي عبدالله مُحمَّد ابن السَّيد أبي الحسن علي بن الشَّيخ الفقيه الصالح الزاهد سيف الدَّين أبي العباس أحمد بن الشَّيخ الناسك الورع أبي عبدالله مُحمَّد بن الشَّيخ الإمام العالم الصالح سراج الدَّين أبي اسحاق إبراهيم بن شَّيخ المشايخ وقطب الأقطاب مولانا عبد القادر الجيلاني نفعنا الله به، ودارهم بفاس شهيرة وهي دار جلالة وحَسبٍ وبركةٍ وحُرمةٍ قديماً وحديثاً.

قال لمَّا كتب في عنفوان الشباب والصِّبا وهيئتي مُناسبة للصِّبا ولباسي كذلك فجئتُ ذاتِ يومٍ إلى زاوية الشَّيخ ابن عبدالله في المخفية وأردتُّ زيارة الشَّيخ قاسم الخصاصي المذكور فاجتمعتُ بأهل الزاوية وجلستُ معهم فلم أرى منهم تعظيماً لي وتوقيراً كعادتي مع غيرهم فقلت في نفسي هؤلاء عامة أجلاف لا يعرفون حقِّي أو كهذا القول ووجدت عليهم في نفسي ثمَّ قلتُ لهم استأذنوا لي الشَّيخ للزيارة، وكان مريضاً لا يخرج إذ ذاك قال فأذن لي في الدخول عليه وجلستُ بين يديه فسأل عني فعرف بي وفرح بي ثمَّ قال

" قال ذات يوم عبدالرَّحمن الفاسي لبعض الطلبة ممَّن توغل في علم الكلام وكان يُحقِّر العامة وكان الشَّيخ عبدالرَّحمن يغلبه في العلم والدليل ويفحمه إذا تكلم فقال له

" لا تُحقِّر العامةَ فأُحقِّرك "

قال المحدِّث فبُهتُّ بين يديه من مُكاشفته لما في باطني بما قُلته في سرِّي ثم قلتُ له ادعُ الله لي يا سيِّدي أن يرزُقني محبةَ النبي ﷺ قال فاضطرب الشَّيخ وهاج واحمَرَّت عيناه وضج ضجيجاً عظيماً وقال

" أتسألُ المحبَّة ولولا سبقُ محبَّة الله لك ومحبَّة رسوله ﷺ لما بلغتَ هذا الحال حتى خلقتَ مؤمناً من أُمته وزيادة على ذلك بأن كُنتَ من ذُرِّيته ﷺ فأيُّ محبَّة لك ليس لك محبَّة فاعرف قدر محبة الله لك ولا تنسُب لنفسِك محبة ".

ثمَّ أن صاحب الترجمة اجمع أهل عصره على تعظيمه والتسليم له في مضامير البلاغة وتقديمه له البراعة التامة في النُظم والتأليف وتحرير العلوم وأذعن له في ذلك أقرانه بل شيوخه وأثنى عليه جميعهم بالرسوخ في العلم والصراحة في النسب الفاطمي النبوي والخُلُق الكامل المصطفوي وسنقف على جميع ذلك إن شاء الله نصَّاً.

فمن بعض المراسلات التي خاطبه بها شيخه الإمام أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي مع أخيه المذكور قَبل ما نصُّهُ

" المُراد منه إلى السَّادات الفضلاء القادة النبلاء الفقيهيَّن النبيهيَّن الاريبيَّن الحسنيَّن الشريفين المُنيفين أبي مُحمَّد سيِّدي العربي وأبي مُحمَّد عبد السلام ابني الطَّيب الحسني القادري والفقيه النَّبيه سيِّدي المهدي بن أحمد الفاسي ".

ومن مُراسلة الإمام الصَّالح البركة سيِّدي الحاج علي بركة الأندلُسي التطاوني الأصل ودفينها ما نصُّهُ

" لسيِّدي الأوحد الإمام الأمجد الهُمام عميد السيادة ووحيد الفضل والمجادة نبراس العُلماء ومُقباس الأُدباء والحُكماء حامل لواء الأدب ومحل الجود والكرم والحسب ذي الضنضئ[1] الطَّاهر السَّني العلاَّمة سيِّدي عبد السَّلام بن الطيب القادري الحسني أبقى الله بركته ".

وقال فيه شيخهُ الإمام الأوحد المُحقُّق الأعمد سيِّدي مُحمَّد بن الإمام سيِّدي عبدالقادر الفاسي فيما كتب على تأليفه المُسمَّى " **التماس البركة في أجوبة سيِّدي الحاج علي** " ما نصُّهُ

" تصفحتُ هذه الأجوبة المونقة فألفيتها قد قرطست سهامها ونشرت بالنصر أعلامها وبين لذي الانصاف إتمامها وإبرامها فاللّه سبحانه يجزي منشأها, جزاء مَن أحسن ويضاعف له ثواب مَن عمل فأتقن, قال هذا وكتبه عبدالله الفقير إلى رحمته مُحمَّد بن عبد القادر الفاسي كان الله له ".

وكتب سيِّدي مُحمَّد بن عبد القادر الفاسي المذكور أيضاً على بعض مؤلفات صاحب الترجمة المُسمَّى " **بمطلع الأشراف في بعض شعب الأشراف** " ما نصُّهُ

" قد تصفَّحتُ هذا التأليف الذي صنفَّه في الافادة المشهود له بالإجادة العلاَّمة النحرير الأريب الشَّريف المُنيف الحسيب سيِّدي عبد السَّلام بن الطَّيب الحسني القادري فألفيته قد ساق سوقاً أنيقاً ونسج نسجاً مُحكماً وثيقاً, ونَظَّم من الفوائد دُرَرها وأبدى من وجوه المحاسن غُررها وأطلع في سماء المكارم قمرها, وسبق إلى جمع فضائل يُغبط جامِعُها ونهض إلى حفظ

---

[1] الأصل

مسائل يطربُ سامعها, وأثبت الحق لأهله ونبَّه إلى حيازة الشرف في محلِّه, فجزاه الله سبحانه على ما صنع بجزيل آلاءِه الأوسع, فقد قام بالواجب وقضى ديناً كان قضاؤه من المؤكد اللازب, ولا غرو فقد كان أحقَّ بتأديبه وإظهاره وأولى بتولي تنويهه وإشهاره, حمايةً لنورهم الباهر وغيره من ذوي النسبة على نسبتهم الطاهر, والله سبحانه يُبقيهم للأُمة أمناً ويُجزيهم على ألْسن الأقوم الأسنى ".

وكتب مُحمَّد بن عبد القادر الفاسي كان الله له وقال فيه عصريه العالم الحافظ سيِّدي مُحمَّد بن أحمد القسمطني ما نصُّهُ

" العلاَّمة النحرير الدرَّاكة الأثير ".

وقال فيه سيِّدي سعيد العُميري ما نصُّهُ

" نخبة الكرام وعلاَّمة الأعلام الفاضل الصالح الناصح ذي السناء الباهر والسناء اللآّئح "

وقال فيه سيِّدي المهدي بن أحمد الفاسي المُتقدِّمة ترجمته ما نصُّهُ

" عالم نحرير ذو تحقيق وتحرير, طالما مارس الأنساب وجال في طلاَّب معرفة الأحساب, فميَّز منها السَّقيم والصَّحيح والدَّخيل والصَّريح, وعنى البلاغة فاستمسك منها بأوثق عُراها واستولى على أعلى ذُراها, كيف لا يكون بديع الوضع أي تأليف صاحب الترجمة بالغ النهاية في حسن الصنع تعجز عنه الأمثال ويقصر عن مُراه الأشكال ومصدره من شريف فهو لا شكَّ مستمد من مشكاة النبوَّة وأنوارها به تطيب ".

وقال فيه عصريه ومشاركه في شيوخه العلاَّمة المُحقق سيِّدي الطيب بن مُحمَّد بن عبد القادر الفاسي ما نصُّهُ

" عالم الشرفاء وشريف العلماء, العلاَّمة النحرير العَلم الشهير ذو المجد الأثير والقدر الخطير, أبو المجد سيِّدي عبد السلام بن السَّيد الطيب الشريف الحسني القادري ".

وقال فيه العلاَّمة البركة سيِّدي الحاج أحمد الجرندي ما نصُّهُ

" الإمام القدوة الهُمام علم الأعلام ومُجلي بعلمه على الأنام غياهب الظلام ".

وقال فيه القاضي سيِّدي مُحمَّد بن الحسن السُّوسي الشهير بأبي مدين ما نصُّهُ

" بحر المعارف الزاخر وبنسبه الباهر يفتخر المفاخر ".

وقال فيه عصريه سيِّدي مُحمَّد بن العلاَّمة اليوسي ما نصُّهُ

" الحلاحل السَّيد السميدع القدوة المصقع, العلاَّمة الهُمام مولانا الشَّيخ عبد السلام سليل ذي المجد الشامخ والقدر الباذخ, مَن مَلأت محبَّتهُ القلوب واشتهر اقدامه في ميدان الكروب, جامع أشتات المفاخر والمآثر, مولانا الشَّيخ عبد القادر سقاني الله من كاساته المنهمقة وبرَّد غلتي من مناهله المُعتقة ".

وقال فيه العلاَّمة سيِّدي مُحمَّد بن مُحمَّد الشاذلي الدَّلائي ما نصُّهُ

" الإمام الكبير والجهبذ الناقد البصير, صاحب القلم العالي والقدم التي رسخت أناملها على هام المعالي, جامع أشتات الفضائل على التمام المُزيل عن وجوه خبايا العلوم النقاب واللثام ".

وقال فيه الحافظ المُحِّدث الخطيب سيِّدي مُحمَّد المُرابط الدلائي ما نصُّهُ

" الإمام الحبر الهُمام, مُحلي جيد الدهر من تآليفه وأوضاعه ومُخترعاته وإبداعه ما تنقطع الأطماع دونه وتود الشُهب العوالي أن تكونه, المُشنِّف

أسماع المعاني بمنتقى جواهره والمورق أفنان البلاغة بمونق أزاهره, المُبدع في أنواع الانشاء اللاعب بأطرافه كيف شاء, وحيد العصر وعميد المصر, المقابل بالاذعان والاستسلام أبو مُحمَّد مولانا عبد السلام بن مولانا الطيب معنىً وحساً وذاتاً ونفساً القادري نسباً, لا زالت أيامه مُشرقة وأنواء أفضاله مُغدقة, ناهيك به من حبر قد عطَّر السماكين أرِجهُ وبحرُ ملء الخافقين شبجهُ, قد سحر الألباب نُظماً من ورد عذب كوثر لا يظمأ, فيا له من ماهر قد حاك ديباج البراعة في هذا المصنف وفرق فيه أوَدَ البيان وثقف, ونظَّم فيه دُرر الفصاحة في أسلاكها وضمَّ دراري الأدب في أفلاكها واستجلى مُخدراتها, فأسفر عن لثامها وأفضى إليها فضَّ خاتمها, فعذارى المعاني من حجالها سافرة وعيون الأماني من راشقها ساحرة, قد انحشرت وجوه البلاغة فحازها ".

وقال فيه عصريه القاضي الخطيب الأجل سيِّدي عبد الواحد مُحمَّد بو عنان ما نصُّهُ

" الفقيه العالم العلَم الحُجَّة البالغة والرُّكن المستَلَم, الجامع لأشتات العلوم ومالك أزمة المنثور والمنظوم, الهُمام الأبر والإمام الباهر, شريف العلماء وعالم الشرفاء, رئيس فوارس الأقلام أبو مُحمَّد مولانا عبد السلام بن مولانا الطيب بن مولانا أبي عبدالله مُحمَّد الشريف الحسني الشهير بالقادري, خلَّد فخره وأبقى مدى الأيام ذكره ".

وقال فيه عصريه الفقيه الأثير الخطير إمام الزاوية سيّدي أحمد بن عبد الوهاب الوزير في تقييد له عرف فيه به ما نصُّهُ

" هو السيِّد الفقيه العالم العامل النَّزيه العلاَّمة المُدَّرس النَّبيه الفاضل المبارك الوجيه, شريف العلماء وعالم الشرفاء, المشارك الدرَّاكة الأنور الزاهد الورع الأطهر, الباذل مهجته في مرضات الله العطوف الشفيق على خلق

الله, أبو مُحمد عبد السلام بن السَّيد الأجلُّ العدل الأرضي المُبجَّل, سيِّدي الطيب بن السَّيد أبي عبدالله مُحمَّد بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن مُحمَّد بن مُحمَّد سعد بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن مُحمَّد بن أحمد بن علي بن سراج الدين أبي اسحاق إبراهيم بن سيِّدي عبد القادر الجيلاني بن موسى بن عبدالله بن يحيى الزاهد بن مُحمَّد بن داوود بن موسى بن عبدالله أبي الكرام بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن حسن المُثنى بن مولانا الحسن السبط بن سيِّدنا ومولانا علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ورضي عنهم المُلقَّب بالقادري نسبة إلى مولانا عبد القادر الجيلاني المذكور ".

وكان ﷺ سيِّداً صالحاً ومُقرئاً صالحاً وعالماً عاملاً وسرياً فاضلاً وقدوة وإماماً ومن

﴿ الَّذينَ إذا خَاطَبَهُمُ الجَّاهِلونَ قالوا سَلاماً ﴾[1]

﴿ وإذا مَرُّوّا باللَّغوِ مَرُّوّا كِراماً ﴾[2]

يميل إلى المساكين والضعفاء ويؤثرهم بنفسه, وكان لهم ملجأً وملاذاً ومألفاً, تاركاً مُراده لمُرادهم ساعياً في حوائجهم وأغراضهم, بَرَاً وفياً سنياً نشأ في عفاف وصيانة وتُقىً وديانة, بيته بيت أصالة وحسب مع ماله من عراقة النسب, لم يزل منذُ نشأ حَسَن السيرة نقي الأطراف صافي السريرة, مُكِباً على تعلُّم العلم وملازمة أهله والانحياش إليه واقتفاء سلفه, إلى أن حصل له منه أوفر نصيب ورمى فيه بسهم مُصيب.

وقال علاَّمةُ وقتنا ومُحقِّقهُ المشارك سيِّدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي نزيل مرغرة حفظه الله وأبقى بركته في شرحه على منظومة صاحب الترجمة

---

[1] . الفرقان 63

[2] .الفرقان 72

المُسمَّى " **بالزواهر الأُفقية على الجواهر المنطقية** " لمَّا قدَّمَ التعريف بناظمها

" هو العالم العامل الكامل ذو الحَسَب الجلي والنَّسب العلي شيخ الشُّيوخ الذي لتقدُّمه في فن المعقول والمنقول الثبات والرسوخ أبو مُحمَّد مولانا عبد السلام ابن الطيب, ثم ساق عمود نسبه كما تقدَّم إلى آخره ثم قال فهو حسنيُّ المحتد فاسي المنشأ والمولد, ولد بفاس حاطها الله بمنِّه ونشأ في عفاف وصيانة وتُقىً وديانه, مُكباً على اقتناء العلوم حتى تضلَّع من ورائها وأضلع على مكنوزتها وأطَّلع بأعبائها فسما مع تواضعه على الأقران وقارن بين العلم والصَّلاح أحسن قران, أخذ عن جماعة من الائمة ومشايخ هذه الأمة كشَّيخ المشايخ وطود الديانة الشامخ أبي مُحمَّد سيِّدي عبد القادر بن علي يوسف الفاسي وولديه الإمامين مُحقِّق أوانه سيِّدي مُحمَّد وحافظ عصره سيِّدي عبدالرَّحمن وأُعجوبة الزمان وعلاَّمة الأوان سيِّدي أبي علي الحسن اليوسي والعلاَّمة الأجل الخطيب البليغ قاضي المدينة البيضاء سيِّدي مُحمَّد بن علي الفلالي وغيرهم من الأفاضل رحمهم الله أجمعين وأعاد من بركاتهم.

وأخذ عنه جماعة من الشُّيوخ

منهم فريد العصر والمآثر التي لا يدركها الحصر, المتضلع من المعقول والمنقول, والمُتحلِّي من الفضائل والفواضل, بما يُبهر العقول المجلي في الحفظ والتحقيق بين مشاهير القراء وسائر أرباب العلوم الغراء, من حاز المجد الراسخ والولاية التي ما لمُحكم آياتِها بحول الله وقوته من ناسخ, سيِّدنا المُتبرِّك به شرقاً وغرباً المتَّخذ حبَّهُ وسيلة الى الله وقربا, شيخنا أبو العباس سيِّدي أحمد الحبيب ابن مُحمَّد السجلماسي أدام الله وجوده وأسبغ

عليه في الدارين آلاءهُ وجوده, ونَظمْنا وأحبتنا في سلك من صحَّت نسبته اليه وفتح بالمقصد الأسنى على يديه آمين .

حدَّثني سيِّدنا المذكور ﷺ عنه أنه لمَّا ابتدأ على الناظم قراءة الرسالة الشمسية للكاتبي قرَّر له الناظم كلام السعد في أول شرحه لها تقريراً بديعاً انتفى به ما يتوهَّم من ظاهر الكلام من جريه على أصول الفلاسفة الواهية ومتابعتهم في ضلالتهم المتناهية, وأثنى سيِّدنا على الناظم بجودة الفهم وقوة المعارضة في النثر والنظم, وكم مثلها للناظم معجزة لبس بها من سندس الجادة أسبغه وأفخره, وله في أصناف شتى من العلوم تصانيف مفيدة ما بين منثور ومنظوم, وقد وقفت على جملة منها كلها في غاية التَّحقيق والافادة شكرَ الله مَسعاهُ وكساهُ حُلَّة الرِّضوان في مآبه ورجعاه.

توفي رحمه الله غداة يوم الجمعة لثلاث عشرةِ من ربيع الأول عام عشرة ومائة وألف وعُمرهُ نحو خمسين سنة ﷺ ونفعنا به.

وقد كنت أرَّخت وفاته بقولي " أظلم الدهر " معتبراً لام التعريف بحسب أصلها قبل الادغام ملغياً طرة الاداة لوجود سقوطها في الدَّرج وضمنت ذلك بيتاً مع الرمز مدة عمره ومنها يعرف تاريخ ميلاده بقولي طما فقلت

لموت الرضى عبدالسلام بن طيب	وقد كان قاموساً طما أظلم الدَّهر
فكم زفَّ للأبكار أبكار حكمة	عرائس ما خير الجنان لها مهر
عليه من الرَّحمن صوب تحية	يفيض على مغناه من سيله نهر

انتهى كلام شارح الجواهر ومن خطِّ جميعهم نقات باختصار وتركت جلَّهُ خوف التطويل وإلَّا فقد بالغ كل منهم في الثنا عليه وعلى نسبه بالاجمال والتفصيل.

قلت فحذفت منه ما أغنى غيره عنه وقد رمز لوفاته ولدُ عمِّه أبي العباس أحمد بيشق في قوله

يشقُّ على الأقوام موت أمامهم كعبدالسلام القادري المُبجَّل

وكان فعله توسلاً على وفاة المكلاتي وابن الفارض وغيرهما.

وولِد صاحب الترجمة وقت صلاة الجمعة عاشر رمضان سنة ثمان وخمسين وألف فعمره يزيد على الخمسين سنة بقليل والأمر قريب وجميع ما حلى به رحمه الله سمعته ممَّن أدركته من جميع من أدركه بل وأزيد.

وأشياخه كثيرون منهم ما ذُكر ومنهم الولي الكبير العارف الشهير سيِّدنا أحمد اليمني قرأ عليه نحو النصف من مختصر خليل مِن أول النكاح الى الاجارة.

قال صاحب الترجمة بعد أن عدَّ أشياخه ومقروآته

" ثم اتصلنا بعد ذلك يعني نفسه وأخاه المتقدِّم بسيِّدنا وسَندنا الى ربنا زين الزمان وشمس الأوان, بحر الحقائق العرفانية ومنهل العلوم الرَّبانية, جبل السُّنة الراسخ وطودها المرفع الشامخ, شهاب الملَّة والدين وحجة المهتدين والمقتدين القدوة, الأعمد سيِّدنا أبي العباس أحمد بن الشَّيخ العارف الكبير الولي الشهير أبي عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله به عرف الأندلسي القاطن بالمخفية من عدوة فاس الأندلس ﷺ وعنَّا.

فسمعنا من حقائقه وعلومه ودقائقه وفهومه وحكمه ولطائفه وأسراره ومعارفه, ما لا يدخل تحت تكييف ولا يحيط بقوله تعريف, ولا تدركه العقول ولا تخيط به النقول, ممَّا هو جدير إن شاء الله أن تشد اليه الرحال وتتخضع له فحول الرجال, وحضرنا معه قراءة كتب شتَّى في التصوُّف وغيره وسمعنا

من كلامه في ذلك فوائد غزيرة أمتعنا الله بحياته, و أفاض علينا من أنواره وبركاته, وأدامنا في حضرته وحزبه وأماتنا على وداده وحبِّه".

ولقينا قبلهُ شيخه العارف المحقق الفاني المستغرق أبا الفضل سيِّدي قاسماً بن قاسم الخصاصي رحمه الله ونفعنا به, زرناهُ مراراً وتبرَّكنا به ولقينا مواخيه في الله الفقيه الفاضل العارف الكامل أبا العباس سيِّدي أحمد بن مُحمَّد اليمني نفعنا الله به وحضرنا من مجالسه مالا يُعد ولا يُحصى ولا يكاد يُستقصى لكن عمدتنا وملاذنا وملجأنا واعتمادنا سيِّدنا شيخ الاسلام وبركة الانام والعالم بالله سيّدنا أحمد بن عبدالله ﷺ وأرضاه.

وألَّف صاحب الترجمة تآليف عديدة وهي " **نيل القربات بأهل العقبات** " و " **رجاء الاجابة بالبدريين من الصحابة** " و " **مناهل اللهفان الى أسانيد ذوي العرفان** " و " **منهج الرشاد في لامية الاسناد** " و " **وسيلة السائلين بالعارفين الكاملين** " و " **الدرَّة الخطيرة في مهم السيرة** " و " **العرف العاطر فيمن بفاس من أبناء الشَّيخ عبدالقادر** " و " **تحفة النبيه في بني طاهر وبنيه الشبيه** " و " **الدر السني فيمن بفاس من أهل النسب الحسني** " و " **الأشراف في نسب الأقطاب الأربعة الأشراف وهم ابن مشيش والجيلاني والشاذلي والجزولي** " و " **مطلع الاشراق في نسب الشرفاء الواردين من العراق** " و " **عقود اللَّآل ووسيلة السؤال بما له ﷺ من الآل** " و " **أداء الحقوق في ابداء الفروق** " و " **وتنبيه المعرضين عن آيات السموات والأرضين** " و " **تتميم الأفراح بتنعيم الأرواح** " و " **ذخيرة الأكتساب فيمن يدخل الجنَّة بغير حساب** " و " **المقصد الأحمد في التعريف بسيّدنا أحمد** " **وهو مجلَّد كبير** و " **معتمد الراوي في مناقب سيِّدي أحمد الشاوي** " و " **نظم مختصر ابن فارس في السير** " و " **نظم قواعد ابن هشام ومعونة الاخوان بمعرفة الايمان والاسلام** " و " **تقييد على سورة الاخلاص** " و "

الجواهر المنطقية نظم فيه مختصر السنوسي " و " النسيم المعبق في توجيه الخلاف في المنطق " و " أحكام المعروف من أحكام الظروف " و " التماس البركة في أجوبة سيِّدي الحاج علي بركة "

سأله عن خمس مسائل

الأولى حديث

" **حجُّوا هذا البيت قبل أن تنبت في البادية شجرة فلا تأكل منها دابة إلَّا نافقت** ".

الثانية حديث

" **وضع ربي يده بين كتفي** ".

الثالثة ما يحكى عن سيِّدي عبدالكريم المراكشي

" حبُّ الآخرة رأس كل خطيئة حين قال بين يديه

" **حبُّ الدنيا رأس كل خطيئة** ".

الرابعة قول أبي يزيد

" كنت من الزاهدين في الله ".

الخامسة قول بعض العارفين

" مذ عرفت الله ما دخل قلبي حق ولا باطل ".

أجاب فيه عن كلها بأحسن جواب, فهذه سبعة وعشرون تأليفاً وقفت على جميعها وكلها في غاية التحرير والاتقان وعذوبة اللفظ وجزالة العرفان.

ولـه قصيدة في رفع سند شيخه سمَّاها " **الجوهرة ونزهة النادي وطرفة البادي في أهل القرن الحادي** " و " **الحكم المنسوق في أحكام المسبوق** " و " **الروض الأنيق الزاهي في أحكام المصلِّي الساهي** " ولم تكمل هذه الثلاث الأخيرة.

وتخرَّج به جماعة من العلماء وممَّن أدركنا عصره جماعة

منهم الإمام العالم الولي الشهير سيِّدي أحمد الحبيب المتقدم ذكره.

ومنهم العلَّامة الأوحد الصدر المحقِّق الأعمد مفتي فاس في حينه وخطيب وقته بجامع الشرفاء بها أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن أحمد بن المسناوي الدلائي رأيته ولم أدرك القراءة عليه.

ومنهم العلَّامة المطَّلع المحيط بفروع المذهب المالكي بل مالك زمانه سيِّدي الحسن بن رحال التادلي المعداني صاحب الشرح والحاشية على مختصر خليل وأتى فيهما من النقل بما يسحر الألباب ويعرب عن العجب العجاب.

ومنهم الضابط المتقن الجامع لفنون العربية والمحرِّر لأنواع البلاغة شيخ وقته سيِّدي أحمد بن علي الوجاري.

ومنهم استاذنا وبركتنا العالم الأنور سيِّدي مُحمَّد بن عيسى به دعي.

ومنهم العالم المدرس الخطيب البليغ خطيب الحضرة الاسماعيلية ومتولي قضاء حضرتها سيِّدي مُحمَّد بن مُحمَّد الفاسي.

ومنهم العالم الشريف المدرس النحوي المنيف سيِّدي مُحمَّد بن ادريس العراقي الحسني.

ومنهم العالم البركة الصالح الموفق السكون والحركة صاحب الأنظام الرائقة والمقيدات الفائقة الخطيب البليغ البارع البالغ مناهُ والمدرك منها مواجهة الرسول ما تمنَّاه سيِّدي مُحمَّد بن عبدالرَّحمن الدلائي.

ومنهم العالم النحوي سيِّدي مُحمَّد بن زكري صاحب الشرح على حكم بن عطاء الله, والنصيحة الكافية, وألفية السيوطي في النحو, وصلاة مولاي عبدالسلام بن مشيش, وغير ذلك فهؤلاء كلهم منهم مَن سمعناه يذكر قراءته على صاحب الترجمة ويبالغ في الثناء عليه في التحرير والتحقيق والحفظ.

ومنهم من وجدنا ذلك بخطِّه ومنهم من بلغنا بواسطة الثقة, ومنهم من لم نره ولم ندركه أو غاب عنَّا ذكره الآن فكثيرون, وانتفع به من لا يحصى كثرة ممَّن أدركنا وسمعنا عنه من أهل فاس وغيرها.

وقال لي شيخنا الإمام العلامة الورع سيِّدي الكبير بن مُحمَّد السرغيني " أدركت من القراءة عليه قول ابن مالك وما مميز, وقيل فاعل لأنه أول دخوله أي سيِّدي الكبير فاساً ولم يتفق له مجلساً آخر.

وكانت لصاحب الترجمة اليد الطولى في فنون وخصوصاً العربية والمنطق وعلم الكلام والتصوف والفقه والسِّير فقد كان يرجع اليه في مشكلاتها مع وجود غالب أشياخه وكذا البيان والأحوال والحديث والأنساب.

قال أبو عبدالله المسناوي

" ولا سيما أنساب بني هاشم وخصوصاً العلويين منهم فاليه كان المرجع في ذلك بحضرة فاس وعليه الاعتماد فيما يقع الاختلاف فيه بين الناس ".

وقال أبو العباس "

" وكان ذا ذكاء وفهم وتحقيق وتحرير للمسائل وحل مشكلاتها مع فطنة وتدقيق وعفافة من أمور الدنيا وأهلها وزينتها وبهجتها ربِّي على ذلك منذ نشأ وما مدَّ اليد الى مالا يرضي مولاه حتى جذبته أيدي العناية الى بيت الصلاح والولاية وهبَّت عليه نسمات الوصال بأمر لم يكن منه عن بال " يعني اتصاله بسيِّدنا أحمد بن عبدالله.

وكان صاحب الترجمة رحمه الله آيةً في السخاء سمعت من غير واحد ممَّن ادركه أنه كان يحرث بنحو أربعة أزواج ويحمل منها زرعاً كثيراً ولا يأتِ زمن الشتاء حتى يستسلف ما يزرع لكونه يأتي على ما استفاد من الزرع بالتفريق ولا يرِد مَن قصدهُ في معروف فإن لم يجد عنده تسلف من غيره وأرضى قاصده وربما أزال حاجة من لباسه فدفعها لقاصده, ويدخل

للدار تارةً من غير عمامة وتارةً من غير حزام وتارةً من غير قفطان[1] أو غير ذلك.

وسمعنا من بعض خدَّامه أنه لامه على التسلُّف فقال له

" ان السائل لا يجد من يسلِّفه ونحن نجدهُ "

وإذا صنع أهل داره الخبز أتى عليه بالتفريق حتى لا يصل اليهم عشاءاً ولو أكثروا منه ما أكثروا ذلك دأبه, وكان حسَن الأخلاق خافض الجناح للمساكين والضعفاء مؤثراً حوائجهم على حوائجه.

أخبرني شيخنا سيّدي مُحمَّد بن عيسى نزيل مدرسة الوادي والمدرس بمدرسة الصهريج كلاهما بعدوة فاس الأندلس أن صاحب الترجمة كان كثيراً ما يبطأ عن مجلس الاقراء حتى يقنط الطلبة فيأتي وقد بقى من وقت القراءة النصف ونحوه فيقرأ من ألفية ابن مالك نحو خمسين بيتاً قراءةَ تحقيق وتحرير وتنفتح صدورهم للفهم ويحصل لهم من الاستفادة مالا يحصل لهم في غيره من المجالس, وإذا بحثوا عن سبب تأخره عنهم وجدوه في حوائج بعض الناس لا يختلف ذلك فيه أصلاً ولمَّا نزلت به نازلة خرج لغريب كان له في السخينات من رأس خولان خارج باب الفتوح من مزارع فاس وجلس منتظراً لما يشير به عليه سيِّدنا أحمد بن عبدالله فأشار اليه مراسلة بالذهاب الى تادلا والمكث بها عند صاحبهما العلاَّمة الصالح البركة سيِّدي مُحمَّد بن عبدالرَّحمن التادلي بالصومعة منها.

فذهب فسمع خروجه الخليفة بسوس مولاي مُحمَّد بن سلطان الوقت مولاي اسماعيل فاستقدمه وألحَّ عليه كثيراً فلم يجد مندوحة[2] من الذهاب اليه فذهب فبقى عنده أياماً وبالغ في اكرامه واعطاه عطايا جمَّة فرجع صاحب

[1] ثوب مشقوق المقدم يضم طرفيه حزام من الحرير أو القطن وتلبس فوقه الجبة

[2] لا غنى له عنه

الترجمة لموضعه من تادلا فبقى يسأل عن صاحب النازلة فيُخبر أنه باق على شدةِ ثم طال الأمر فرجع لفاس بعد غيبته عاماً ونصفه وكان من صنع الله أن كانت عليه ديون قضاها بما أتى به فمرض بفور قدومه وبقى مريضاً نحو ثلاثة عشر يوماً.

سمعت من والدي رحمه الله أنه لمَّا مَضى كانت الليلة التي مات صبيحتها بعد صلاة العشاء هو جالس معه وظنه شفى إذ سمع من طرق الباب فخرج فوجد سيِّدينا الأحمد بن عبدالله واليماني فقالا له لا يبق أحد مع مولاي عبدالسلام فنحن جئنا بقصد المبيت معه, فأفرغ لهما المسكن الذي كان به ودخلا عليه وأخذ كل منهما سبحته وشرعا في الذكر الى أن قرب الصباح فسمعا صاحب الترجمة يقول قال رسول الله ﷺ

" **القبر حبس لا يُنبش ولا يُمشى عليه مادام صاحبه به** "

ثم سكت قال

" **اللَّهُمَّ أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً واحشرني في زمرة المساكين**"

فخاطبه سيّدنا ابن عبدالله بأن قال له

" يا مولاي عبدالسلام وقت الحاجة هذا " لا إله إلَّا " فردَّ عليه " لا إله إلَّا الله مُحمَّد رسول الله ﷺ " ثم غمض عينيه فقال سيِّدنا أحمد مولاي الطيب عظم الله أجرك وجعل البركة فيك وفي اخوانك أو نحو هذا فإذا به قد مات فخرجا رضي الله عنهما وإذا بالمؤذن ينادي بنداء الصبح وصُلِّي عليه بعد صلاة الجمعة ودفن بالجنان عند رجلي أخيه أبي عبدالله العربي السابق ذكره قرب قبَّة سيِّدنا أحمد اليمني الآن.

ولصاحب الترجمة ﷺ أنظام في فنون نذكر منها ما تيسَّر صوناً لها نت الضياع واكراماً بمحاسنها ذوي الأسماع ونكتفي عمَّا ذكر من نظمه في المقصد فلا نورد شيئاً منه هنا اتكالاً على حفظه هنالك وارتضاء لأقرب

المسالك فمن نظمه قصيدة في مدح الصحابة عارض بها قصيدة أبي عبادة الوليد ابن عبيد البحتري التي وصف بها القصر الأبيض واورد بعضها صاحب الاكتفاء قائلاً فيها ليس للعربية سينية مثلها, ونورد منها ما أورده الكلاعي لإيضاح المعارضة والمناجزة وتحقيقاً لحوزه قصب السبق في المبارزة قال أبو الوليد

صنتُ نفسي عمَّا يدنس نفسي ... وتجافيت عن جد اكل نكس

وإذا ما جفيت كنت جديراً ... أن أرى غير مصبح حيث أمسِ

حضرت رحلي الهموم فوجهت ... الى أبيض المدائن عنسِ

اتسلى عن الحظوظ وآسى ... بمحل من آل ساسان رسِ

ذكرتنيهم الخطوب التوالي ... ولقد تُذكر الخطوب وتنسِ

وهم خافظون في ظلٍّ عالٍ ... مشرف يحبس العيون ويخسِ

جلل لم تكن كأطلال سعدي ... في قفار من السباسب ملسِ

ومساع لولا المُحاماة منّي ... لم تطفها مسعات عبسٍ وعنسِ

لو تراه علمت أن الليالي ... جعلت فيه مأثماً بعد عرسِ

وهو ينبئك عن عجائب قوم ... لا يشاب البيان فيهم بلبس

فإذا ما رأيت صورة أنطاكية ... أرتعت بين روم وفرس

والمنايا مواثل وآنو شروان ... يزجي الصفوف تحت الدرفس

في احقرار من اللباس على ... أصفر يختال في صبيغة ورس

وعرك الرجال بين يديه ... في خفوت منهم وأعماض جرس

من مشيه يهوى فعامل الرمح ... ومليح من السناس بترس

تصف العين أنهم جند أحياء ... لهم بينهم اشارة خرس

يعتلي فيهم ارتيابي حتى ... تتغداهم يداي بلمس

حلم مطبق على الشك عيني — أم أمان غَيَّرت ظنِّي وحرس
وكان الأوان من عجب الصنعة — جوب في جنب أرعن حلس
يتضنَّى من الكآبة إذ يسروا — لعيني مصّبِحٍ أو مُمَسٍ
مزعجاً بالعراق عن أنس ألف — عزاً ومرهفاً بتطليق عرسِ
عطست حظه الليالي وبات — المشتري فيه وهو كوكب نحسِ
فهو يبدي تجلُّداً وعليه كلكل — من كلاكل الدَّهر مُرسِ
لم يعبه ان بزَّ من سط الديباج — واستل من ستور الدِّمَغسِ
مسخر تعلوا له شرفات — رفعت في رؤوس رضوى وفرس
لابسات من البياض فما — تبصر منها إلَّا قلائل برسِ
لست تدري أصنع انس لجنّ — صنعوه أم صنع جن لإنسِ
غير أني أراه يشهد أن لم يكُ — يد بانية في الفلوك فَنكسِ

وصواب قوله غير أني الى آخره

غير اني أراه شاهداً نصر لمن — رجلي الملوك عنه بنكس

والبيتان الأولان لا يوجدان في غالب النسخ , قال بعضهم والصواب أثباتهما لمناسبتهما لصدرا القصيدة, قال صاحب الترجمة

ولمَّا رأيته اقتصر على وصف القصر وأغفل وصف الصحابة ﷺ وما منحهم الله من النصر قلتُ على رؤية مُبدياً الفائدة مروية

آية بهرت ونصر عزيز فيه — للمؤمنين لاح كشمس
أنجز الله وعده وحماهم — وأذاق العدا شدائد بأسِ
ساسان كل قصر مشيد — تركوه وكل مال ونفس
كسرت شوكة الأكاسر منهم — وعظام الملوك بيع بنجس
ظن بالهم استدااة ملك — ولقد ترجع الظنون بعكس

فـضَّ جمـيعهم وفرقـه الفـاروق ... فـــرق مـــودِّع بعـــد يـــاس

ورمـــاهم بكـــل اسـر ضـــوار ... مــن قــريش ومــن تمـيم وقـيس

وبكـل مبـارك الأسـر ميمـون ... النقبيـــة خزرجـــي وأويـــس

ضارب في الوغا بأبيض ماض ... وبأســمر ســامر كــل رايــس

ينهـدون بـين الكتائـب بيضـا ... بجيـوش مــن العجـائم طلـس

يالســعد علــيهم كــان نحسـاً ... أوحـش الأهـل منهم بعـد أنـس

فكــائن قــد قــل مــنهم فيــوه ... ومرازبـــة أحــلّ بـــرمس

وأذاقهـــم حتـــوف المنايـــات ... وأبـــادهم فعـــادوا كـــأمس

فســــلنّ مراينــــا وجلــــولاء ... وتكريـــت بعـــد يـــوم قـــريس

بيتوا الحرب بين طعن وضرب ... فــي هــو يـريهم وخفـت وهمـس

لهنت تسمع غير وقع سيوف ... موقعـات علـى العدا كـل تعـس

لا تسل عن صباح نصر لقوم ... فـيهم مفـرد مـن الصـحب يمـس

فنخــت لهــم خــزائن كســرى ... وغـدت مغنمـا لهـم بعـد خمـس

وهبـوا وصـفوها جـزاء وفاقـا ... للـذي كـان مـن عنـى وتقسِّـي

منعوا العز خالداً بإمـام الحق ... والــــدين لا بكـــيس وكـــيس

كــم كرامــات اكرمــوا وآي ... أيـــدتهم علـــى ثبـــات ورسِّ

مثـل خـوض خيـولهم بحـج ... البحـر والأمواج في طفو وخنس

وكـأنهم علـى ظهـر فلـك ... أو مكــان مــن المفــاوز يــسِ

قطعـوه ولـم يقـع قلـم ظفـر ... فعـــرى الله لا بـــربط وحـــبس

ولقد بان فعل في زمن الحيرة ... مـــالم تـــدرك عقـــول بقـــيس

إذ تعمـد خالـد شـرب سـمر ... وعليــه لــم يعــد يومــاً بمــس

سـاغهُ مـوقن النجـاة علـى ... اسم الله مثل مسوغ ماء وحيس

وكــذا العربــي جــاء بنطــق ... فارســـي لـــم يقتبســـه بقـــبس

فأصــــابهم كصـــيحة عـــاد	إذ رمـــاهم بـــه كرميـــة قـــوس
أيقنــوا انـــه إلاهـــيٌّ حكــم	معجــل بقـــرارهم غيـــر مـــنس
أصـبحت دورهـم بلاقـع منهـا	كنسـتهم أيـدي النـوى أيَّ كـنس
قـدسَّ الله بالصـــحابة أرضـاً	طالمـا عمـدت بـنجس ورجـس
وأبـان سـناهم فأضــاءت لهـم	أرضـــــه اضــــاءة شـــمس
مهَّــدوا الــدين كلهــم جبــل	رأس جبـالا مـن الديانـة يرسـي
وطنــوه بكــل سـهل وحــزن	فغـــدا ثابـــت البنـــا مترســـي
صـــدقوا الله عنمـــا عملـــوه	فـــاجتنبوا ثمـــرات اينـــع غـــرس
يمَّمـــوا الله رافضـــين ســـواه	لـــم يثيبـــوا الآمـــال فيـــه بـــدنس
جاهـدوا فاهتـدوا اليـه سـبيلا	وسـقوا مـن وصـله صـفو كـاس
همـم علقـت بخيـر نفـيس	وتسامت ما فـوق عـرش وكرسـي
هـذبت أنفـس لـديهم وطابـت	ولـــذا هيـــؤا الحضـــرة قـــدس
أخلصـوا مـن شـوائب الـنفس	ثم انغمسوا في توحيده كل غمس
يمجـــن بـــالله ســـراً وجهـــراً	لابسـين مـن التقـى خيـر لـبس
لـم يـروا لسـواه نفعـاً ولا ضـراً	لا ولا مالكـــا لمعنـــى وحـــسِّ
ونفوســـهم علـــى الله بـــاعوا	يبـدرون الوغـا لإتـلاف نفـس
فهــم الواثقــون بــالله صــدقاً	وهـــم العـــاملون مـــن دون درس
نـــور الله بـــالنبي قلوبـــاً	مـــنهم فـــانجلى بهـــا كـــل غلـــس
فتحـت مـنهم البصــائر حقـاً	فأمحـــا بضـــيائها كـــل طمـــس
الزمــوا كلمــة التقــا فاســتقاموا	وأقـــاموا مـــن أمرهـــا كـــل أسِّ
وبســـابقة العنايـــة كـــانوا	أحـــقَّ بهـــا بحفـــظ وحـــرس
اجتبـــاهم الهُهـــم وحبـــاهم	لاقتـــداء الـــورى بهـــم والتأســـي
واصـــطفاهم صـــحابة للـــذي	كان اصطفاه من كل نوع وجنس

أحمـد المصـطفى إمـام البرايـا سـيّدي الثقلـين جـن وانـس
فعليـه آلاف ألـف صـلاة لا يـوازي تعـدادها عـد طـيس
وعلى الآل والصحابة طـرَّاً وعلى كل تابع متأسـي

وقال رحمه الله في فتح العرائس أدامها الله دار السلام ويمدح من فتحت على يده وهو السلطان الأعظم مولانا اسماعيل ابن الشريف السجلماسي الحسني

عـلا عـرش ديـن الله كـل عـرائش وهـو بنصـر الله حصـن العمـائش
وكـل عـريش منـه تلـت عروشـه ورجـت رجـا صـواعق نـابش
واسـلم للإسـلام مـن بعـد كفـر بوقـع سـيوف لا برشـوة رائـش
أتـاهم مـن الإسـلام جـيش مؤيـد فنـاجزهم مـا بـين رام ورائـش
وثـار علـيهم كـل شـهم غشمسـم وكـل كمـى مسرع الضـرب بـاطش
علـوهم بأسـياف اسـالتا رؤوسـهم فصـاروا سـريعاً بـين طـاو وطـائش
وحاشـوهم حـوش البـذات بغالهـا وقـد أثخنـوهم فيهـا ثخـان فـاتش
فما لبثوا أن طالبوا الأمن في الوغا وذلُّـوا لـدين الله ذلـة داهـش
وهـانَ علـيهم كـل هـول وهائـل ورفقـة أسـر بعـد طـول تهـاوش
نبـذ نـاهم من ذلك الحصـن بـالعرا فبـاء وبخـزي فـي الحقيقـة فـاحش
أنبـاهم مـن بـين بينـه بـين بـائس وانَّـى لهـم بعـد النـوى وتنـاوش
تـرى كلهـم فـي الأرض بـادي ذلـة كسـيفاً كئيبـاً بالـه غيـر نـاعش
ببساق بأيدي الجيش سوى مهانـة يهـز حشـاكا قحـوف هـزة راعـش
يعـض يـداً وينتـف الـرأس واللحـا لأن لم يمت من قبل موت الهوارش
كـأنهم الغربـان قـصَّ جناحـاً وبلـت بوبـل مـن سـواكب جـافش
هنيئـاً بنصـر الله أمـةً أجمـدا وامـدادهم منـه بجنـد مبـاطش

بهـذا لـيس عـيش كـل موفـق — بهــذا ليفــرح دائمــاً كــل عــائش

أبـو النصـر اسماعيل آمـر ديننـا — وحـامي الحمـا بالمرهفـات البـواطش

زعـيم سـلاطين الثـرى وامـامهم — وسـيِّديا قيـال الـورى دون خـادش

مليك لـه يمن بـه صار كلنا يروح — ويغـــدوا فـــي أجـــل معـــايش

مبـارك ميمـون النقيبـة فـي الثـرى — لـه الفـتح فـي أوسـاطها والهـوامش

أباد حصـون الكفـر بالسـيف والقنـا — ومـا أذعنـت مـن قبلـه لمباشـش

فسل عـامري مصمودة عن فتوحـه — وسل طنجـة من قبـل هـذا العـرائش

لقد كـان دينـاً فتحهـا فانقضـى بـهِ — كذلك ما في الأرض من كل هامش

بـه سـعدت أهـل المغـارب كلهـا — فللشـرف مـن جـدواه لهفـة عـاطش

نعـم انـه مـن بنعمـة نبويـة — وفـرع زكـي طيـب النشـر عـارش

لـذلك ملـوك الأرض طراتهـا بـه — فكلهـم مـا بـين مـده وداهـش

ومـا التـرك إلَّا فـي دواه دهـتهم — صـدور بهـم جاشـت بـأعظم حـابش

لـه سـطوة فـي أرضـنا هاشـمية — يـذوب لهـا قلـب الحسـود الخـادش

ليهنـك يـا ذخـر الملـوك وفخرهـا — مـن الله تأييـد علـى كـل جـائش

لـك الفـتح معـدود مجاهـد عـدُّنا — وحشـهم ومـا أوفـى لهـم كـل حـائش

فـلا تخـش حبـاً مـا حييـت فانـه — لـك النصـر عنـد الملتقـى والتهـاوش

علـيكم مـن الـرَّحمن عـين كـلادة — تصـل جمكـم عنـد اشـتراك المداحش

ودام لكل المسلمين ظلالكـــم — ودمنا به في طيبات المداهـــش

وكان فتح العرائش عام واحد ومائة وألف, وفي القصيدة بعض الألفاظ قلَّ تداولها فلنشر الى تفسيرها, فقوله ثلث يصح بالمثلثة من ثلَّ الدار هدمها وبالمثنات من تله بمعنى صرعه, ونابش من نبشه بسهم رماه, وطاو من طوى البلاد قطعها بالسَّير, وطائش بالهمز من الطيش وهو الخفة,

والتهارش بالرَّاء التحريش بين الكلاب, والهوارش جمع هارش من هرش إذا اشترا أو أفسد, وجافش بالفاء من الجفش وهو جريان السيل, وابن قيال جمع قيل وهو الملك أو من حمير, والمباشش المصارع باسم الفاعل, وجائش بالجيم من جاش البحر إذا علا أو العين فاضت أو النفس عتت وباقي ألفاظها ظاهر.

وقال رحمه الله لمَّا زار الإمام مولانا عبدالسلام بن مشيش وآباءهُ الكرام ﷺ معيناً مد من كل واحد منهم سنة خمس وتسعين وألف. لمولاي سلام المرتضى أبي الشرفاء نزيل العلم

حثَّت المسير وكنت كسيرا	أروم أرى ركنه المستلم
فجئت لأسفل محمولة	فزرت الضريح وزال الألم
فيا سيِّدي أنتم بغيتي بكم	ينجلي كل خطب ألم
عليكم سلام يزوركم كما	زار ذو الشوق أرض أضم
وجئت لدشر أبي عمر	بيد كذا طلبه من أمم
فزرت ضريحاً مكين العلا	لمولاي عيسى رفيع الهمم
أمولاي منكم أرجي المنا	فأنتم أهالي الوفى والذمم
بكم ينجلي كل كرب وما عسى	يعتري في الورى من غمم
فمني عليكم سلام سما	يخصكم بين كل الأمم
ونتحيز ليس جزت وقد	أتيت منازل أهل الكرم
أمولاي حرمة حرمتكم	قصدت ونعم الحما والحرم
أتيت الى قبركم زائراً	ألوذ بجاهكم المحترم
واغتنم البركات وكم	بمثلك نيل المرام وانبرم
فمنَّ بما أرتجي منكم	بجاه الشفيع لدى المظطرم
وفي أوجه بر المرتجى	وصحَّ اللجا للذي قد عزم

وبان مقام سنيٌّ به رجونا الاجابة كالملتزم
فزرنا عليا علا قدره به بالمنا كل زور جزم
فيا فوز من أمر أمثاله وأمَّله واحتدى واحتزم
وحطَّ الرحال بأبوابه ورجى المنا عنده والتزم
وسرت الى أرض مسيرة بشوق يحثُّ اليها القدم
فزرنا أبا بكر المتقي وفي ركنه في العلا ما انهزم
ومن قد سما شرفاً وسنا كما اختصَّهُ ربه في القدم
ففزنا بخير مفاز به ومن فاز لا يعتريه قدم
ونلنا المنا ومنحنا غنىً بجاه فما بعده من عدم
وجئت أغيلا أروي غليلاً وقد كمل الفصد عندي وتم
فزرنا الهمام مشيشاً ومن يزره فنيل مناه الحتم
لأنه من معشرٍ قد سموا وحازوا العلا والكمال الأتم
بجدهم برئ البحر مذ قديم وفيهم بدا المختتم
عليهم سلام عبيق الشـــــــــذا كمسك الختام إذا ما ختـــــم

وبسلام بنقل حركة همز الوصل الى التنوير قبله وهو ببني عروس بإزاء دار أولاد بن سبث الآتي ذكرهم بقريب واسمه سليمان بن مزوار بن الأمير مُحمَّد بن الأمير الإمام ادريس باني فاس, وقبر علي وأبيه مُحمَّد بإزاء مسجد مولانا ادريس بناحية دار القيطون من مدينة فاس, وجبل مولانا عبدالسلام معروف وبه الجبل حيث قبر والده وباقي الآباء كلهم ببني عروس والأسماء المذكورة في النظم مواضع منها, وهذه شهرة عظيمة حيث تعيَّنت آباؤهم أحياءً وأمواتاً ولم يعرف هذا لغيرهم من سائر مشاهير أشراف المغرب, ورأيت كلاماً للإمام الحافظ الضابط الثقة الحجة سيِّدي أحمد بن

علي الشريف صاحب والده يوسف الفاسي عرف فيه بآباء بعض حفدة مولاي عبدالسلام بن مشيش من أهل عصره وهو سيِّدي أحمد بن علي الشريف صاحب والده سيِّدي يوسف وذكر كل واحد من آبائه وعيَّن موضع قبر دفنه الى مولانا عبدالسلام.

ورأيت ذلك منصوصاً لغيره كذلك وبه استمر القدر الزائد في الشهرة لأهل هذا النسب الكريم الى الآن.

وجميع أشراف العلم تفرَّعت من أبي بكر بن علي المذكور, وقال صاحب الترجمة خلَّف سيِّدي أبو بكر جد القطب سيِّدي عبدالسلام سبعة نفر سيِّدي مشيشاً والد سيِّدنا عبدالسلام ويونس وعلياً وأحمد والملهى وميموناً والفتوح ولكلهم عقب سوى ميمون والفتوح فلا يعرف لهما عقب.

وخلَّف مشيش سيِّدنا عبدالسلام وموسى ويملح, وخلف يونس علياً وعبدالرَّحمن وعبدالله ومُحمَّد, فعبدالله هو جدُّ أولاد ابن ريسون, ومُحمَّد هو جدُّ أولاد الموذن, وعبدالرَّحمن هو جدُّ أولاد ابن رحمون, وخلف يملح بن مشيش أحمد, وخلف موسى بن مشيش ثلاثة نفر حمدون و أبا بكر وسليمان, وخلف القطب مولانا عبدالسلام أربعة نفر مُحمَّداً وعلالاً وأحمد وعبدالصمد ولكلهم عقب ومن خطِّه نقلت.

وفي كلام الإمام النظار ابي عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن قاسم القصَّار مكان أحمد الحاج ولعلَّه هو أحمد إلَّا أنه حج فدعا به وصار علماً عليه وتوسى علمه الأول وفيهم البيت والعدد والشهرة.

وقد شفا الغليل العلامة الإمام سيِّدي العربي الفاسي في كتابه " **مرآة المحاسن** " في ذكر أولاد مولانا عبدالسلام فجزاه الله أحسن الجزاء.

قال لسيّدي الشريف الفقيه النسابة سيِّدي الحسن بن ريسون ولا يعرف لغير أبي بكر المذكور من الأدارسة عقب بتلك النواحي الهبطية سوى بني عمران وأولاد أحمد بن أبي العيش بن القاسم كنون وأولاد حنون بن عيسى.

أمَّا بنو عمران فنسبهم الى عمران لا مرية فيه, أمَّا أولاد كنون ففريق منهم بقبيلة بني مسارة وهو معظمهم, وفريق ببلاد طليق بقبيلة شقران وهم أولاد قنفد وفريق منهم بقبيلة بني يدر وأمَّا أولاد أبي العيش واستيطانهم بجبل العلم فريق بالحضر وهم أولاد القمور وهذا من العلم المشترك مع أولاد القمور التونسيين وأولاد ستوران وفريق بتازروت وهم أولاد العسري وفريق منهم بتازجلوت, وأبو العيش هذا أحمد من بني القاسم بن ادريس بن عبدالله الكامل وبنوا عمران المذكورون قد مرَّ قريباً إن ممَّن ذكرهم العلَّامة القدوة ولي الله سيّدي أبو القاسم بن علي بن حجُّوا الحساني رَحمهُ الله فيمن ثبت لهم شرف النسب ولا يطعن عليهم فيه.

قال في " **الدُّر السَّني** "

" وجدُّهم عمران الذي يدَّعون بالنسب اليه هو ابن يزيد بن خالد بن صفوان بن يزيد بن عبدالله بن ادريس باني فاس " انتهى.

ثمَّ بنو عمران أيضاً بفاس من المشاهير جوطيون من ذرية القاسم بن ادريس وهم فرقتان فرقةٌ يُدعى الآن الواحد منهم عمراني على قياس النسب الى عمران, وفرقة صاروا يُدعَون التونسيين ثمَّ صاروا يُدعون بابن ادريس فهم يُدعون به الى الآن لسبب ارتحال وقع لهم من فاس.

وحاصل أمرهم كمل في " **درة الحجال في أسماء الرجال** " لابن القاضي, إنَّ هذه الفرقة الثانية انتقلت من فاس لتونس بسبب قيامهم على عبد الحق المريني الأصغر الذي ولَّى اليهودي حاكماً بفاس وصار يفضح النساء بالضرب على أخذ المغرم حتى قبض شريفةً وشدَّد عليها في

الضرب فتوسَّلت اليه بجدَّتها فزادها شدةً لأجل ذلتها فثار أهل فاس على المريني وقتلوا اليهودي بإشارةٍ من الإمام سيِّدي عبد العزيز الورياغلي.

فادرك الخبر الامير المريني بمدينة أزاجن وهو متوجِّه لبعض من خرج عليه من وزرائه فرجع بمرحلة واستشار مع يهودي أي شيءٍ يفعل فأشار عليه اليهودي بالرجوع لمكناسة فتغيَّظ عليه أهل دائرته وقالوا مازلنا في مشاورة اليهودي فقتلوا اليهودي وقبضوا عبدالحق وأتوا به لفاس فخرج الشريف العمراني وأدخلهُ فاس العليا وذبحهُ وبقى الشريف العمراني أميراً نحو ست سنين.

ثم غلب الوزير القائم على عبدالحق على الشَّريف العمراني بعد المدة المذكورة واستولى فاساً وأخرج العمرانيين الى تونس عدا جدِّ الفرقة الأولى, ثمَّ في زمن أمارة الأمراء السَّعديين رجع واحداً من الفرقة المُخرجة من العمرانيين وصار يُدعى التونسي لقرب قدومه منها وهو بزيِّ أهلها فكان أولادُهُ أنفوا من ذلك فصاروا يُدعون بابن ادريس الآن بفاس, وقيل نسبةً الى جدِّهم المباشر وهم ولات ضريح جدِّهم الإمام ادريس الآن بفاس, وقيل بمائةٍ وثمانين سنة أو نحوها, وغربوا منه في رجب سنة ثمان وستين لسبب فتنة قتل فيها نَفسان من أندلس فاس فوليهُ الفرقة الأولى من العمرانيين والطَّاهريون والطالبيون أثلاثاً بينهم, ثمَّ بعد مضى نحو سنة أو أزيد ردَّ اليهم وهؤلاء الفرق كلهم جوطيون مشاهير, وهذا خروج عن الموضوع أدَّى اليه الاغتباط بجمع الفوائد خصوصاً هذا النسب الكريم والتبرُّك بقوة العظيم مع ما فيه من العبر واستيفاء الخبر فلنرجع الى المقصود

قال صاحب الترجمة وهو في جبل العلم زائراً مولانا عبدالسلام على طريق التضرُّع بالخطاب له

ابن مشيش بضاعتي ليس فيها　　　من قليل الأشيا ولا من كثير

وفــؤادي فــارغ لــيس فيــه غير ميلي الى الدَّنى الحقير
ووجـدتُّ كاسـلاً عـن نهـوض ولـذا لـم أجدُّ الـنهج المسير
فتصـــدَّق علـــيَّ أنـــت ملـــئٌ وعلى ذي الملاء نيل الفقير
وبحرمة الأحمدين أقلنــــــــي ما طلبتُ يا ذا النور الغزيـر

وكانت هذه الزيارة في شوال سنة أربع وتسعين وألف مع ركب فيه السَّيدان العارفان سيِّدنا أحمد بن عبدالله وسيِّدنا أحمد اليمني رضي الله عنهما وإيَّاهما عنَّا في البيت الأخير وقال قبل وصوله الى ضريحه وهو سائر

يـا قاصـد المنـازل الحسـان وسـالكاً أرض بنـي حسَّـان
أبشـر أخـي بغايـة الإحسـان من ابن خير العالم الانساني
ابن مشيش ذي المقام اللساني ليس يفي بوصفه لســـــاني

قلت, وزيارة مولانا عبد السلام من أجلِّ الذخائر ومن أنفَس ما غنِمه الأوَّلون والأواخر فكم فكَّ بها من أسير وكم جُبر بها من كسير وكم كمُل بها من صالح وكم غنم بها من رابح أشتهر ذلك من قديم الأزمان واتَّضح لكلِّ أحدٍ اِتِّضاح العيان, وتقدَّم ذكرُ مواظبة سيِّدنا مُحمَّد بن عبدالله عليها وسيِّدنا قاسم وسيِّدينا الأحمدين ومن لا يُحصى عدد من العلماء والصالحين ﷺ.

قال الولي الشهير سيِّدنا أبو مُحمَّد عبدالله الغزواني ﷺ

" كان مولانا عبدالسلام يوماً بإزاء خلوته جالساً يتلوا القرآن ومعه تلميذهُ ووارثُ حاله الشَّيخ أبو الحسن الشاذلي ﷺ حتى وصل في سورة الأنعام الى قوله تعالى

﴿ وإنْ تَعْدِل كُلَّ ذي عَدْلٍ لا يُؤخَذْ مِنْها ﴾[1]

فورد عليه وارد إلهي ونزلَ به حال قوي اقتطعهُ عن حسِّهِ واستغرق فيه مدَّة فلمَّا أفاق رفع يديه الى السماء داعياً وكان من جملة ما دعا بهِ

" أنَّ مَن سبقَ له الشَّقاء والحرمان لا يصل اليه, وإنَّ مَن وصَلَ اليه يكون لهُ شفيعاً يوم القيامة "

نقلهُ عنهُ الولي سيِّدي عمر بن عيسى بن عبد الوهاب حفيد مولانا عبدالسلام وهو من اصحاب الشَّيخ الغزواني.

وقال شيخ شيوخنا العلَّامة المحقِّق أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن أحمد المسناوي الدَّلائي بعد نقله وقريباً من هذا ما حدَّثنا به بعض شيوخنا الثُقات عن الشَّيخ السَّيد الصالح مولاي عبدالله بن ابراهيم الشَّريف نزيل وزَّان أنه قال

" الذي تلقَّيناه ممَّن أدركنا من كبراء شرفاء تازروت أن الشَّيخ سيِّدي عبدالسلام كان مِن جُملة دُعائِهِ " اللَّهُمَّ لا تبعث لنا مَن حَكَمتَ بشفائه ".

ومن خطِّهِ نُقل ووقَعت من ذلك حكايات عديدة, وتوفي مولانا عبدالسلام بن مشيش سنة اثنين وقيل ست وعشرين وستمائة.

قال ابن خلدون

" قتلهُ في العلم قومٌ بعثهم لقتله ابن أبي الطواجين الكتامي السَّاحر المدَّعي النبوَّة ودُفن ﷺ بقنة جبل العلم ".

قال المحقِّق الشَّيخ المسناوي

" ومن المنقول عن سيِّدنا عبدالله الغزواني أنَّ روضة مولانا عبدالسلام مشتملة على ثلاثة قبور, الوسَط فيها هو قبر مولانا عبدالسلام والذي خلف

---

[1] . الأنعام 70

ظهره قبر ولدهُ سيِّدي مُحمَّد والذي بين يديه قبر خديمهُ ابن حزامة رحمهم الله ونفعنا بهم ".

وقال الإمام المتقن المتفنن المشارك العلَّامة سيِّدي العربي ابن يوسف الفاسي في " **مرآة المحاسن** "

" وآثار سيِّدي عبدالسلام هنالك كثيرة, من مغارة للخلوة والعبادة ومسجد وموضع لارتقاب الفجر وتحت ذلك بأكثر من ميل عينٌ كان يتوضأ فيها عند الفجر وقصد الصعود لمحل عبادته وارتقائه للفجر فقتلوهُ هنالك ".

وقال الولي الشهير سيِّدي عبدالوارث بن عبدالله الياصلوتي صاحب الشَّيخ الغزواني في " **شرحه على المباحث الأصلية لابن البنَّا** " ما نصُّهُ

" وقد شاهدنا أثراً من كرامة أبي مُحمَّد عبدالسلام بن مشيش ﷺ كُنَّا نزور قبرهُ قبل أن يشتهر وذلك في أوائل هذا القرن العاشر فوجدنا أثر قَدميه في صحيفة من حجر أمام مسجده على الحافَّة, أثر رجله اليمنى لم يبق فيه من أثر أصابعه سوى إبهامها ورجله اليُسرى باقٍ فيها أثرُ أصابع رجله الخمس كما هي فكنَّا نتبرَّكوا بها ولا يمسُّها أحد, فلمَّا اشتهر وجاءت العامَّة لزيارته أخذوا في حفره بحدائد أعصيتهم وغيرها فلمَّا مشيتُ بعد ذلك لزيارته لم أجد لذلك الأثر خبراً ".

وقد شاهدنا ذلك كلُّهُ ووقفنا عليه ونرجوا إن شاء الله بركتهُ واطمأنت النفس والحمد لله بالوقوف على كلام سيِّدي عبدالوارث في هذه الكرامة بمعاينته أثر أصابع القدمين وإلَّا فهي اليوم حفر بموضع والقدمين مع الحجر تسع المُد من الزَّرع وغيره لكَثرة حفر المتبركين بالحدائد وغيره وسيأتي عن سيِّدي عبدالله الغزواني أنَّ سيِّدي عبدالسلام بن مشيش هو اول مَن ظهر بالمغرب قطباً.

وقال الشَّيخ العارف بالله أبو عبدالله مُحمَّد بن أحمد القنجي أحد تلامذة الشَّيخ ابن عطاء الله عن الشَّيخ أبي الحسن الشَّاذلي

" أنَّ الشَّيخ سيِّدي عبدالسلام سلك الطريق وهو ابن سبع سنين وظهر له من الكشف والكرامات أمثال الجبال ثم خرج الى السِّياحة وأقام بها ست عشرة سنة فدخل عليه يوماً في مغارة شيخٌ فقال له

مَن أنت يا سيِّدي ؟

فقال لهُ " أنا شيخك منذ كنت أبن سبع سنين وكلُّ ما كان يصلُ اليك من المنازلات فهو منِّي وهو كذلك, فحدَّثهُ بجميع ما جرى لهُ وكان سكناهُ بمدينة النَّبي ﷺ " .

وكان يجئ اليه ويفيدهُ ويعلِّمهُ ويرجع الى المدينة فقلتُ يا سيِّدي كان يأتيك طياً أم سفراً ؟

قال في ساعة يأتي ويروح

فقلتُ يا سيِّدي وكنتَّ تَروح اليه كذلك ؟

قال نعم, وهو عبدالرَّحمن المَدني " .

والقنجي هذا بالقاف والنون والجيم ذكره الشَّيخ سيِّدي عبدالرَّحمن الثعالبي في بعض تآليفه وقال فيه

" الشَّيخ العارف بالله الولي أبو عبدالله مُحمَّد بن أحمد بن جعفر القنجي وذكر له رسالة كتبها لبعض أصحابه "

والكلام في هذا السَّيد أوسع من هذا يسع مؤلفاً جماً ويكفي فيه أجماع الأمة على كماله نسباً وطريقة وعلماً, وهذا خروج أيضاً عن الموضوع أوجبه الاغتباط بذكره والاغتنام لبرِّه بذكر عظيم قدره, فلنرجع لصاحب الترجمة فَمِن نظمه جامعاً الأماكن التي صلَّى بها رسول الله ﷺ في المدينة

صلَّى رسول الله في أماكن　　بطيبة وما حداها كائن

أشهرها الموجود منها مسجده　　قبا ومسجد حداها الأعمد

مشربة منها ومسجد بني　　قريظة وهو أزاءهُ بُني

ومسجد البغلة وهو بالبقيع　　ثمَّت مسجد الإجابة الرفيع

ومسجد القبلتين في بني　　سلمة ومسجد الفتح الهني

عيَّن هذه الثمان ابن حجر　　قال وأكثر المساجد اندثر

قيل وَوصفُ كلها بالجملة　　ما كان بالحجارة الفسفورية

كما بناها الأموي عمر　　بطيبة وهو بها مُؤمَّر

وقوله حداها في نسخة مكانه " الفصيح ومشرَبة المشرُبة " بفتح الرَّاء وضمِّها.

قال الخليل هي كالغرفة وبه صدَّر عياض, وقال الطبري كالخزانة يكون فيها الطعام والشراب ولهذا سُمِّيت مشربة, والمُراد هنا موضع من المدينة.

قال ابن فَرحون في مناسكه

" ومنها أي الأماكن التي ينبغي لداخل المدينة زيارتها مشرَبة أم ابراهيم بن رسول الله ﷺ ولعلَّهُ بستان لمارية أم ابراهيم عليه السلام وجاء أنه ﷺ صلَّى فيها وهي شمال مسجد بني قريظة قريباً من الحرَّة في موضع يُعرف بالرشت بالشِّين المعجمة, ومسجد البغلة هو مسجد بني ظفر ومسجد الإجابة هو مسجد بني معاوية ".

ومن نظمه رحمهُ الله

وكلما للسِّتة الكتب هي　　البخاري وصحيح مسلم

والترمذي والنسائي وأبن أبي　　داود وابن ماجة المنتخبِ

وملك السند أحمد روي　　كذاك كتب المنذري والنووي

فاروه واثقاً بلا شــــــــروط   نصَّ عليه الحافظ السُّيوطي

ونصَّ السيوطي المذكور هو ما ذكره في بعض أجوبته
" إذا علمتم في الحديث أنه في الكتب الستة أو في مسند أحمد فاروِوهُ مطمئنين كذلك ما كان مذكوراً في تصانيف الشَّيخ محي الدِّين النووي والمنذري صاحب " **الترغيب والترهيب** " فارْووهُ مطمئنين "
ومعلوم أنَّ في أطلاق الصحيح عن الأربعة تساهلاً, قال الزين العراقي في ذكره السنن الأربعة من ألفيته

ومن عليها أطلق الصحيحا   فقد أتى تساهلاً صريحا

وليس هذا محل تحقيقه وله رحمه الله مع سنده في الرواية

روِيت عن شيخ الشيوخ الراسي   الشَّــيخ عبــدالقادر الفاســي
عــن عمِّــي العابــد الــرَّحمن   عن شيخه القصَّار عن رضوان
عــن شــيخه ســقين المعتبــر   عــن زكريــا عــن ابــن حجــر
عــن شــيخ نيســابور عبــدالله   عـن الأمـام الطبـري ذي الجـاه
عن حرمي عن الطرابلسي عن   الهــروي ابــن أبــي ذر ومــن
عن أبه عن السرخسي البــزار   عن الفربري عن البخـــــــاري

وأبه من غير ياء على لغة النقص, وله أيضاً في نحو ذلك مبتدأً بمن كثُرت ملازمته له وقراءتهُ لجامع صحيح البخاري عليه وهو الإمام الحجة شيخ الجماعة بوقته ومحي العلوم بفاس الادريسية وهو سيِّدي مُحمَّد بن عبدالقادر بن علي الفاسي وهو المذكور صدر النظم السَّابق

أروي عن الشَّيخ الجليل الماهر   مُحمَّد الفاسي بن عبدالقادر
عن أبه المذكور عن ذي العرفان   عمُّهُمــا الفاســي عبــدالرَّحمن

عن شيخه القصَّار ذي الدراية وهو الذي قد قال في الرواية

رويت عن أمامنا رضوان عن سيِّدي سقين السفياني

عن زكريا عن ابن حجر عن التنوحي عن الحجاري

عن الريبزي عن أبي الوقت عن الزَّاودي عن السرخسي العَطي

وفي فهرسة صاحب الترجمة أنه ختم البخاري بلفظه والشمائل للترمذي مرَّتين مع مقروآت أُخر قال

" كل ذلك قراءة تحقيق وترقيق "

ومن نظم صاحب الترجمة في ولادة الإمام البخاري ووفاته وعدَّ طبقة أشياخه الأولى ممَّن حدَّث عن التابعين وبعض مشاهير من روى عنه كتابه "الجامع الصغير"

بخارينا قد جاء يدفق علمه فبان به نورس الهدى والسر

يحدثهُ عن تابعين جماعة وما بعلاهم في مساندة الغير

علي بن عياش عصام بن خالد ومكي البلخي طالعة الفخر

وخلاد منهم ابن يحيى ومنهم بن موسى عبيد الله ذو الثبت والخبر

كذا ابن دكين فضلهم ومحيّراً أزيد ابن عبدالله من عنزة النصر

أولئك أعلا طريقه ولقد روي عن أكثر من ألف فلله من حبر

وعنه روى لفظ الصحيح أئمةً ومبلغهم تسعون ألف لدى الحصر

وأشهرهم في الحمل عنه ابن يوسف مُحمَّد الأدرى الفربري ذو القدر

ومنهم مهيب ذاك ابن سليهم كذا البرذوي منصور آخرهم مقر

ويدفق رمز لولادة البخاري ونور رمز لوفاته وخلاد ومنصور بحذف التنوين للوزن ومهيب بتشديد الياء وبسكون محل الاعراب اجراء للوصل

مجرى الوقف وهو فاش في النظم, ومقري بسكون آخره من الوقف بالسكون على المنصوب كما هي لغة ربيعة.

وقال رحمه الله جامعاً لما يجب معرفته على المكلف على عقيدة هل السنة

الحمد لله ثناؤه   الواحد المتكبر المتعالي
تجب الصفات الكاملات لربنا   فله تعالى وصف كل كمال
منها السوالب خمسها القدم   البقا وخلافه للخلق أهل زوال
وقيامه بالنفس وحدانيَّةٌ   في الذات والأوصاف والأفعال
ثم المعاني سبعها وهي التي   عُقل الوجود لها بلا اعلالي
علم حياة قدرة وارادةٌ   بصرٌ وسمعٌ والكلام يوالي
والسبع هذه واحدةٌ لها وصفٌ   يلازمها من الأحوال
هو معنوي وهو كون الذات   قد وصفت ببعض السبع وصف جلال
وأضف لها النفس وهو وجوده   تلفيه للعشرين ذا كمال
وجميع ما هو ضدُّها ونقيضها   فاحكم عليه جميعهُ بمحال
ولِتَنف عنه الحاد تأتِ كأينها   وزمانها والجمع والترحال
ويجوز فعل الممكنات وتركها   في حقه بن حجر فيه بحلال
ما شاء كان وغير ذلك لم يكن   فعال كل جلَّ من فعَّال
هو خالق الأكوان من جسم   ومن عرض ومن أفعال أو أقوال
واعلم بأن المرسلين عباده   فرخَّصهم بالوحي والإرسال
تجب الأمانة والبلاغ وصدقهم   لهم ويبقى ضدُّ عن الأحوال
واجز عليهم ما يجوز على الورى   من طارئ الأمراض والأهوال
وأعلم بأن الهاشمي مُحمَّداً   هو خيرهم والخاتم الأرسال
صلَّى الإله عليه ثم عليهم   وعلى الصحاب ومن له من دال

والله أسأل نائلاً من حبِّـــــــــهِ والكون مع ذاك الرفيق العالـــــــــــي

واختصر ذلك رحمه الله في بحره ورويِّهُ بقوله

يجب الوجود لربنا قِدمٌ بقا وخلافـــهُ للخـــلق أهـــل زوال
وقيامه بـالنفس وحدانية في الـــذات والأوصـــاف والأفعـــال
علـــم حيـــاة قـــدرة وإرادة بصـر وسـمع والكـلام يـوالي
وقيام ذي السبع الصفات بذاته هـو المسمَّى المعنوي بالحال
وجميع ما هو ضد ذا ونقيضه فـاحكم عليه جميعه بمحال
ويجوز فعل الممكنات وتركه فـي حقِّه لا حجر فيه بحال
والأنبيا بشر حباهم فضله مع عصمة في القول والأفعال
ونبينا هو خيرهم وختامهـــم صلى عليه الواحد المتعالـــــي

وله في تعلق الصفات

كل المعاني صفة تعلُّق إلّا الحيـاة مالها تعلُّق
وذا التعلُّـق رعـاك الله تعلـق التـأثير أو سـواه
فما الذي التأثير قد أفاده فـذلك القـدرة والارادة
ولكلامه الدلالة تضاف وما سوى ذا فتعلق انكشاف
والكل إلَّا العلم في التمييز يقسم للصَّـلاح والتنجيز
فلا تصف علماً من العليم إلّا بتنجيـز لـه قـديم
ولـلإرادة التعلقان وقيل كـل يعلـم علـى ايقـان
والسمع والبصر والكـلام حيث اعتبار حادث يرام
لها تعلقان ناجز طرر وصالح هو قديم لا مرا
وما لها لدى اعتبار الأزل سوى قديم ناجز فحصـــل

وقال يوم زار الولي الشَّهير سيِّدي أبا بكر الجايزي ﷺ سنة زار فيها سيِّدنا عبدالسلام المتقدمة

أبا بكر القاطن الجائزة   أتيتك طالباً الجائزة

فمُنَّ بها سيِّدي فعسى   تُرى بتراكم يدي فائزة

فجودكم في الورى شائعٌ   وأيديكم للمُنا حائزة

وانجز بما قد طلبتُ لكم   فعنهُ البضاعة لي عاجز

وقال يوم زار سيِّدي عمر الراعي ﷺ في التاريخ السِّابق

أبا عمرو الراعي ويا شامخ القدر   من نوره كالشمس يبدوا أو كالبدر

ومن ظهرت آياته الغد للورى   ولاحت لكل الناس مثل سنا الفجر

أتيناك نسعى قاصدين زيارة   فمن أجلها ظلت ركايبنا تجري

طلبناكم للأحمدين مثابة تجلِّ   وفوزاً شامخاً أعظم الذخر

وزد فوق ما نرجوه من ذل لأنكم   كرامٌ تواسون الكرام ذوي البرِّ

على قدر ما تحوون من كرم لهم   ومن همَّة علياء تعلوا عن الحصر

ونطلب للركب الذي هو معهما   من الله توفيقاً الى البرِّ والخير

وختماً من المولى الكريم لكلِّنا   بخاتمة الحسنى وذا منتهى الأمر

وقال مجيباً على لسان أبي عمر

نعم نلت منَّا ما تؤمل عاجلاً   وسوف ترى تبشيرة لكم يسري

وقال لمَّا زار في السنة المذكورة سيِّدي أبا سلهام نفعنا الله به

بحر المكارم يا أبا سلهام يا   غيث جودٍ للبريةِ هامِ

يا عارفاً عرف الأنام جلالهُ   فتنول لدى الالهام كل الهام

وبـدا جمالـه لا يحـابين الـورى حتى على الأوهاد والاتمام
شـهرت مزاياكم وجودكم الـذي على البحر العظيم الطَّام
ونداك فاض على الورى فأتت له تطوي الرمال ركائب الإسلام
مـا أمَّكـم أحدٌ لأمـر دامـه إلَّا أنني منكم بخير سهام
ولقـد أتينـا مـرتجين نـوالكم والفضل يُرجى من ذوي الاكرام
فـيكم سـألنا الله حسـن انابـةٍ وتوجهاً للمالك العلاج
ثـم لـي اليكم حاجـةً فـي هذه جد لي بها يا ملجأ الأقوام
أنجـز بهـا يـا سيِّدي محفوفـةً بالفوز والتوقير والانعام
وعليكم منِّي سنيُّ تحيــــــة تغشاكم أبداً وألف ســـــلام

وقال رحمه الله متضرعاً ومستغيثاً بأولياء الله نفعنا الله بهم

أرحمـوا سـيِّدي عبيـداً أتـاكم قارعـاً بـابكم كئيبـاً ذلـيلا
واجبـروا منـه كل كسرٍ وداووا منـه قلبـاً بمـا جنـاه علـيلا
أتعبتنــي أمـــارتي بهواهـــا وتحمَّلـتُ منـه حمـلاً ثقـيلا
كلما رمتُ عن هواها انتقالاً زادنـي الحـرص حسرةً ونحـولا
يتبـيَّن لـي خطاها ولكـن لـم أجـد للخـلاص منـه سـبيلا
لا اقتـدار فـاحتمي بانتقـام لا ولا صـبر عـن هواها جمـيلا
رب كن لي من الخطايا مجيراً وكفـى بـك حافظـاً وكفـيلا
وتجاوز عن الضعيف بفضلٍ ومتى ما عثُرت كن لي مقيلا

وله رحمه الله

أنـت انـت جمعت كل كمال وأنـا أنـا بانتقـاص عُرفـتُ
أنـت انـت القديم انـت غنـي وأنـا انـا بافتقـار عُرفـتُ
أنـت يـا ربنـا عفـوٌ غفـورُ فـاعف عمَّا جنيتهُ واقترفتُ

رُدَّ باللطف آبقاً يا لطيـــف   قلباً بك يا كريم وقفـــت

ونظم رحمه الله وفيات أعيان في قوله

ومـات مفتـي وقتـه اليسـيتني   عـام يُغمـده أفضـال الغنـي
ومـات قاضـي عصـره الزَّقـاق   إذ غـاض علـم وبـر الشـقاق
وكـان فـي سـنة صـبغ اتيـان   مـوت ابـن ابـراهيم عبـدالرَّحمن
وعـام صـوغ قـد قضـى   حـروف التونسـي العـالم المعروف
وعام غاف قد قضى ذو الاجلال   مفتـي الـورى مُحمَّـد بـن جـلال
ومات عـــام غفج النَّحـوي   مُحمَّد بن مجبـر المرضـــيُّ

وقال جامعاً المسائل التي تصير المعصية الصغيرة فيها كبيرة

إنَّ الصـغيرة للمُسـيء كبيـرةٌ   مهما أصرَّ أو استهان أو افتخر
أو جاءها فرحاً بها أو جهـرة   أو كان ممَّن يقتفـي أو يعتبـر

وله رحمه الله في نظم قاعدة فقهية

وكـل ردٍ كـان مـن وصـي   سفيه أو مجنون أو صبي
فـذاك أبطـال وإن رددَّت   فعـل مفلـس فقـد وقفـت
والزوجُ والسَّيد بالخـــلاف   فقيل بالابطـال والايقـــاف

ونظم رحمه الله ما تعرب فيه البكر

الصَّمت للبكر رضىً وأعربت   إن يُتِّمت أو عضلت أو رشدت
أو زوجت لرق أو ذي عيب أو   زوجت بالعرض أو في العيب
كـلُّ نكـاح مهرهُ قـد فسـرا   ففسـخهُ قبـل البنـاء عهـدا
وبعدهُ يحكم بالأثبـات مـــع   صـداق المثـل للزوجـــات

وله جامعاً أقسام محمل الحديث

سماعك شيخاً فالقراءة عنده — أجازته أيضاً مناولة بعد
كتابة اعلام وصية شيخه — وجاءته خطابها كمُل العدُّ

وله جامعاً أشراط الساعة عن ترتيب ذكر عن ابن حبيب

قتلٌ فقحطٌ فدجَّال فعيسى — أتى يأجوج ومأجوج بعد أهل كل فتن
طلوع شمس من المغرب فسدٌ — هدى أقصى دخان فريحٌ ثم نارُ عدن

وباب هدى هو باب التوبة وأقصى أسم للدابة كما في كلام السهيلي,
وله رحمه الله في أسماء جهنم أو طبقاتها أعاذنا الله منها

جهنم ثم لظى فالحطمة ثم — السَّعير سقيُ الحطمة
ثم الجحيم بعد ثمَّ الهاوية — على التدلِّي رتبت كما هي

وله في أسماء الجنان متَّعنا الله بها

فردوس والمأوى خلود ونعيم — عدنٌ سلام خلدٌ سعد المقيم

وله رحمه الله ناظماً أصحاب الشَّيخ الجزولي ﷺ

صحب الجزولي الولي جماعة — سهليُّهم الحارث التباع
والأمين والحسن الرضى — وسلامة وسعيدهم ولكلهم أتباع

وقوله والأمين بحذف الهمزة بعد نقل حركتها للام والسهيلي أبو عبدالله مُحمَّد الصغير والحارث سيِّدي أحمد والتباع سيِّدي عبد العزيز والأمين

سيِّدي محي العطَّار وأجانا وسيِّدي الحسن وسلامة بن أبي سلامة وسعيد هو الدكالي نفعنا الله بهم آمين.

وفيهم وأتباعهم ألَّف الإمام سيِّدي المهدي بن أحمد الفاسي كتاب "**ممتع الأسماع** " السَّابق ذكرهُ في ترجمته, ولصاحب الترجمة رحمه الله فيما خصَّ به سادتنا الشاذلية رضي الله عنهم

اتيحـت شـاذليتنا ثلاثـاً بهـا   خصُّـوا فحـازوا كـل خيـر
بأنَّ في اللَّوح مختارين كانوا   وأن القطب منهم كل عصر
وان الوالـه المجـذوب مـنهم   يعود بصحوه من بعد سكر
وزاد السَّـيد بـن وفـا عليهـا   وهـو القطـب منبـع كل يسر
بأنهم إذا أعطوا مريداً فليـس   يخاف سلبـاً طـولَ عُمـرِ

وقوله وهو القطب بتشديد الواو وهي لغة ارتكبها للوزن على حدِّ قوله

وإن لساني شهرةً يشتفى بها   وهو على هبة الله علقم

وله رحمه الله في مدح كتاب " **دلائل الخيرات** " والحض على قراءته

كتاب دلائل الخيرات ورد بعذب   وروده تشـفي الصـدور
وفيـه شـوارق الأنـوار تبـدوا   فيعلـوا الناسـكين بهـا سـرور
تفيـد محبَّـة الهـادي وشـوقاً   يكـون بـه لحضـرته العبـور
تـنعَّم فـي ريـاض الأنـس منهـا   تجنـك مـن معارفهـا قصـور
ويخـدمك الوجـود ومـا حـواه   وتحنوا في الجنان عليك حور
ألا لا تعـدوَّن عينـاك عنـه   ولازمه ففيـه هـدىً ونـور

وقال رحمهُ الله

القلـب يخبـر عـن معـالم حبـه   خبـر المُحـن لهـا وإن لـم يخبـر
يروي صحيح حديثها عن مسنـد   من عرفها السَّاري كعرف العنبـر

وقال

لا تسألنَّ عن السرائر أهلها   ما كان منها في السرائر مرتكز
فكلام كل الناس يبدوا منهم   وعليـه حلـة فطـرة منهـا بـرز
والمرء ينفق بالذي في كيسه   فإن ذا البضاعة أعجزت يده عجز

وقال

إن المقـادير دائمـا تتصـرف   وبهـا الإلـه لخلقـه يتعـرَّف
ولكلهـا يقضـي الإلـه لعبـده   فلحكمـة طويـت بـه لا تعـرف
فاستسلمن لما اتاك به الفضل   مـا للمقـادر إن جـرت متخلِّـف
لا تجزعن من حـادث فلربما   قد كان أمنك في الذي تتخـوَّف

قوله وبها الإله لخلقه يتعرَّف أي يُظهر للعبد صفاته تعالى بتصرُّفاته قال التاج بن عطاء الله في " **التنوير** "

اعلم أن الله تعالى تعرَّف بالإيجاد فناداه يا قدير ثم تعرَّف له بالتخصيص بالإرادة فناداه يا مريد ثم تعرَّف له بحكمة لمَّا نهاهُ عن أكل الشجرة فناداه يا توَّاب ثم أشهده أنَّ أكله من الشجرة لم يقطع عليه ودَّهُ فناداه يا ودود ثم أنزله الى الأرض ويسَّر عليه أسباب المعيشة فناداه يا لطيف ثمَّ قوَّاه على ما اقتضاه فناداه يا معين ثم أشهده سر النَّهي والاكل والنزول فناداه يا حكيم ثم نصره على العدو الكافر فناداه يا نصير ثم ساعده على أعباء تكليف العبودية فناداه يا ظهير, فما أنزله الى الأرض إلَّا ليكمل له وجوه التعريف ويقيمه بوظائف التكليف فتكمَّلت فيه العبوديتان فعظمت نعمة الله عليه وتوفر احسانه لديه "

وهذا التعرُّف لازم لكل مَن فتح الله بصيرته من المؤمنين فضلاً عن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقوله " ولكلها يقضي الإله " صرَّح به غير واحد من علماء السُنَّة والمرعاة ذلك منه تعالى على جهة التَّفضُّل والامتنان لا على جهة الوجوب وهذا محل النزاع مع المعتزلة فهم يقولون وجوباً وأهل السُنَّة يقولون تفضُّلاً ولا يجب عليه تعالى شيء, ولهُ رحمهُ الله

كم من مُستحقٍّ يُعطى ما استحق ... ودايم لحوق أمرٍ ما لحق

فسلِّـــم الأمـر لـربِّ قـد خلــق ... فكل شيء في المقادر سَبق

وقال

لا دواء لمـن يعاديـك حقـراً ... ولـو أن الـوداد منـك يـدوم

يعلن الود أن تصافيه حباً ... ولـدى القلـب بغضـه مكتـوم

ويضـل بيـت منـك شـجوناً ... ويلـــوم وإنـــه لملـــوم

ظالم ظلمه استكنَّ فأضحى ... فأضحى يتشكَّى كأنه مظلـــوم

وله رحمه الله يمدح شيخهُ علَّامة الزمان أبا علي الإمام الحسن ابن مسعود اليوسي

حييت بك الأرضون منذ حللتها ... وحيت بنور هداك كل نفوس

أنت الذي أنهلت من بحر الهوى ... فسـقيت منـه مديـده بكـؤوس

أنت الذي لمَّا رقيت سقا العُلا ... لنـــا بســناك كــل شـــموس

قـد جئـت بحـراً من علـوم زاخـراً ... متضـــلعاً منهـــا بكــل نفــيس

قســما بمــروة والصــفا وبزمــزم ... قسم التقى والبر غير غموس

ما جــاز ذو علـم ولا ذو همَّـــةٍ ... كلا ولا دانى مقــام اليوســـي

فأجابه الشَّيخ اليوسي رحمهما الله بقوله

يـا ابـن المطـاعم والمطـاعن من	عدا أو من عرا في البأس أو في
والفــاتحين لهَّــى بكــل مــنفس	والصــالحين لهَّــى بكــل نفــيس
والقابسـين الخيــر غيــر ملَّــبس	واللابسـين الخيــر غيــر لبــيس
والمحتمــين عــن الــدنايا عفَّــةً	والمنتمــين الــى الكــرام الــروس
والمحجمـين عـن السفَّاه عرائسـاً	والمقـــدَّمين كـــزارة العـــرِّيس
شـنفت سـنعي بـالحلا وكسـوتي	مـن حلـة التقـريض خيـر لبـوس
وأبحتنــي روضــاً أريضــاً غمــد	غيـث أجـس مـن الـولي عبـوس
وصـبحتني مـن خنـدديش ثنائـك	الحلـو المـذاق بمنزعـات كـؤوس
ونبعـت مـن سـلس البيـان بمـا	حكى غرر الجمان رصينة التسليس
لا لا صـافياً منـي مكـان القول ذا	سـعة ولا استخصـبت غيـر شسـيس
لكن تجلى في ضميرك مالكم من	تالـــد التطهيـــر والتقـــديس
وطريـف ودِّك صـافياً فرأيتنـي بهما	أخـــا فضـــل علـــى حبـــيس
والفضل عندك في الضـمير وإنما	جـود الفتـى أبـدا بمـا فـي الكـيس
فلأنــت أنــت كشـفت كـل دجنـة	بضــياء أقمــار علــت وشــموس
وعطَّـرت للفجـر الرفيـع فأمسكت	كفـاك منـه عنـان كـل شـموس
ولأنت ذو الفضل الذي لا يمتــرا	وإنـــك للكريـــم التـــــــــوس

وقول الشَّيخ اليوسي المطاعم جمع مطعام وهو كثير الأضياف والمطاعن جمع مطعان ومطعن وهو كثير الطعن, وقوله كزارة بالهمز فعلة من الزئير والعريس الاسر وأراد أن يصف مصروجية بالاحجام من السفاه ولو عرائساً وبالاقدام والتهابة ولو بمجرَّد النطق فضلاً عن الفتك كالأسود فهو من المقابلة, وقوله غبماغيث ما زائدة واجش إمَّا صفة لروض من

جشت الارض إذا التفَّ نباتها أو صفة لغيث من أجش الرعد إذا أغلظ صوته إلَّا انه على الثاني يكون شاذ الآن فعله رباعي ولا يقاس صَوغ اسم التفضيل إلَّا من الثلاثي وصرحه باعتبار ما ينشأ عنه من المطر النافع والولي المطر ينزل المرَّة بعد المرَّة وعبوس بفتح صفة لغيث والبسلس الخيط ينظم فيه الخرز ورصينة بالرَّاء والصَّاد ويجوز ابداله زاياً ثم ياء بعدها نون وهاء تأنيث من الرصانة وهي الاتقان فهو فعيلة بمعنى مفعوله والتسليس الترصيع والتأليف في الحلي خاصة لأنه محلُّه والشسيس الأرض التي لا تنبت والشموس بفتح أولد الفرس المانع الظهر والتوس الطبيعة وباقي ألفاظها ظاهر.

ولصاحب الترجمة رحمه الله وما أبدعه فلله درُّهُ

إنا نرى بعد الجناب الأقدس	لجميع أهل العلم صدروا المجلس
وإذا الزمان به تناقص حظّنـا	قلنا يحق النقص للعبد المســـيء

وقال حاكياً حالة أهل الزمان

تتسارع للتصدُّر والمزايا ونافس	مــن عـــلا مــنهم ســـواكا
ودار القـوم تلـف مـنهم بشـراً	ويعلــوا دائمــاً فــيهم ســماكا
فـإن النـاس مـا لـم تـدنُ منهم	جميــع الأصــدقا مـنهم عراكـا
فإن تُعرض رميت بكل جهــل	وإن تُقبـل بنفسهــم فداكـــــــا

وله رحمه الله

لا تجب ويحك السَّعيد بقول	فــالجواب لــه شــفاء وراحــة
قصـده أن يطيـل خبـث أداه	فــإذ أنيـل كـان ذاك مراحـة
فلتعظـه بكـف قولـك عنـه	فعسـى أن يـرد عنـك وقاحـة
وإذا ما عفوت سراً وجهـــــرا	عقر الله عنـك منـه جراحـــة

وله رحمه الله

إذا غمص السفيه عليك قدر أفدعة ولا تلمه على جفاء
فما ضرَّ السَّماء ولها ارتفاع إذا نبح الكلاب على السَّماء

وله رحمه الله يحضُّ على قراءة الفقه بعد تحصيل المهم من النحو

الى فهم دين الله فانهض بهمة وقل رب سهِّل دائماً مدخلي
وخالل خليل الفقه في كل محفل ودع سيبويه النحو واترك

وقال في التضمين

لا تنل كل من أتاك صنيعاً وادَّخرهُ لكل حرٍّ معين
واستمع لمقال خير نبيل جاء بالحق والكتاب المبين
تحس الصنيعة إلَّا عند ذي حسب وصاحب دين

وقال

لا ترج امرءاً عبوساً بخير ولتباينه من جميع الوجوه

وقال

يمدح أمير وقته الامام الرشيد بن الشريف الحسني على وجه النسب وحسن التخلُّص والايجاز والتجريد

خرجت على أترابها في حلة تذري ببدر نيِّر في فلكه
تدنوا فترمي مع العاشقين بناظر يحكي لسيف صارم في فتكه
وتهز قد الخيزران وتنثني بمعطف غصن النقالم يحكه
وتميل تيهاً في القباب كأنما أُلبست حلا عز الرشيد وملكه

وله زجل في مجزر الرمل ضمَّنه مدح النبي ﷺ والدعاء والوعد على تعلُّم العلم وبعض صفات الجنَّة متعنا الله بها يذكر عند الطعام الذي لصبيان الكتاب يُسمُّونه الختمة جرت به العادة وأولهُ

أجيبنا يا مُحمَّد الصلاة على ... مُحمَّد طابت الجنة وفاحت

وبقى من كلامه رحمه الله أنظام في النحو واللغة وغيرهما ورسائل بديعة وحِكم رفيعة يطول المقام عن جلب شيء منها, ومن حكمه في شيء من السياسة المناسبة للزمان زمنه, وأمَّا اليوم فلا يناسب ولا يسلم الملأ من أعتزل وإن الجأته ضرورة كان كالمخاطر في البحر ونصُّها

تحيـــــــر الأنـــــــداد للنجــــــوى ... وســـابق الأضــــداد بالشــــكوى
ســـــــــبقك بالشــــــــــكاية ... غلبـــــــــــة ونكايـــــــــــة
ولا تســــــــــارع لمَّـــــــا رأى ... ولا تباشــر بمنصــبك مــا يــزري
وشـــــاور فيمـــــا أهـــــمَّ ... مـــــــن لا يـــــــتهم
وجــــــالس الفضــــــلاء ... وقـــــرب العقـــــلاء
واحفـــــــــظ الجـــــــــوار ... لمـــــــــن التجـــــــــار
ولا تـــــــــؤمن ذي الخيانـــــــة ... ولا تحـــــدونَّ ذوي الأمانـــــة
وبقـــــــــدر الـــــــــدِّين ... أمانـــــــة الأمـــــــين
وأوف بـــــــــــــــــالعهود ... ولا تحـــــــل العقـــــــود
وانجـــــــــز الوعـــــــــود ... تـــــــدم السُّــــــعود
وأحســــــن لكـــــــل كـــــــريم ... تـــــدَّخره ليـــــوم عظـــــيم
لا تحســــــن الصـــــــنيعة ... إلَّا عنـــد ذوي الرتـــب الرفيعـــة
ولا تكـــــــن فـــــــي أمـــــــان ... مـــــن أربـــــاب الزمـــــان
بـــادر أهـــل المكـــر قبـــل أن يبـــادروك ... ومـــاكرهم قبـــل أن يمـــاكروك
افتـــــــــرس واحتـــــــــرس ... أو اصـــــطبر واغتفـــــــر
واشـــيروا مـــن الأميـــر علـــى قـــدره ... ولـــيس عرضـــه كعـــرض غيـــره
من لا يبالي بعرضه في تحصيل غرضه ... فكن منه بمعزل وأنزله ذاك المنزل

وخذ حظه بعد الاعتبار   وإياك والأغترار
وبالتجريب يحصل التهذيب   عقل الخبرة خير من عقل الفطرة
مدح العامَّة رتبة وذمهم جميعاً نكبة   من له عليك قدره أعرف حقه وقدره
كن معي ذي السطوة في خمول   وميز العامل من المعمول
وارتكب تجاهل العارف   فهو من بديع اللطائف
والصبر في البداية   ظفر في النهاية
كل شيء بأجل   ففيم العجل
لا تقس شيئاً بغير مماثلة   ولا تضم أمراً لغير مشاكلة
من أخطأ في مقدمة القياس   فهو من النتيجة في اياس
ربَّ شيء زان غيرك شأنك   وربَّ كمال أوجب نقصانك
كمال الناقصين   نقص الكاملين
علم الشيء دون عمل   لا يحصل به الأمل
لا تكن بالفاضح ليس بالناصح   ذو الفصيحة ليس أهلاً للنصيحة
ومن ضيَّع الحكمة   أراه الزمان الحكمة

وتركنا من نظمه رحمهُ الله غُرر وقصائد وأنظام مذكورة في مؤلفات ككتاب المقصد وغيره أتكالاً على تيسيره لمن أرادها هنالك, ولم أذكر هنا شيئاً منها مخافة افراط الطول, وجلبنا كلام العلماء في تحليته وأتينا بنصِّ أنظامه وبديع منشد كلامه وإن أفضى الى بعض الطول لقوله فيما تقدَّم عند التعريف بأخيه أبي عبدالله مُحمَّد العربي فهو من أخصّ جنسي ومدحهُ مدحٌ لنفسي مع ما فيه من عظيم الفوائد وتقييد الحكم والشوارد ورجاء ما يعود علينا من بركة رضاه والنفع بسير وسراه والتأسي بهداه نفعنا الله ببركته آمين وجمع شملنا به في دار النعيم الدائم مع الذين أنعم الله عليهم من

النبيين والصدِّيقين والشهداء والصالحين آمين والحمد لله ربِّ العالمين, ثم خلَّف الجد رحمه الله ثلاثة من الذكور

أولهم القاسم, وكان خيِّراً ديِّناً صوَّاماً قوَّاماً يتبرَّك بسرد الجامع الصحيح للإمام البخاري من نسخة كتبها بخطِّهِ وبالغ في مقابلتها وتصحيحها من الأصول المعتمدة ويتلوا القرآن ويلازم الذِّكر مجرَّداً, معمِّر الأوقات بالطَّاعات يداوم على ذلك خصوصاً قيام اللَّيل, خالطَ سيِّدنا أحمد وانتفع به.

ولِدَ في حدود ثمان وسبعين وألف وتوفي آخر جمادي الثانية عام واحد وخمسين ومائة وألف ودفن بضريح سيِّدي أحمد الشاوي نفعنا الله به بالروضة القديمة خلف ظهره بقبرين وكتب رثيته تاريخ موته بقصيدة لا بأس بإيرادها لما اشتملت عليه من أخلاقه وهي

أعيُنيَّا نوحا بالدِّما واحكيا القطرا	فان ديار الفضل عامية فقرا
مضى أهله لمَّا استقلُّوا بجمعه	وما ودَّعوا لكن قد أودعوا الجمرا
فأصبحت الدنيا من أجل افتقادهم	ظلاماً ولا ضوءاً وليلاً ولا فجرا
فمن نال من بعد الكرام معيشةً	فقد نال من دنياه عاقبة خسرا
خليلي لا تأسف على هالك إذا تقدَّم	في عزٍ ولو طاول البدرا
فإن زمان السُّوء يردي ولو يكن	لصاحبه ما يملأ السَّهل والوعرا
ألا مسعف للعين في السهر والبكا	وهل من مسعد للنفس إن ضُيِّقت حدرا
فلله ما بالقلب من ألم النوى	ولله وجد ما جدنا له صبرا
أناس لهم في الحلم والفضل منزل	تسامى على كيوان والقطب والشعرا
أكلِّف جفني بعدهم بجموده	فيذكر بَرَّاً منهم فيفي بحرا
وفيهم مضى بدر المجادة قاسم	ونجم ذوي الهدى وشمس بني الزهرا

فجاهـــد ديـــن الله حـــقَّ جهـــاده ... قيامـــاً وصـــوماً مبتـــغ عنـــده الأجـــرا

فمن بعده للحلم والجود والتقى ومَن ... فـــي الســـؤال يمـــنح البِســـطة والبِشـــرا

ســوى القــادري نجــل الإمــام الــذي ... عـــدا بهمَّتـــه يعلـــوا الطوالـــع والزهـــرا

فكُنَّا به لم نعرف الدَّهر ضيمه ولا ... نختشـــي مـــن فـــيض احســـانه فقـــرا

وكــان لنــا نعــم المــوالي مواســياً ... وللكـــلِ مـــن فـــرط الحنـــان أبـــاً بـــرَّاً

أمثلـــهُ حيـــث اتجهـــت برســـمه ... فكـــدتُّ علـــى وهـــم أخاطبـــه جهـــرا

ومَهمـى ذكـرت شـيمةً مـن صـفاته ... تصـــعَّدت الأحشـــا نيرانهـــا زفـــرا

ولمَّــا انــدهى عقلــي وزاد تــولُّهي ... وأوقـــد فـــي قلبـــي تَـــذكُّرهُ حـــرَّا

أقمـت جميـل الصـبر عنـه تكرُّمـاً ... وأعددتـــــهُ لكـــــل نائبـــــةٍ ذخـــــرا

أيـــا موطنـــاً دار الخلـــود وتاركـــاً ... أحبَّتـــه فـــي شـــغل دنيـــاهم سَـــكرا

نشدتُّك بالرَّحمن من هو قد قضى ... بفرقتنـــــا لا نتســـــيَّس لنـــــا ذكـــــرا

فـدعى ذمـام فـي القرابـة واجـبٌ ... علـى الحـر مهمـا يلـق فـي حالـه وقـرا

كساهُ إله العرش من خلع الرضى ... واولاك عـــزاً جـــاوز الحمـــد والقـــدرا

ووالى عليك من غيوب نعيمه هذا ... مـــا غصـــون الـــروض تفـــتح الزهـــرا

ومنـي صـلاة أعبـق الكـون نشـرها ... علـــى أحمـــد المختـــار دائمـــة تتـــرا

وآله والأصحـــــاب والتابعيـــن مـــا ... تحرَّكـت الأرواح مسكبـــة قطـــــــرا

ودرج رحمه الله ولم يعقب ذكراً ولا أنثى.

وثانيهم الطاهر, وكان رحمه الله ليناً نزيهاً وجيهاً عدةً مرضياً مهذباً, وفيه حُسن الأخلاق لَيِّن المعاشرة, توَّاقاً للمعاني متوجهاً لأثارة الأسلاف يختم القرآن في يومين مع ما كُلفه من شغل المعاش وكلَف العيال وفتن الوقت, يتعاطى خطة الشهادة وكثُرت عليه كُلفها.

ولد في حدود أربع وتسعين وألف وتوفي في صفر اثنين وأربعين ومائة وألف, وخلَّف ذكراً واحداً وهو أبو عبدالله مُحمَّد, ولِد عام أربعة عشر ومائة وألف وهو الآن حفظه الله في قيد الحياة وله من الأولاد الذكور خمسة القاسم وعبدالواحد وطاهر وعبدالعزيز وحمدون حفظهم الله.

ثالثهم والدنا أبو مُحمَّد الطَّيب وهو أكبرهم سنا وكان جليلاً وجيها فاضلاً زكياً وبراً وفياً حنيناً عطوفا, ولِد في رمضان عام واحد وتسعين ومائة وألف ومات فجأة سابع وعشرين صفر عام سبعة وخمسين ومِائتين وألف وخلف ثلاثة من الذكور

أحدهم. مات قبل بلوغه بعدهُ وهو يوسف.

وثانيهم عبدالرَّحمن ولِد في حدود أربع وخمسين وهو الآن حفظه الله في قيد الحياة بفور البلوغ.

وثالثهم مؤلف هذا الكتاب وهو مُحمَّد, ولِد في ربيع الأول عام أربعة وعشرين ومائة وألف وله من الذكور واحد وهو يحيى أحياه الله ووفَّقهُ, ولم يكن لواحد منَّا حرفة سوى تعاطي القرآن وتعلُّم العلم, ومنَّ الله على العبد بإفادته فَدَرس ألفية ابن مالك والاجرومية ورسالة أبن أبي زيد القيرواني والمرشد لابن عاشر مراراً لدواعي حصرها ومختصر خليل مرة وشمائل الترمذي ثلاث مرَّات وكتباً أخر كالسُّلمي للأخضري في المنطق ونظم الخزرجي في العروض ونظم ابن سعيد في التوقيت, وقرأت والحمد لله على شيوخ من أهل الوقت والعمدة منهم اثنان, العلَّامة النحوي الأديب الفقيه المحقِّق أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن الحسين المصمودي عُرف بالجندوز, والعلَّامة المحدِّث الصُّوفي الفقيه الزاهد الورع المتجرد سيِّدي مُحمَّد المدعو الكبير بن مُحمَّد السرغيني العنبري ويأتي ذكره قريباً فانتفعنا بهما والحمد لله على ما ظهر به فضل الله علينا وليس هذا محل بسط ذلك أنالنا الله

بركتهما وجازاهما وجميع من سعى لنا في خير بما جازا به أولياءه, وأرجوا أن يديم الله في أعقابنا وأعقاب اخواننا العلم والدين الى يوم القيامة ويكمِّل ذلك بالقبول والرضى فإيَّاه أقصد واليه أضرع في ذلك بجاه واحد الجاه سيِّدنا ومولانا مُحمَّد رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين وتابعيهم بإحسان الى يوم الدين ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العلي العظيم.

السَّيد أحمد بن عبدالقادر القادري الحسني

ومنهم السَّيد الأبر الخيِّر الأشهر الفارس المجاهد الأنور أبو العباس وأبو الأفضال أحمد بن عبد القادر القادري الحسني ابن علي بن أحمد بن مُحمَّد ثالث الآباء لسيِّدي عبدالسلام وسيِّدي العربي المذكورين فيما تقدَّم رفعهُ الى سيِّدنا عبدالقادر الجيلاني نفعنا الله به.

كان رحمه الله سيِّداً صالحاً وزاهداً رابحاً ومحباً ناصحاً, ذا شجاعة واقدام ونجدة وفصاحة وافحام, ينظم الشعر ويجيدهُ ويتعاطى العلم ويستعيده, ذا قبول ووجاهة وعقل ونباهة, وسيرة سُنيَّة وحالة مرضية سَنية, يعرف الفضل لذويه ويحب الصلاح ويقتفيه, ممن لازم سيِّدنا أحمد بن عبدالله وتأدب به وأبذل المجهود في محبته, كنَّاه بأبي الوفا بعض شيوخ الديار المصرية لمَّا وفد حاجَّاً حجته الأولى عام ثلاثة وثمانين وألف, ثم حجَّ عام واحد ومائة وكان مرافقاً فيها سيِّدنا أحمد بن عبدالله تشريفاً وتغريباً سفراً واقامةً وألَّف في رحلته معه كتاباً سمَّاه " **نسمة الآس في رحلة سيِّدنا أبي العبَّاس** " حكى فيها جميع أفعال سيِّدنا أحمد ولم يغادر شيئاً ووصف حسن عبادته وأدبه ومناسكه ومرافقته وجوده وحزمه وقوته, وأتى فيها بالعجائب ما يسحر الألباب من البلاغة والبراعة نظماً ونثراً.

فمن جملة ذلك قوله فيها وخرج سيّدنا يوماً على بغلته الخضرا والناس حافُّون به أمام و وراء

فكأنه ياقوتةٌ في عقد جوهر   أو بدرٌ بين النجوم تزهر

إذا اكتحلت عيناك منهم بنظرة   رأيت وجوهاً كالبدور وأملحا
وإن تدنُ من ذلك البساط وحسنه   فلا بدَّ أن تتلوا تبارك والضُّحا

ولِد رحمهُ الله سنة خمسين وألف ونشأ في مروءة ودين ولم تكن له حرفة سوى طلب الطريقة ولقاء المشايخ, وجاهد ورابط وكان لا يخلوا عن سلاح الجهاد وما يحتاج لركوب الفرس حتى كبُر سنُّهُ, ويواظب على قراءة دلائل الخيرات وكان يحفظه ويسردهُ عن ظهر قلب, ولا يحيد عن زاوية سيّدي أحمد بن عبدالله وتلقِّي ما تكلَّم به سيّدنا أحمد من الآداب والحكم والمعارف, وكان نسَّابة وسُئل عن مسائل في النسب فأجاب بجواب بين مفصَّل بما هو الفصل وأتى فيه بما عليه المعوّل وكان كثير الصدع بالحق لا يحابي فيه أحداً.

وقال له بعض الرؤساء ممَّن عظم عتُّوه وقد راودهُ على أمر فيه منفعة للمسلمين نحن مشاركون للناس في كل شيء ولا ننفرد عنهم إلَّا بنفوذ أمرنا وبالكلمة المسموعة فقال له

" بديهة وعليها دخولكم للنَّار فذبل الرئيس "

وسجن الرئيس مرة أخرى أناسا فوجَّهوه اليه يشفع لهم بجاهه من خلف ظهره واحتضنه ففزع الرئيس كأنه ظنَّ أن أمراً حدث له من الأمير ونحوه لعدم إيلافه ذلك فأرسله وقال له " هذا جزء في الدُّنيا كيف تكون والخلائق بين يدي الله مع الذين سجنتهم وخربتهم يطلبونك بالقصاص فما قولك"

فواعده الرجوع بعد وقت الظهر من يومئذ وسرح جميع من قبض قبل وقت الوعد فلم يحتج الرجوع اليه.

وحدَّثني شيخنا الإمام القدوة العلامة الورع في زمانه سيِّدي مُحمَّد المدعو عبدالكبير بن مُحمَّد السَّرغيني, وكان قبل قراءتنا عليه قاطناً بفاس الجديد أنه أتى يوم الأربعاء لزاوية سيِّدنا أحمد بالمخفية وكانت تلك عادة الطلبة المتَّبعين لسيِّدنا أحمد فقال له صاحب الترجمة متعجباً

" الكبير الورع وفاس الجديد "

يعني لأنها محل أهل الغصب من حياة الولاة وغيرهم, قال شيخنا

" وما زلت أتردد وذلك يحوك في الصدر الى أن يسَّر الله الخروج منها".

فانتقل رحمه الله منها الى فاس الادريسية في حدود اثنين وخمسين ومائة وألف, وتقدمت له إقامة بها قبل ذلك في حدود ستةٍ وأربعين وبقى بها خطيباً ومدرساً بمسجد الشرفاء الى أن توفى وقت الزوال يوم الجمعة خامس جمادي الثانية عام أربعين وستين ومائة وألف ودفن من بعد صلاة العصر من يومه بداخل قبة الولي الشهير سيِّدنا أحمد اليمني بأصل جوارها المغربي الجنوبي.

وممَّا اتفق له ممَّا يشير الى عظيم منزلته أنه وقف في قراءة التفسير على قوله

﴿ وإذا جَاءَكَ الَّذينَ يُؤمِنونَ بآياتِنا فَقُلْ سَلامٌ عَلَيكُم ﴾(1)

وفي سرد الدُّر المنثور على قوله

﴿ يُوصيكُم اللهُ في أولادِكُمْ ﴾ (2)

---

[1] . الأنعام 54

[2] . النساء 11

أقول وكان شيخنا سيِّدي عبدالكبير هذا إماماً جليلاً عالماً نبيلاً محصلاً لأمَّهات المسائل متضلعاً بعلوم الأواخر والأوائل, حافظاً للأصول ومحرراً للفصول, ذا هيبة ووقار وسكينة وتودة, ومقدار وسمت بهِّي وخلق سنِّي, عالماً عاملاً مهذباً كاملاً, متين الدِّين قوي الورع واليقين, مؤثر الأخرة أوقاته بما يعنيه عامرة, لست تراه إلَّا ذاكراً أو مصلياً أو مدرساً أو مفرداً خليا, مجلسه مجلس وعظ وتذكير وانذار وتبشير, وحفظ وتحقيق وفهم وتدقيق, يلهج بذكر الصحابة ويقصُّ أخبارهم ويحضُّ على أتِّباعهم ويحب الصالحين ويقتفي آثارهم ويعظِّم العلماء ويُظهر أنوارهم, كثير الاهتمام بشأن المسلمين حريصاً على نفعهم قوياً في ذات الله لا يقدر أحداً ان يتكلَّم بمحضره بغيبة ولا في معناها لا تصريحاً ولا تلويحاً, يتحرَّى أطيب المكاسب ويحضُّ الطلبة على تعاطي الأسباب التي لا اعتراض عليها للشرع ويؤكد على طلبة العلم في ذلك, ويعدوا أن لا سعادة إلَّا بإيمان ولا كمال إيمان إلَّا بعمل صالح ولا عمل صالح إلَّا بصحة بدن ولا صحَّة بدن إلَّا بإقامة ضرورياته ولا إقامة ضرورياته إلَّا بالتكسُّب والمعاش ويحذِّر من الوسوسة في ذلك ويحمل المسلمين ومعاملتهم على الصِّحة حتى يظهر خلاف ذلك ولا يرضى لمتعاطي العلم خطة الشهادة ولا القضاء ولا ما في معناهما من الرئاسات, ويقرِّر أن العدل في الخُطط مستحيل عادة في زمنه ويذكر كثيراً قول أبن عبدالسلام

" وحاصل الخطط الشرعية بزماننا هذا أنها أسماء شريفة على مسمَّيات خسيسة "

وقد كتبتُ رسم شهادة عليه فلمَّا أمليتُ قراءته عليه ووضعت شكلي فيه قال لي

" ودَدتُّ أن طالب العلم إذا تولَّى خطة الشهادة أو خطَّة المخزن لو غسلتُ يدي على قبرهُ " يعني موتهُ أحسن من ذلك ويقول

" إن تولِّي الخطط في هذه الأزمنة هو بمجرده جرحة في دين متولية "

ولا يقبل عذراً في ذلك, وينبِّه على مجانبة معاملة مستغرق الذِّمة وأهل المكاسب من الشُّبهات ويُحذِّر من أكل طعامهم وقبول عطاياهم, ويذكر الخلاف فيما بيد المستغرق الذِّمة على مصرفه مصرف الفيء فتناوله الغني والفقير أو لمصرفة الزكاة لا يحل إلَّا للفقير ويقرر أن الاحتياط مجانبة ذلك مطلقاً إلَّا عند الاضطرار فيذكر قول مالك

" طلب الرزق في شبهة خير من التكفُّف للناس "

ولا يرضي لطالب العلم إلَّا برفع الهمَّة عن الخلق ويحض على تجنب الظلمة وأهل الدنيا ويعيب على الطالب متابعتهم والميل اليهم ويبالغ في ذلك ويحذر منهم ويقرر أنهم لا يهادون أحداً لدينه ولا يعلمه وانما يهادون لأغراضهم ولا نجاة منهم إلَّا بحسم مادة الطمع فتحقَّق النجاة منهم, ويذكر قول الشَّيخ زرُّوق في التحذير من أهل الدُّنيا

" أنهم لا يريدونك إلَّا لتكميل دنياهم وأنهم إن فعلوا مع أحد معروفاً لا يريدون به إلَّا حوائجهم وإن مَن تجنَّبهم نجا ولا يدخل عليه ضرر بمجانبتهم وضرر مخالطتهم أعظم من ضرر عقوبتهم في المجانبة "

ويرقِّي العبد الى ربِّه ويحضُّهُ على امتثال أوامره واصلاح ما بينه وبين سيِّديه, سمعنا منهُ مِن هذا مالم نسمعهُ مِن أحد ونبهنا به لما لم نتنبه له منذ نشأتنا, وكان رحمه الله كثير الإنكار للبدع حريصاً على اظهار السُّنن وإحيائها يبثُّ ذلك ممَّن يواليه ما أمكن مؤيداً بالنورانية فيما يُشاور فيه, فلا تكون له المشورة في أمر يصدر بموافقته إلَّا حفَّهُ من السَّلامة والخير مالا

يظنُّهُ ظان مع خفاء مآلهِ أولاً, فربَّما أجرى ما يشاور فيه على خلاف المألوف وربما تنخرق فيه العوائد.

لازمتُ بحمد الله مجلسهُ وانتفعتُ به وقيدتُّ عنه وختمت عليه مختصر خليل نحو ثلاث مرَّات وحضرتُ مجلسه في مواضع من التفسير وصحيح البخاري وقرأت عليه " المُحلِّي على السبكي " و " المباحث الأصلية " لابن البنَّا وموطَّأ الإمام مالك.

وله مؤلفات من جملتها " **اختصار صحيح مسلم** " و " **طُرر على حاشية الحطاب على مختصر خليل وعلى المواف** " وغير ذلك, وكان يحسن العربية والتفسير والحديث والسِّير وأسماء الرجال والفقه والتصوُّف ويشارك في الأصول والبيان وغير ذلك.

حدَّثني الأخ في الله الفقيه سيِّدي عبدالوهاب بن مُحمَّد الدَّرعاوي وكان يحضر مجلسهُ أنه رآه بعد موته في النوم فقال له

" ما فعل الله بك يا سيِّدي " ؟

فقال " له غفر لي ورحمني وأدخلني الجنَّة أنا ومن اجتمع عليَّ "

والحاصل أنِّي لم أرى مثله في زماننا رحمه الله تعالى وجمعنا معه في مستقرِّ رحمته في جواره مع النبيِّين والصدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين آمين.

وليس هذا من الخروج عن الموضوع إذ هو من جملة من انتفع بصاحب الترجمة والمراد في ذلك كلِّه على سيِّدنا أحمد بن عبدالله ﷺ.

ومن نجدة السَّيد أحمد صاحب الترجمة ما سمعنا من بعضهم أنه كان خارجاً من الزَّاوية بقصد الذهاب لداره فقال له سيِّدنا أحمد

" إن مررت على دار فلان وكانت بطريقه قل له يأتي الينا "

فمرَّ عليها فدعاه فلم يجدهُ وقيل له هو بمدينة مكناسة, فجدَّ السير من حينه الى مكناسة ولم يبت إلَّا بها وبحث حتى وجدهُ وقال لهُ

" إنَّ سيِّدنا أحمد يدعوك "

فأتى به لهُ فبقى سيِّدنا أحمد متعجباً من ذلك فاستَصحبهُ سيِّدنا أحمد للحج معه ولمَّا كانا بالحرام ذكرهُ الذهاب لمكناسة ليشير اليه أنه سبب فوزه بذلك الخير العظيم والثواب العميم.

وكان صاحب الترجمة رحمه الله يجيد نظم الشعر فمن كلامه في مدح سيِّدي الأولين والآخرين ﷺ

سلام على السَّامي على كل من سما   سلام على من أمَّ بالرسل في السَّما

سلام كعرف المسك بل منه أسمـــا   على المصطفى ما فتح الزهر فسما

وله رحمه الله

نسيم الصبا إن هبَّ هيَّج لي وجدي   وإن ذكرتُ نجدٍ صبوت الى نجدِ

وإن أقبل الرَّكب المبرح بالحما فـلا   الصبر يبقى لي ولا عبرة تجـــدي

ومن كلامه رحمه الله هذه المقصودة

هـذا الغـرام فـي فـؤادي قـد ثـوي   وجنـدهُ علــى عــوالمي احتــوى

وحــال بـين أضــلعي ســلطانه   فهدَّ من جسمي الشباب والغُوى

وقيــدت قــوائمي فــي أسـره   فمـا لهـنَّ مـن سـراح وافتـدا

وكيــف وهــو قـاهرٌ فــي حكمـه   فمَن لنا من ناصـر من الهـوى

يهـوى بنـا الــى الهـلاك تـارةً   وتــارةً قــد ينتهــي الــى الفنــا

لكنـهُ عذابـه عـذبٌ لمـن ملكـهُ   وعــــاد عبـــد يُشـــترا

ذو غبطـــة وغيبــة فــي ســكره   راضٍ بـه وعنـه غايـة الرضــى

لا يطلـــب الســـراح منــه أبــداً   ولـــيس يسـلِّيه ســـواه لواســـا

جفـــاؤهُ ودٌ وســـخطهُ رضـــىً   والكـــرُّ راحـــةٌ وغيمـــهُ صــــفا

ونايـــهُ قـــربٌ ولا ذنـــبٌ لـــه ... وذلُّـــهُ عـــزٌّ وســـقمهُ شـــفا

وموتـــهُ هـــي الحيـــاة دائمـــاً ... وجنـــة ذات النَّعـــيم والهنـــا

فمـت بـه صـبا شـهيداً راشـداً ... تحيـى بـه حـراً سـعيداً أيـا فتـى

واصـدق أخـا العـزم لـه أعنَّةً ... معينـة علـى المسـير للحمـا

ورافـق الحـادي بـه واصـغ لـه ... واحثث مطايا العزم وانهض يسرا

واطو لـه من أحلا موصولة في ... سـيرها بـين الصـباح والمسـا

واهجـر لذيذ النـوم واصـرم حبلـه ... أن كنـت للقـوم متـابع الخطـا

أنفـق عليـه الـروح والمـال ولا ... تصـحبهم وخـل خلَّـك ورا

واسـلك سباسـب السـلامة وسـل ... عـن جيـرة حلـواً مجـاز الملتقـى

وارغـب لرابـغ اغترابـك لـه ... واحـرم هنـاك كـل شـيء يُشتهى

ثـم اغتسـل مـن التـنعُّم بـه ... ثـم تجـرَّد مـن شـواغل الـدُّنا

والـبس أخـي ثـوبَي عفـاف وحيا ... وقـم الـى مـولى كـريم ترتجـى

وبـه داعـي الحـق وارع بابـه ... لعـلَّ إن تصـل مكـةَ المُنـا

وحم على حرم الاحترام كي تنزل ... بيـت الأنـس كعبـة الرضـا

وطـف طـواف مغـرم مولـه ... منشـق عـرف الربـوع المعتـلا

وإن وجـدتَّ فرجـة فلتسـتلم ... حجـر حجـرة الحبيـب إذ دنـا

واخضـع وحطَّ الـرأس فـي مقامـه ... وقـم بـذلك المقـام المقتفـا

وانـزل منـازل الكـريم والتـزم ... ملتـزم الأدب فـي بـاب الرجـا

وردُ مياه زمـزم الأكـرم من بحـار ... فضـل لـيس تفنيـه الـدُّلا

واسـع لمـا يرضـاه منـك مسـرعاً ... بـين صـفا القـرب ومـروة الصـفا

واخـرج عـن الآثـار والرسـوم فـي ... نيل مُنـى الأمـاني إن شئت المنا

فتنتهـي بجبـل الجمـع وقـف ... بعرفـات الاعتـراف للـدُّعا

مبـتهلاً وسـائلاً وراغبـاً مـع ... اعتـزاز وافتقـار والتجـا

وثـم تمَّـت المناسـك لمـن سـلك   مســـلك الرجـــال وارتقـــا

وحـــجَّ حجَّـــة الكمـــال وغـــدت   حجَّتـــهُ حجَّـــة أربـــاب الحجـــا

ثـم سـنت بـه الـى أفـق السـما   همَّتـــه وهـــام فـــي أعلـــى الـــذُّرا

وارتكـــب الجـــدَّ وحـــدَّ ســـائراً   يطلـــب فـــي مســـيره نيـــل الهُـــدا

وسبســـبا ســـما موصـــلاً الـــى   طريقـة الرشـد وقـرب المصـطفى

وقصـــده الأقصـــى الـــى إلهـــه   أن الـــى ربـــك أفضـــل المنتهـــى

فطلـب الرفيـق فـي طلبـه فلـم   يجـــد بهـــا خبيـــراً يقتفـــى

وســـار فـــي الأمصـــار ســـائراً   بهـا عـن الحنيفيـة فـي أي القرى

مـــن راهـــب لراغـــب فـــي دينـــه   وعـــاكف وراكـــع تحـــت الـــدُّجا

وقانـت وعـابر وسـاجد وخاشـع   وتـــــــــابع زي التقـــــــــي

وعـــالم وعـــارف بربـــه يـــدعوا   الـــى الله دوامـــاً فـــي العـــلا

وقـــدوة ذي جـــدوة ونجـــدة   مجـرَّد الطريـق مبـدي مـا خفـا

لـم يرضـه منهم أمام كامل سوى   ابـــن عبـــدالله أحمـــد الرضـــا

أحمـدنا المحمـود تـاج الفضـلا   حمـــدهم فعـــلاً وأســـناهم ســـنا

السَّـيد ابـن السَّـيد البحـر الـذي   ســمح بـالأنعـام فضــلاً وكفـى

الماجـد ابـن الماجـد الغيـث الـذي   أحيـا لرسـم الـدِّين بعـد مـا عفـى

القـدوة ابـن القـدوة الغـوث الـذي   حـــام الطريقـــة وعلَّـــم الهـــوا

الكامـــل ابـــن الكامـــل الطَّـــود   الـذي رسـخ فـي علـم اليقين وعـلا

العـارف ابـن العـارف الحبـر الـذي   أعجـــز بـــالتغيير أعـــلام الـــورى

القمـــر المنيـــر والنـــور الـــذي   جـلا عـن القلـوب غيمـاً فـانجلى

شـمس الأنـام للعيـان قـد بـدا   وقـد غـدا بنـوره العصـر ضـحى

مـا طلعـت غرَّتـه الحسـنى علـى   أحـــد إلَّا طـــاب وقتـــاً وســـلا

ولا تكلَّـم علـى القـوم كمـا أمـر   إلَّا قـــادهم الـــى الهـــدى

ولا مشـى بـأرض أو حـلَّ بها — إلَّا زهت واعبقت طيب الشذى
واعشـبت وأخصـبت وأورقـت — أشـجارها وأثمـرت تمـراً حـلا
كـالمطر الوابل في القطر إذا — قطـر لـيس بعـده إلَّا الكـلا
هـو الإمـام ابن الإمـام المجتبى — ابـن الكـرام الماجـدين الفضلا
مـن عنصـر الصـلاح أماً وأباً — وفـي صـلاح الـدين والخيـر ربا
مــن آل عبـدالله خيـر جيـرة — مـن أوسط العـرب الكـرام النجبا
روحــي فــداه وأمِّــي وأبــي — ومَـن الــى ينتمــي أو انتمــا
لا زلــت فــي جــواره وحــوزه — وتحـت ضـلِّ الضـليل فـي هنا
وأرجــوا أن أكــون فــي حرمتــه — واجتنـي مـن الرضـا حلـو الجنا
نظمـــت فـــي مديحـــه لَآلأً — بـدا لـذاك الجيـد جيـد البهـا
مقصـودة فـي بحرهـا مقصـودة — عليـه لا مقصـورة عـن الثنـا
لـو رامهـا الطيـب مـا طابـت لـه — ولا ابن طيبٍ طوت عنـه الخطا
قـد عجـز الـورى وكـل الشـعر — أن يَصِفوا بعض الذي منه يُرى
اليه مني ألف وقـــر موقـــرا — من السلام مالـه مـن انتهـــا

وقال فيه أيضاً

يـا سـيِّدي أشـرفت بـه الأذكـار — وجــرت لحلــو مديحــه الأفكــار
يـــا درة يُتمـت وعـزَّ تطهيرهـا — ضـاءت بـك الأعصـار والأمصـار
وتشعشعت بجماله شمس الهدى — وتجمَّلـــت ببهائـــه الأقمـــار
وتعطَّـرت أرض الحما وتعنبرت — وتأرجـــت عرفـــاً لــــه معطــار
وتقطـرت تلـك البطـاح بوبلـه — وتفجَّـرت مــن مـــاءه الأنهـار
وتزخرفـت وتزيَّنـت وتبهَّجـت — وتفتَّقـت مـن حسـنه الأزهـار
وتفرَّعـت دوح الأراك وغصـنها — وتمايلـت طربـاً بـــه الأشـجار

وتناشدت فوق الغصون وجاوبت ... وترنمـــت بحديثـــه الأطيـــار
وتفـــاخرت بحلولـــه أقطارنـــا ... وبمثلـــه تتفـــاخر الأقطـــار
وبنوره يُهدى الـى سبيل الهدى ... وبضـــوءه تتكـــاثر الأنـــوار
الله أكبـر مـا عـلاه مـن البهـا ... وكســاه بـين العــالمين وقــار
فلبـدره تعنـوا المعـالي بأسـرها ... ولقـــدره تتصـــاغر الأقـــدار
وبجـوده تُكسـى الأجـاود كلهـا ... ولجـــدِّه تتســـابق الطيـــار
حبر تجري فـي الحقيقة سابحاً ... فـي بحرهـا الطَّـامي لـه تيَّـار
وتجللـت حلـل الشـريعة ذاتـه ... وأجلَّـــهُ مـــن أجلهـــا الاكبـــار
والسـنَّةُ الغـرَّاء تشـيد حصـنها ... مـن بعـد مـا انـدثرت لهـا الآثار
وبـدا لخلـق الله أعظـم حجَّـة ... فكأنـــه عَلَـــم عـــلاه منـــارُ
أوَ ما ترى للشمس عند طلوعها ... ضــوء يــراه مــن لــه الأبصــار
وكــذاك آيــات الهمــام أمامنــا ... ملئـت بهـا الأسـماع والأبصـار
أعنـي ابـن عبدالله ذاك غـوث ... الأنـــام وقطبهـــا الـــدَّوار
فاخضـع بعـز جنابـه متـذللاً ... لا تشـغلنَّك يـا فتـى الأعـذار
واصـدع بـذكر جمالـه وكمالـه ... فبـــذكره تتـــذاكر الأخيـــار
وبهـــاؤهُ وســـناؤهُ وثنـــاؤهُ ... شـاعت بـه فـي العـالم الأخبـار
وبـديره خمـر المحبَّـة أشـربت ... وتوليـــت بشـــرائط الأخيـــار
وتخمَّـرت وتعمـرَّت وتبخـترت ... وتنـــوَّرت بشـــعائها الأبـــرار
وتحرَّكـــت وتهتَّكـــت وتفتَّكـــت ... وترقَّعـــت عـــنهم بهـــا الأســـتار
فاسـمح بروحـك بمالـك عنـده ... واختـــر حمـــاه فمثلـــه يختـــار
وإذا وصلت أمامه قل منشـــــدا ... يا سيِّدياً شرفت به الأذكـــــــار

وقال فيه أيضاً ﷺ مروياً بأصل طريقته من سيِّدي يوسف الفاسي

أنظر ترى شمس المعارف أشرقت ... بجبينه الأسنى العلي الأشرف
كـل المشـايخ ألبسـوا حُلـل البهـا ... لكن سماهم بالجمال اليوسفي
ألجأ لجانـب حصـنه متمنعاً مـن ... كـل مـا تخشـى مـن الآفـات
تحظى بعزٍ لا ينــال مرامـــه ... بحمى ابن عبدالله ذي الخيرات

وقال يوم فتحت الزاوية بعرس لها

هلمُّوا الـى خيـر لـه الخيـر خـادم ... وعــزٍ هنــيٍّ والحمــد لله دائـم
بزاوية الاحسان والسير والوفـــا ... وفي بحرها الطامي تصادم العنا

وقال يوم ختم البخاري بزاوية سيِّدنا أحمد بالمخفية

لله مــن يــوم عظــيم الجــاه جمــع ... المحاســـن والجمـــال أنبـــأه
خُـتم البخـاري عنـد عـارف عصـرنا ... فـي شـهر مولـد خيـر الخلـق الله
تبدا هـلال البحـر مـن داخـل السـتر ... وبــان هــلال الأفــق فــي أوَّل
فضاءت قلوب العاشقين بحسنه كمـا ... ضاء وجه الأرض من طلعة البدر

وقال فيه

عـج بالحمـا حـول الـديار تراهـا ... وامــلأ جفونــك باكتحــال تراهــا
وسـل الركائـب هـل لسـلمى مرتـع ... بمرابــع تزهــوا بنــور رباهــا
واســلك ســبيل مســيرها متســارعاً ... فعســاك أن تسـلوا بليـل سـراها
حضـرية لـو فاجأتهـا بحسـنها لـم ... تــدر مــا يمنــاك مــن يســراها
تسـبي العقـول بنظـرة مـن لحظهـا ... وتبــيح لــلأرواح ســفك دمائهــا
وتــرى جميــع العاشــقين بــديرها ... صــرعى لخمــرةٍ حبهــا وهواهــا
قـد أذهلـت كـل المـلاح وأدهشـت ... فتيمَّمـــوا لمَّـــا بـــدا مغناهــا
بجمالهـا ملكـت سـلاطين الـورى ... وغـــدوا لعـــز جنابهـــا أســراها

حلفت بعزَّتها وشامخ قدره — لا ارسلت ماء اسرت يمناها
فاخضع لها متذللاً متملقاً — مترصداً ما يقتضيه مناها
وأقم ولازم بابها متأدباً فلعلَّ — أن تحظى بنيل رضاها
أعظم به من عارف قد كملت — فيه المحاسن قط لا تتناها
ظهرت براهنه ولاح ضياؤها — أي الخلائق لا يكاد يراها
ضوء سما بلغ السَّما نور — نما ياقوتة الأسرار عمَّ سناها
نجم اهتداء بدر بدا شموس الهدى — طلعت ونار على البطاح ضياها
أصل حلا فرع علا اس العلا — حتى انجلى فوق الغصون وتاها
كهف السيادة والعناية دائماً — ما دامت الدنيا الى أخراها
جمع الفضائل والمحاسن جملة — كل الخصال ببحره مرساها
كم آية منها بظاهره انجلت من — بعدما سُترت وطال خفاها
لبس الشريعة وارتوى بجريدها — متحلياً منها بخير حلَّاتها
متحققاً بحقيقة متمكناً — مستوثقاً منها بكل عراها
قطع العلائق والعوائق كلها — وأقام بالتأييد سنة طه
لا يختشي في الله لائم — والصدق شيمته ولا يتباها
مُتأنساً بإلهه وبذكره — مستوحشاً من نفسه وسواها
ومهابة الذكر القوي بقلبه — ولسانه يبحان من أولاها
ما فاجأ الشيطان فجٍّ طريقه — إلَّا وفرَّ لغيره ولولاها
هو من أناس لا يخيب جليسهم — وإذا رأيتهم ذكرت الله
قوم كرامٌ عارفون بربهم — همٌ لهم لله ما أسماها
أخذوا الطريقة كابراً عن كابر — ورثوا من الرُّتب العلا أعلاها
فهم الملوك على الحقيقة في الثرى — وهم حماة الدين في دنياها
هو قطب دائرة الفحول وفردهم — فسما بجاهه أنه أوفاها

سلطان أهل الوقت حامل تاجهم — فالكل قد نشرت عليه لواها
وبه اقتدت منقادة وتواضعت — لجلاله وجماله وكفاها
طابت به وبعرفه أرض الهدى — وتفتقت طيباً ونم شذاها
جمر مهاب حازم متورع — شيم له جلَّ الذي أبواها
سهل سميح باسم غض حيي — قد حاز من رتب الكمال ذراها
وسيادة الحسن أقتفى آثارها — في تركه عز العباد لجاها
ولذاك أصلح ذات بين خافضاً — بجناحه بتواضع وأتاها
يلقى العظائم لو تفاقم أمرها — وكذا المخاوف دائما يلقاها
هو الإمام الكامل البحر الذي — هطلت سحائبه وعمَّ رواها
قد قال يوماً في عناية فيضه — ناهيك من قول به قد فاها
أني شربت البحر هل من شارب — لصفائه من سؤرنا يقواها
فانظر لذات حلَّ ذا بصيرة — فتبارك الرَّحمن ما أقواها
لا يدَّعي قولاً ولا فعلاً له — لا يشهد الفعَّال إلَّا الله
أكرم به من سيِّدي في عصرنا — مَدَّت له لَسنُ الورى بثناها
وكذا قواف قريضها منقادة — وشمائل في النظم ما أحلاها
طرزت به حلل الدفاتر زانها — رقم الفضائل والبهاء كساها
شرفت به وتفاخرت بمديحه — وتطاولت وترافعت بعلاها
فالله يجمعنا به بمحافل — قد طاب من نفحاته مثواها
وعليه خير تحية من ربنا — ورضاؤه متتابعاً يغشاها
ويتيحنا منه رضى وكرامة — نرجوا لدى يوم اللِّقا بشراها
ما حنَّ للأوطان صبٌّ قائلاً — بالحما حول الديار تراها

وله رحمه الله مستفتحاً كل بيت بحرف من قوله سيِّدي أحمد بن عبدالله ﷺ وأرضاه

سلب الصبر مغرم يهواك	لم يزل طول عمره يهواكا
يا مليحاً بدا بكل مليح	كيف يقنع مؤنس بسواكا
دونك الكل قد تقاصر عن أن	يرتقي للذي دنا من علاكا
يا لذيذ الوصال حبك قرب	يا حميد الخصال ما أغلاكا
إنما قمت للصلاح أميراً	كلهم قائمون تحت لواكا
حول حُبِّك طائفون هياماً	قاطنون بربع ظل حِماكا
ما لهم ملجأ ولا من براح	لا ولا لهم لديك انفكاكا
ذخرهم عزهم دليل هداهم	يا هلال الكمال ما أضواكا
إن بدت منك في سماء المعالي	طلعة سجدوا لحسن سناكا
بالملاحة واليها أنت تسبي	لرجال قد شاهدوا معناكا
نظرة منك بالمودَّة تعني كم	لها من ملاحظ يرجاكا
عامل القوم بالسماح وبالفضل	لعمري لأنت أهل لذاكا
بركم ومروركم في البرايا ليس	يخفى على بصير هناكا
دأبكم رحمة وود وعفو	ونوال لمن يؤم حذاكا
أنت أعطف من أبيهم عليهم	كلهم يرتجي النَّدا من يداكا
لك في الخلق بهجة وجمال	لا يضاهي فجلَّ من أعطاكا
لا يرام لك التحاف كذا بوجه	كيف يدرك من هنا سماكا
هكذا الجاه والملاحة حقاً	إنما الشرف الحقيقي ذاكا
ربنا خصَّكم بسرٍّ وعلمٍ	ولإرشاد خلقه أبداكا
ضابط أنت أمرهم ومُربِّ	كلُّهم يطلبون عين رضاكا

يأنســـون بعـــرف ربعـــك دأبـــاً سـيما أن بـد لهـم مـن شـذاكا
أملـوا منـك كـل خيـر وجـود ولحـــاظ أبصـــارهم ترعاكـــا
لهـم بكـم غـرام وأنـس وهـم العـــاكفون فـــي مغنـــاك
لا تؤاخـذ مقصـر القصـد مـنهم ثـــم عـــاملهم علـــى مولاكـــا
هـو والله مقصـد الكـل فـيكم ولأجلـــه جمهـــم قـــد أتاكـــا
عمَّنـــا الله معهـــم برضـــاكا وأفـــاد جميعنـــا لهـــداكا
نـذر الشـيب فـي وحـال عـذاري مـا اعتـذاري يـا عمـدتي لولاكـا
هـا أنـا واقـفٌ ببابـك أرجـوا توبـــة أتَّقـــي بهـــا الاشـــراكا
والـذي سـيِّدي اعتمدتـه ذخـري أننـــي واثـــق بحبـــل عراكـــا
أرحـم ارحـم لـذلتي وخضـوعي ودمـــوعي منهلـــةٌ بثراكـــا
ربِّ واجعـل تـوجُّهي وانحياشـي للـذي فيـه يـا ألهـي رضـاك
ضاق صدري وضاق ضري فامح من قليبي العليل ذاك وذاك و ذاك
أنـــا مستشـــفع بخيـــر نبـــي وصـــحابته وأهـــل هـــداك
هب بهم زللي وفكَّ وثاقـــــي من جميع الذنوب يوم لقاكـــا

وقوله من يراك ارتكب فيه لغة التزام الألف في المثنى كل الأحوال وله

ضـياء البـدر قـد زاد اتضـاحاً ولا يخشـى بسـطوته افتضـاحا
وشـمس نهـاره أبـدت شـعاها وأشرق نورها فـي الأفـق لاحا
ووجـه الأرض مخضـراً تراها ربـت خصـباً وزادتهـم فسـاحا
بـأنوار نشـرت علـى رباهـا تـرى فيهـا البنفسـج والَّا فاحا
على نهر به ماء معين ودوح الـروض قـد كسـيت لقاحـا
أزاهره البهية مشرفات تضوع ريحهـــا طيبـــاً وفاحـــا
واطيار تميس على غصـون وقـد رقصـت هيامـاً وانشـراحا

إذا القمــريُّ رنَّ بهــا وغنَّــا   تواجـد كـلُّ مـن فيهـا وصـاحا

ولكـن بـابن عبـدالله هـاموا   وقـاموا فـي مـآثره امتـداحا

إمـام فـي الـورى طـودٌ مكين   وقـد لـبس الخلافـة والسـما

ولـيٌّ كامـلٌ شـيخ مـربٍّ لمن   يرجــوا الهدايــة والنجاحــا

بــه أحيـا الإلـه لنـا أمـوراً   ينـال بفعلهـا البحـر الصـراحا

سمعنا بها مضت عند الموالي   ونحـن اليـوم بلحظهـا صـحاحا

فـلازم ثـم لازم ثـم لازم لـدير   القــوم إن شــئت الفلاحــا

فـذو حـزم أتـاه بكـل عـزم   وحـط الرحـل عنـده واسـتراحا

ألا يــا آل أحمـد إنـي عبـدٌ   لعبــدكم ألا عمُّــوا صــباحا

أسير ودادكـم ملقـى علـيكم   فجــودكم لبــابكم أباحــا

وكيـف أطيـق بـالطيران عـنكم   ومـيض نـداكم بـل الجناحـا

مقــيم فــي جــواركم وراجٍ   بفضــلكم التقــرُّب والصــلاحا

هنيئاً يا أهيل الحي فيكـــم   ضياء الدين قد زاد اتضاحـــا

وله رحمه الله في مدح كتاب الشفا للقاضي عياض

إن الشفا لقارئـه ريـاض وأجـاد   فــي التطريــز فيــه عيــاض

فاجعله وَرِما في زمانك كلـــه   فهو الشفا لقلبنا الممــــــراض

فرفع الممراض خبر لمحذوف على قاعدة النعت المقطوع وله رحمه الله

ففي أولياء الله للناس رحمةً   وحرز حصين مانع بأمــان

ولا سيما من كان منه تصرف   يصان به أقليم كل زمــان

وقال لمَّا انفصل من حجِّه مع سيِّدنا أحمد

هنيئـاً لنـا فزنـا بحـجِّ وعمـرةٍ وحزنا جميع الخير في ظل أحمد
وزرنا ضريح الهاشمي مُحمَّد فيا فوز من أضحى نزيل مُحمَّـد

وله رحمه الله يخاطب الإمام أبا علي سيِّدنا الحست بن مسعود اليوسي يستعيرُ منه كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكِّي

أحبر العالمين أتيتُ قصداً لبابك أمكَّنَ من نصيب
وها قلبي بجوع الجهل يفنى وعندك سيِّدي قوت القلوب

فوهب له في الحين بتأوله لمَّا زار شيخ المغرب سيِّدي أبا النور أبا يعزى محبة الإمام اليوسي

أبا يعزى ويا مجل الرجال لقـد حطَّـت ببـابكم رحـال
أتيتـك يـا ولـي الله قصـد التنظر في جميع أمور حال
فببـاكم قـد تفـتح للعطايـا وأمَّتـهُ رجـال فـي رجـال
كانت المنهل العذب الذي من روا منه كفاهُ عن سؤال
فهم يغدون من فقر خماصاً ويرجـع كلهـم بالسبب سـال
فضائلك الجلية كيف تخفى وقـد حفَّـت بـدائرة الكمـال
توسَّـلنا بخيـر الخلـق طـراً ومـن أولاه مـن صـحب وآل
أنل وفداً أتاكم كل خير مع الحسن بـن مسعود الهـلال
أتيتك حاجة بالفور تقضـى فزودنـي بهـا عنـد ارتحـال
فما بعد الثلاث من رجـــوع وموعدنا غداً مولى المـــوالِ

والمراد بالحسن الشَّيخ اليوسي السَّابق ونعتهُ بالهلال لسمُّوهِ وانتظار من لاح ببلده له كالهلال, والحاجة أراد بها الحج, والثلاث أي الزيارات وقد انجز الله مطلوبه بحجِّ من عامه ذاك وكم لأبي يعزى ﷺ من مثلها, وقال في سيِّدنا أبي يعزى الفقيه الفاضل أبو مروان عبد المالك التجموعتي

عبدالله في الدنيا اللآلي	أبو الأنوار لؤلؤها الثمين
أنخ بجنابه واحكم عليه	بما أملته وأنا الضميـــن

ولصاحب الترجمة مخاطباً سيِّدي مُحمَّد البكري شيخ السَّادة البكرية في الدار المصرية ورام الدخول له فوجد على بابه حجبة من الأعلاج

أيا شمس مصر في سما البحر	ترقب ببُرج تسامى لا يدانيه كوكب
فكيف وصولي عندكم واقامتكم	سحائب أعلاج تزود وتحجـب

وله فيه أيضاً رحمه الله

فلله در اليوم بالأنيس والصفا	أرق واصفا من زلال على الصفا
وطلعة أقمار بدت وتبسَّمـت	وجاء بها درةُ السرور والصفا

وله فيه ويذكر بعض مآثر الصدِّيق ﷺ

ألا عج بنا حادي الركاب الى مصر	وعـرِّج علـى ربـع الجهابـذة الغـرِّ
صدور مجالس العموم أئمةً بدور	سـما الجـود والمجـد والفخـر
بنـو السَّيد الصـديق أول مـن صبـا	وطرق بالمختار والوحي والذكـــر
وصاحبه في الغار والهجرة التي بها	سـعِد واعتنـى أتـى الله بالعصـر
وقدَّمـه فـي حجِّـه وصـلاته وقـام	بـأمر الله فـي مبتـدأ الأمـر
ومـن عمـر الفـاروق مـن حسـناته	ومـن أنقذ الأعـراب مـن ردة الكفر
فمـا طيعت شـمس علـى أحـد يُـرى	بأفضل بعد المصطفى من أبي بكر
وقال البسي عنها خذوا شطر دينكم	وحجرتها مـأوى الرسول الـى الحشر
لقـد حـزتم أعـلا المنـازل رتبـة	وفـزتم بمـا ألأقـي للجدِّ فـي الصَّدر
مواهـب أسرار تضـوع ريحهـا مـن	المصـطفى الهـادي لباطنـه تسـري

بهـا زدتـم علمـاً وحلمـاً وسـؤدداً ... وما زال مرقاكم الـى غالـب الـدهري
عطـاؤكم يـروي الأحاديـث عـنكم ... وفضلكم يروي على الفضل ما يُقري
وجـودكم بالجـد والجـد أصـله فيـا ... فوز من يثني ويا فوز من يطري
ولم أرى من عيد يحل بجنابكم سوى ... قـربكم بيـدي مـن الجهـل والفقـر
علـيكم سـلام لا يـزال يـزوركم تفتَّـق ... منــه الــروض بــالورد والزهــر
مُحمَّــد البكــري شــمس زمانــه ... وياقوتــة العقــد المــنظم بالــدُّر
عروسـة بكـر أنشـدت فـي مـديحكم ... مقنَّعــة بكــراً تُــزف الــى بكــر
من القادري المغربي محبكم قصيـر ... خطىً نظم الطويل من الشعـــــــر

وله رسالة نظم فيها مدح طيبة المشرَّفة على ساكنها أفضل الصَّلاة والسَّلام ويسأل بعض القاطنين بها الدُّعاء وأن يذكره فيها

فضــلك فاقصــد بالــدعاء وبالــذكر ... عبيـداً نئـا همـي يمـرُّ علـى الفكـر
أيـا مـن سـما قـدراً وعـزَّ مكانـةً ... بقلبـي ومـن أجـرى محاسـنه دهـري
أبـو الطيـب الطيبي المطيـب عرفـه ... ومـن طيبـة جـاءت نُسـيمتهُ تسـري
تفـوح بـه بـراً وبحـراً وبلـدةً وحيـثُ ... ســرى أو حـــلَّ يـــنفخ بالنشـــر
أتانـــا وحيَّانـــا وأحيـــا قلوبنـــا ... وفجـــر نهـــراً مـــن ذخـــائره يجـــري
حـديثاً وأثـاراً غـزاراً وحكمـة وعلمـاء ... وأدبـــاً مـــن الـــنظم والنشـــر
فكادت قلـوب الحاضـرين تطيـر مـن ... أحاديثـه عـن مـا هنـاك مـن الخيـر
وقـد أبصـرت عينـاي منـه شـمائلاً ... تُـري أنــه مـن آل طيبـة بــالفور
فـورث شـوقاً للحمـا ومحبـةً بحالتـه ... والقـــول والوصـــف والـــذكر
بهـــيٌّ وفـــيٌّ ذو حيـــاء مهـــذب ... لـه خلـق فـي الخلـق تجمـل بـالحر
ذكـــيٌّ لبيـــبٌ ذو ســـماع وكيـــف لا ... وهـو مـن الأرض المُعنبَّـرة العطـر
وقـــال رســـول الله فـــي أهـــل طيبـــة ... لطيبهـــا يبقـــى وينصـــع كـــالتبر

فلله أرض ما أجلَّ بقاعها ... وحصباؤها الشمل أعز من الدُّر
وأطيب من طيب الأطايب تربها ... فبسمته من كل ضرٍّ وذا تبري
وتعبق في الأقطار شرقاً وغرباً ... الى منتهى المعمور والبحر والبر
تفوق بلاد الله تزهوا بحسنها كما ... قد زهى بدر على الأنجم الزهر
منورة الأحياء من كل جانب كشمس ... الضحى صحو الداء مستوي الظهر
بها ظهر الايمان والدِّين جملة ... ومنه سرا في الأرض في ايما قطر
ولكنه يأوي اليها ملازماً ... كسا حبة تأوي وتسرع الى الجمر
كذا وردت أخباره عن نبينا فمن ... حلَّها قد حلَّ في خير ما وكر
لعمري فما يختارها أحد على جميع ... بقاع الأرض في العسر واليسر
تخيَّرها المولى لأفضل مرسل ... فروضته فيها المعظمة الخطر
ومدفنه فيها وثم ثواؤه ... ومسجده المعمور بالعلم والبرِّ
ومنبره الأعلى على الحوض قائماً ... وبينهما روض من الخلد بالزهر
وكم جاءها جبريل من عرش ربنا ... وحفت بها الأملاك للحفظ والنصر
وفيها من الآل الكرام لآلئ وأرواحاً ... وأزواجه فيها بأصحابه الغرُّ
وفيه البقيع الممتلئ بأئمة ... من المؤمنين السابقين على الغير
وفيها قبا والمسجد الأول الذي بنوه ... على التقوى كما جاء في الذكر
فآثارها لا تنتهي لو عددتها وأخبارها ... في الفضل جلت عن الحصر
بساكنها المبعوث في الأرض والسما ... وفي الملأ الأعلى فناهيك من حدد
حباه الكريم العز والقرب بعد ما ... تخيَّر في الكون من أوَّل الأمر
ورفعه فوق النبيين كلهم ... وأدناه من حجب المصافات والسرِّ
فمَن مثل تاج المرسلين مُحمَّد علوَّاً ... وجاهاً بالغاً منتهى الفخر
عطاء جزيل من مواهب ربنا ... فنعمته ليست تقاوم بالشكر
عليه صلاة الله ما هبَّت الصبا ... ومن جن ليل وانمحى بضياء الفجر

وما حنَّ مشتاقٌ لرؤية ربعه وما ... سارت الركبان في السهل والوعر

وأزكى سلام عند كل مسطَّر وما ... سال في الدنيا من السيل والقطر

وعدد رمال الأرض والغيث والحصا ... وعدَّ رياش الطير والحوت في البحر

فهند اسلامي نياخي ببلاغه إذا ... نظرت عيناك للكوكب الدُّرِ

الى المصطفى سر الوجود وقل له ... عبيدك يشكوا ما يلاق من الوزر

ويسأل أن تمحى خطاياه كلها ... ويختم بالحسنى له آخر العمر

ويطلب منه اليوم اصلاح حاله ... وفي غده نيل الشفاعة في الحشر

وأرجوه في سكنى المدينة دائماً ... بحركته كيما يكون بها قبري

وسلِّم على الشَّيخين وابن نبينا ... وحمزة والعبَّاس بعد أبي عمرو

وسلم على الزهرا البتول وابنها ... ومن بالبقيع من قرابتها الغر

وسلم على الأزواج والصحب كلهم ... مع الشهداء والتابعين على الأثر

وسلم على الأحياء بعصرك جملة ... ومن حام أو صلَّى ويذكر أو يقري

وإخوانكم والقاطنين بقربكم ... وكل الأحبا للجميع بلا نكري

من القادري وابنيه أحمد حبكم ... قصير خطا نظم الطويل من الشعر

وله رحمه الله في مدح ولد عمِّه الإمام عبدالسلام القادري صاحب الترجمة المتقدمة فيما كتبه على تأليف له سمَّاه " **مطلع الأشراف في نسب الشرفاء القادمين من العراق** "

لله در فارساً وملاق ... يا عالم الشرفا على الاطلاق

فلم بكفك قد يطول على القنا ... إن هزَّ يهزم صوله السباق

نظماً وتصنيفاً ونثراً مونقاً ... يسبي عقول جهابذ الحرَّاق

ولقد سللت من البلاغة صارماً ... بين الملا ونصرت كل عراق

أطلعت من افق السيادة كوكبا ... ضادت لوامعه على الآفاق

ونظمـت مـن حسـن الجـواهر مـا | صفا كالعقد نيط بأحسن الأطواق
وكأنـه روض تنـوع زهره ما بـين | دوح يـــــــــــانع الأوراق
فتحــت مباســمه ولاح ضـــياؤها | فلـذلك يرعـى مطلــع الاشــراق
فجماله الباهي لكم وكماله أشهى | وانفــــع مــــن دواء الــــرَّاق
لو سامه أحد لجاور ملـــــــــك | ملك شام بل ملك عـــــــــراق

ولـه رحمـه الله فـي وفـاة الشريفين الماجدين الفاضلين أبـي العـلا مولاي ادريس بن علي بن ادريس العمراني الجوطي الحسني وأبي عبدالله مولاي مُحمَّد المدعو حم طاهر الصقلي الحسيني بالياء رحمه الله, وقد ماتا في يوم واحد عام خمسة ومائة وألف

قــل للمحـــب لآل المصـــطفى لا | ترتكـب حزنـا علـى مـن يفقـد
بعـــد الصـــدور المعتلـــين أهلـــة | بســـما الســـيادة دائمـــاً تتوقـــد
أخبرت عن وقت ارتحال أبي العلا | ادريـس فـي دار النعـيم يعيِّـد
وسليل سلسلة النضـار مُحمَّد من | أطهـــر الأعـــراق ذاك السَّـــيد
مـن عتـرة السـبطين مـن أجلاهمـا | نسـبا وعـزا فـي الأنـام مخلَّـد
فكلاهما قد حلَّ روضة رحمـــــــة | وبمولد المختار رجاء الموعـــد

وقوله ادريس في دار النعيم يعيد هو رمز وفاتهما واعتبر لام التعريف.

ولـه رحمـه الله في تاريخ فتح طنجة

بنى مسجد الثغر المصون بطنجة | خليفة مولانا الإمام أبو النضر
جلاهم بجيش الرعب عنها فأصبحت | كنائسهم مأوى القراءة والذكر

ورمز بقوله جلاهم بجيش الى تاريخ فتحها وهو عام أربعة وثمانين وألف وطلب من صاحب الترجمة بعض الأشراف أن يبين له كيف يستمر القمر من نور الشمس فقال ارتجالاً

أيا بردة آل البيت خرت مفاخراً تقاصر عنها الأكثرون من الجنس
فنورك من نور النبوة مشرق ولا شك أن البدر فرع عن الشمس

وله في رجل اسمه عقرب من خاصة الإمام مولانا الرشيد بن الشريف ملك المغرب

لئن قربوا من السلطان قوم لأنت اليه في الأقبال أقرب
لقد فازوا وحازوا كل حسن ولكن حامي ذاك الحسن عقرب

وفي قوله قربوا لغة أزد شنوءة إذ لم يجرد الفعل أو يخرج على ابدال قوم من الضمير كما هو أحد الاحتمالات في شواهده.

وله رحمه الله مشاهد مع صالحي زمانه وعلمائهم ومذاكرات مع وجوه الناس, وكان شديد المحبَّة لسيِّدنا أحمد بن عبدالله يعلم ذلك من الوقوف على كتابه الذي ألَّفه في رحلته معه للحج, وكان سيّدنا أحمد بن عبدالله يعلم ذلك منه ويعتني به كثيراً.

حدَّثني ولد صاحب الترجمة أبو عبدالله مُحمَّد ان سيِّدنا أحمد لمَّا حضرته الوفاة كان لا يدخل عليه أحد واجتمع خلق كثير من الناس ببابه وفيه قائد المدينة الرئيس عبدالله الرويسي وكثير من صالحي الوقت وعلمائهم وتجَّارهم وخاصَّتهم وعامَّتهم, وأمر سيِّدنا أحمد بإغلاق الباب عليه ولا يدخل عليه أحد فدخل صاحب الترجمة داره, وبينما هو جالس بها إذ جاء بعض أولاد سيّدي أحمد وضرب عليه الباب وقال له أن سيّدنا أحمد

يدعوك فمضى معه ودخل عليه البيت فوجد معه رجلين أو ثلاثة من خاصته أحدهم سيِّدي أبو بكر الدلائي فقال سيِّدنا أحمد بن عبدالله

" يا مولاي أحمد فقال العهد التي بيننا وكل ما تفعل من طاعة بعدي فنحن فيه شركاء "

فقال صاحب الترجمة

" نعم يا سيِّدي "

وأوكَّد عليه في ذلك وشبك سيِّدنا أحمد بن عبدالله يدهُ مع يده وجعلا معاً يذكران الله تعالى في السبحة فيظن صاحب الترجمة أن يد سيِّدنا أحمد تراخت فيريد سل يدهُ فيحس سيِّدنا أحمد بن عبدالله فيشدُّ يدهُ على يدهِ فعل ذلك مراراً, ثم فشلت يدُ سيِّدنا أحمد بعد السبحة ثلاثة آلاف مرَّة فخرجت روح سيِّدنا أحمد وقضى والدَّوام لله.

وعاش بعده صاحب الترجمة ما يزيد على اثني عشرة سنة فكانت وفاته يوم الأثنين تاسع عشر جمادي الأولى عام ثلاثة وثلاثين ومائة وألف رحمهما الله وأنالنا من بركاتهما آمين.

وخلَّف صاحب الترجمة ولدين

أحدهما. أبو مُحمَّد عبدالله درج عقبهُ.

وثانيهما أبو عبدالله الناسك الخير مُحمَّد, وكان لصاحب الترجمة أخ أسمه علي و دُعي علالاً وكان اخبارياً وجيهاً حاذقاً نبيهاً ترك عن أولاد ولم يبق به عقب إلَّا من واحد منهم وهو أبو عبدالله مُحمَّد وهو أصغر بنيه.

وكان متنسِّكاً يتنسَّب للصَّلاح مِن طريق سيِّدي مُحمَّد وابنه مولاي التهامي أبني الولي الشهير عبدالله بن ابراهيم الشريف اليملجي دفين وزَّان, فخلَّف أبو عبدالله مُحمَّد الأصغر المذكور ثلاثة أولاد.

أولُّهم أبو عبدالله مُحمَّد المدعو الخيَّاط وله الآن من الولد عبدالسلام وهو في سنِّ الشباب.

وثانيهم أبو مُحمَّد هاشم وله من الولد الآن الحفيد.

وثالثهم الشاب ادريس وهو قريب عهد الزفاف الآن, وليس لنا مِن الأقارب سوى مَن ذُكر هنا ومَن ذُكر في ترجمتي سيِّدنا الجدِّ وأخيه المتقدمَين فهم مُنحصرون فيمن ذُكر لا غير وقد تحقَّقنا ذلك والحمد لله في جميع المُدَّة التي لأسلافنا بهذه الحضرة الفاسية الادريسيَّة وذلك نحو ثلاثمائة سنة مِن آخر المائة التاسعة الى الآن.

وقد قام سيِّدنا الجد رحمه الله بوظيف ذلك في تأليفه " **العرف العطر**" و" **الدُّر السَّني** " وغيرهما مع ما سمعناه من آباءنا وأعمامنا وعاينَّاه متكرراً في رسوم الأنكحة والأثرية والتركات وظواهر الملوك وغيرها وبل سمعنا ممَّن ينتسب لهذا الجناب القادري في المغرب إلَّا رجلان أحدهما بتاصروت والآخر بسوس وذلك في حدود تسعين وألف وقد بيَّن حقيقة أمرهما في "**العرف الطاهر** " وانه لم يحصل على موجب قبول ولا رد ولا ممَّن ينتسب لفرعنا أو غيره, والنفس الى التوقف فيهما أميل وصرَّح بأنه لا يعلم نحن ولا غيرنا أحداً من أهل هذا النسب القادري مِن أهل فرعنا ولا مِن غيره قاطناً بفاس إلَّا شعبتنا قال ولا في المغرب إلَّا الرَّجُلين المذكورين, وموجب التوقف هو أن الخطر في هذا الباب عظيم فالواجب هو ابقاء ما كان على ما كان فإنَّ الشَّرف على مراتب وهي قوم مشهورون في بلادهم من أول الأمر الى الآن كمن بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام, وقوم انتقلوا وانتقلت شهرتهم معهم ثم اشتهروا بعد ذلك, فكل هؤلاء مقبولون من غير شيء آخر لكنهم على هذا الترتيب في التقديم, وقوم لا شهرة لهم فلا يقبلون إلَّا

بموجب, ومحل كون الناس مُصدَّقين على أنسابهم قيدهُ بعضهم بغير النسب النبوي ويوجه بأنه تنبني عليه حقوق مالية.

والحاصل أن مراتب النسب كمراتب الحديث بجامع النقل بينهما يتصوَّر فيه المتواتر والمشهور والعزيز والصحيح والغريب والحَسن والضعيف, وفي الحديث ألقاب أخر لا يتعلَّق شيء منها بالنسب والخطر عظيم دخولاً وخروجاً ففي المتفق عليه الستة وغيرهم من انتسب الى غير أبيه أو انتما الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ولا يَقبل الله منه حرفاً ولا عدلاً.

وفي لفظه

" مَن ادَّعى الى غير أبيه وهو يعلم فالجنَّة عليه حرام "

رواهُ سعد بن أبي وقاص ﷺ.

وعن أبي هُريرة ﷺ

" لا ترغبوا عن آباءكم فمَن رغِب عن أبيه فهو كفر".

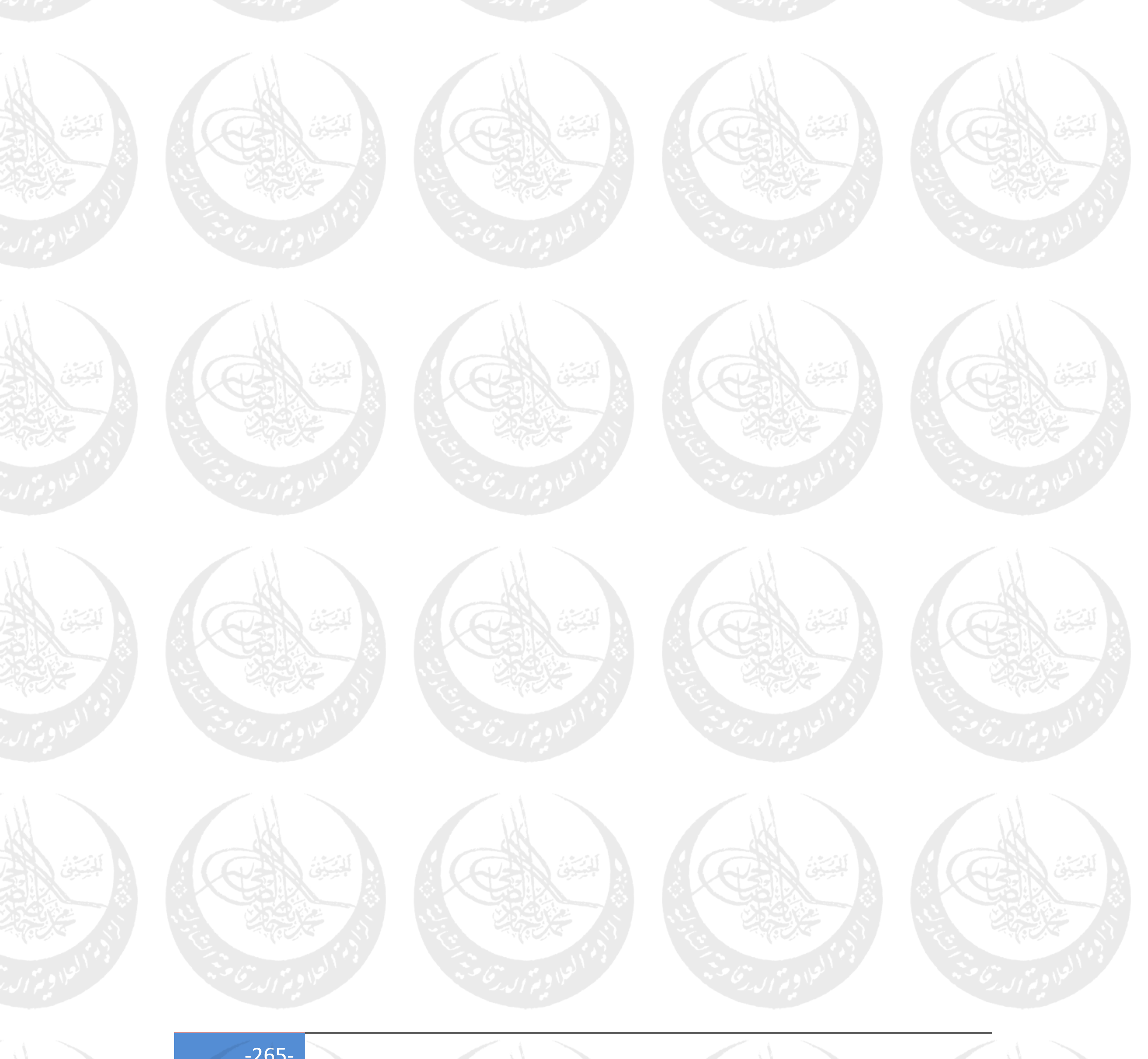
وعن أبي ذر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول

" ليس من رجل أدَّعى لغير أبيه وهو يعلم إلَّا كَفر ومَن ادَّعى ما ليس له فليس منَّا وليتبوأ مقعدهُ من النار ".

وكل هذه الروايات متفق عليها وهذا كلُّهُ بحسب الظاهر, أمَّا مَن كان في نفس الأمر شريفاً ولم تتفق له الشهرة والموجب الشرعي والسنن المرعي فيجد ذلك عند الله من الذخائر العظيمة ولا يضرُّه ما فاته من الدنيا ولا جاهها فعزيزها حقير وكبيرها صغير وعزيزها ذليل وكثيرها قليل جعلنا الله ممَّن فاز بذخر الأخرة وممَّن كان ومعه في كل الأمور.

وهذا آخر من وفقنا عليه ممَّن انتفع بالشَّيخ سيِّدي قاسم ﷺ وأصحابه كثيرون لكن لم يتميَّز لنا إلَّا خبر مَن اشتهر بولاية سيِّدنا أحمد بن عبدالله

أو بعلم او قرابة كمن عداه, والله تعالى يجعل لنا معهم الحظ الأوفر والنصيب الأكبر ويرزقنا ببركاتهم الثبات عند الممات ويجعله لنا نافعاً أحوج ما نكون اليه ويسامحنا فيما فيه من حظِّ النفس ويقصر أمل أماننا عليه وهو المسؤول ان لا يفارق بيننا وبينهم بشفاء آمين والحمد لله ربّ العالمين.



البابُ السَّابع في رفعِ سندهِ لسيِّد الأنام وجمعِ طريقهِ على التَّمامِ

تقدَّم أنَّ الوارث لسيِّدنا مُحمَّد بن عبدالله هو سيِّدي قاسم وكذلك أخذ سيِّدي قاسم عن سيِّدي عبدالرَّحمن الفاسي وقال له

" أنت لي ولست لأحد غيري "

وكذلك أخذه عن سيِّدي مبارك وقال سيِّدي قاسم يوماً للشِّيخ سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله

" أنَّ الناس يقولون أنك إذا متَّ فإنهم يذهبون لزاوية أخرى " انتهى.

يعني زاوية الشَّيخ عبدالرَّحمن فقال له سيِّدي مُحمَّد

" أنت هذا موضعك إن شاء الله حتى تموت "

وقال الإمام العالِم الكبير أبو مُحمَّد سيِّدي عبدالقادر بن علي بن يوسف الفاسي ﷺ لسيِّدنا أحمد بن عبدالله سمعت والدك سيِّدي مُحمَّد يقول في شأنك

" رأيت أحمد يتبع الخصاصي "

فهذا تصريح من سيِّدي مُحمَّد باستخلاف سيِّدي قاسم وامامته بعده, قال سيِّدنا الجد بعد نقله عن سيِّدنا أحمد وقد سمعت أنا سيِّدنا أحمد يقول

" أنه الوارث لوالده سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله "

وأوصى سيِّدي مُحمَّد قرب موته أصحابه بعد أن جمعهم بالزاوية فقال لهم

" إذا متُّ فإيَّاكم أن تغترُّوا بالتزويق الظاهري "

يريد أهل الظواهر الخالية من الأحوال الربَّانية ضمائرهم ويشير الى أن الارث في أصحابه بعدهُ ليس في أهل الهيئات وكان أعظمهم خمولاً سيِّدي قاسم وكان من عادته أنه إذا دخل الزاوية جلس منفرداً يذكر الله عزَّ وجل

وإذا اجتمع الناس مع الشَّيخ استفاد من وراء حتى لا يحسب الناس في كثير من الأحيان أنه هنالك كما كان قبله الشَّيخ سيّدي عبدالرَّحمن مع أخيه وشيخه سيِّدي يوسف كان يذكر ذلك عند سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله.

قلت وكذلك وقع لسيِّدي أحمد الشاوي مع شيخه سيِّدي أحمد بن يحيى فإنه لمَّا حضرته الوفاة وأصحابه مجموعون عليه وهم ذَوو هيئات وغيرهم فقال لهم

" انظروا من الباب "

فنظروا فإذا بسيِّدي أحمد الشاوي بالباب فقالوا ما ثمَّ أحد ولم يعتبروا بسيِّدي أحمد الشاوي محموله واقتصاره على خدمته في الأشياء المهانة فأعاد قوله فأعادوا مراراً ثم قالوا ما ثمَّ إلَّا الشاوي فقال

" ويأبى الله إلَّا الشاوي "

فكان هو الوارث له, وتقدَّم في الباب الأول عن سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله فيه التصريح بأنَّ سيِّدنا قاسماً هو الوارث لسيِّدي مُحمَّد بن عبدالله.

قال في " **المقصد** "[1]

" أعلم أنَّ طريقَ سيِّدنا أحمد وطريقَ شيخهِ رضيَ اللهُ عنهُما طريقةٌ مجذوبيَّةٌ ذاهبةٌ على سرِّ العرفانِ والمحبوبيَّةِ من معرفةِ اللهِ وكمالهِ وجلالهِ وجمالهِ وصفاتهِ العلى وأسامِيهِ الحسنى، دائرةٌ على الجذبِ والفنا ومحوِ السِّوى وخلوصِ التَّوحيدِ وكمالِ التَّجريدِ والغيابِ والشُّهودِ والغيبةِ في المعبودِ ومشاهدةِ أنَّ الحبَّ وكلَّ خيرٍ جزيلٍ من مالكِ الملوكِ لا منَ العبيدِ.

1 . كتاب المقصد الأحمد بالتعريف بسيِّدنا حمد لعبدِ السَّلامِ بنِ الطَّيِّبِ بن مُحمَّد القَادِري الحُسَيْني رَحِمَهُ اللهُ وطَيَّبَ ثَراهُ .

إذ هي طريقةُ الشَّيخ المجذوبِ ومنهلهُ الذي كان منهُ الشِّربُ والمشروبُ الذي هو آخرُ المجذوبينَ الأقوياءِ في اللهِ وخاتمةُ المحبوبين الأغنياءِ باللهِ، فلا جرمَ أنَّها مشتملةٌ على ذلكَ ومتضمنةٌ لكلِّ ما هنالك, وفتْحُ التَّابعِ على قدرِ المتبوع وسرورُ الرَّائي والسَّامعِ على قدرِ المرئي والمسموعِ، وهذه الطَّريقُ هي طريقُ ولادتِهما الرُّوحانيةِ ومنبعُ أسرارِهما النُّورانيَّةِ ومسيرُ تربيتِهما وممرُّ سيرتِهما وراثةً وانتقالاً واتصافاً وحالاً وسَيْراً وفعلاً، وقد زادَها الشَّيخ أبو المحاسنِ الفاسي ﷺ كمالَ تربيةٍ وتهذيبٍ ورياضةٍ معنويةٍ وتدريبٍ, إذ كان إماماً مكيناً ونوراً مبيناً جامعٌ بينَ الإمامتينِ وتمامُ الحالتينِ قد كملَتْ فيهِ المحاسنُ بوراثةِ العِلمينِ الظَّاهرِ والباطنِ.

سَيْرُهُ مقرونٌ بحزمهِ، وسِرُّهُ مصونٌ بعلمهِ، منبسطاً على بساطهِ ومرتبطاً برباطهِ، فهو كما قالَ فيهِ شيخهُ المجذوبُ

" مصباحُ الأمةِ وغزالُ زمانهِ ".

وكما قالَ فيهِ تلميذهُ الشَّيخ سيِّدي مُحمَّد بنُ عبدِ اللهِ أنَّهُ آخرُ الشُّيوخِ إذ ذاك بالمغربِ وموسومٌ بالقطبانيةِ في أوانهِ، وهو ﷺ المُمهّدُ لهذهِ الطَّريقةِ المجذوبيةِ بفاس اذ كان الأصلُ لها والأساسُ لا مؤسّسَ لها سِواهُ، ولا مُمهِّدَ لها عداهُ، جاء بها غضَّةً طريَّةً وتركَها بيضاءَ نقيَّةً، فهو شيخُ الجماعةِ وشيخُ الشَّيخينِ سيِّدي عبدالرَّحمن بنِ مُحمَّد الفاسي، وسيِّدي مُحمَّد بنِ عبدِ اللهِ الذينِ هُما شيخا سيِّدي قاسمٍ الذي هو شيخُ سيِّدنا أحمد, فطريقتُهما مجذوبيةٌ الباطنِ يوسفيةُ المحاسنِ رضيَ اللهُ عن جميعِهم ".

وقال في " **التحفة** "[1]

---

[1] . تُحفَةُ أَهلُ الصِّديقيَّة بأَسانيدِ الطَّائفة الجَزُولية والزرُّوقيّةِ أو تُحفَةُ أهلُ التَّصديق بأسانيدِ الطَّائفةِ الجَزولِيةِ و الزرُّوقيَّة مِنْ أَهلِ الطَّريق تأليف العَبدُ الفَقير مُحمَّد المَهدي بن أحمد بن علي بن يُوسف بن مُحمَّد الفَاسي (**103– 1109**هـ).

" واعلم أنَّ المقصود من الاسناد ما هو أعمُّ من الانتساب والأخذِ والإرادةِ والتبركِ إذ لا سبيل لنا في كل واحدٍ واحدْ الى معرفة من فتح له على يده ومَن اليه ينتسب إذ قد يذكر للرجل أشياخ ويكون الذي فتح له على يده غيرهم إمَّا من أهل الظهور أو من أهل الخفا أو غيباً أو شهادةً وقد يعرفه غيرهم وقد لا يعرفه ولا يشعر به إذ لا يتعرف, وقد يمن الله عليه بلا واسطة أحد أو بواسطة النبي ﷺ أو بواسطة شيخ ميت إمَّا بمحبَّته له أو بخدمته بعض أولاده عن صِدق ومحبَّة ونيَّة صحيحة وإمَّا أن ينتسب أيضاً لبعض المبطلين أو الناقصين مع صحة نيته وصدقه فيأتيه المدد من الله تعالى بواسطة أو بغيرها أو يأتيه بغير تسبب أصلاً ثمَّ بعد ذلك كلِّه يستند الى شيخ بقصد التربية والتهذيب وينتسب أو لقصد غير ذلك كالاختفاء ثم أنه ينسب ويشتهر به من غير تفصيل وولادته لغيره وإنما له عليه التربية إن كانت " انتهى.

ثم نقل كلام الصوفية على أن " لا بدَّ لكل داخل في طريق القوم من شيخ فانظره ".

وقال في " **المقصد** "

" ثُمَّ اعلمْ إنَّ الطَّريقَ قسمانِ

ولادة, والمرادُ بها الولادةُ الرُّوحانيةُ، وهي أنْ يُفتحَ للإنسانِ على يدِ شيخٍ ويستَمدُّ أوَّلاً من نورهِ.

وتربيةً, وهو زيادةُ التَّكميلِ والتَّهذيبِ شيئاً فشيئاً إلى أنْ يتمَّ نتاجهُ ويكمُلَ علاجهُ، ثُمَّ هما تارةً يجتمعان للأخذِ في شيخٍ واحدٍ فيُفتحُ لهُ على يديهِ ويتربَّى بهِ يقعُ ذلكَ كثيراً, وتارةً يفترقانِ وذلك بحسبِ المأخوذِ عنهُ، فيُفتحُ لهُ على يدِ شيخٍ ويُربِّيهِ غيرهُ واحداً أو أكثرَ متَّحدةً طريقُهم أو مختلفةً كما اتَّفقَ

لكثيرٍ من المشايخِ ﷺ ولكنْ إنَّما يُنسبُ الأخذَ لِمَنْ فُتِحَ لهُ على يدِهِ كما قالوهُ.

وإن الأخذَ قسمان

أخذُ تحكيمٍ وسلبِ إرادةٍ, ويكونُ عن ولادةٍ ولأجلِ تربيةٍ, وإنَّما هو مطلق الانتفاعُ، والمرادُ بالانتفاعِ هنا الانتفاعُ الحالي وهو ما يأخذَونَهُ على سبيلِ الاتِّصافِ من حالٍ أو مقامٍ دون سلبِ إرادةٍ.

فالتَّبرُّكُ والإرادةُ بالمعنى العرفي لا يجتمعانِ في أنْ يكونا عن شيخٍ واحد كما تجتمعُ الإرادةُ والتَّربيةُ كذلك " انتهى كلام المقصد.

والمراد بالتبرُّك بالمعنى العرفي وهو الأخذ على سبيل الاتِّصاف كما أشار اليه تجريد صفة للأخذ لم تكن فيه قبل الأخذ من المأخوذ عنه وهي أن يتَّخذ تصير حالة شيخه له حقيقة وخلقاً وكيفية راسخة لا تفارق أي يحصل للمريد منها هداية واشراق أنوار وتجليات فيطَّلع على حقيقة العلم ومكنون السر فيؤثر خدمته ويرفض ما سواه.

والارادة بالمعنى العرفي أيضاً هي أن لا يفعل المريد شيئاً بغير إذن سيِّديه فيما يتعلَّق بدينه ودنياه وجميع أموره وكونهما لا يجتمعان لتباينهما في المفهوم إذ يفهم من التبرُّك الاتصاف بأمر بملاقات شيخ فقط والارادة كونه لا حركة معه أصلاً وأمَّا في المقصود المصدوق فقد يكون التبرك بعض أحاد الارادة لكنها أعمُّ منه والله أعلم.

فولادة سيِّدنا قاسم كما يفيدهُ أمرهُ البديهي من ملاقاة سيِّدي مبارك وصحبته أولاً, ثم سيِّدي عبدالرَّحمن ثانياً, ثم سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله ثالثاً, وتربيته منهم أجمع وتهذيبه وتكميله الله أعلم ممَّن حصل له منهم هذا حظُّ العامي الأجنبي مَن فتُّهم مثلي, فسبحان المطلع على أسرار الأمور والعليم

بما تكنُّهُ الصدور, وتقدَّمت مدة ملازمته لسيِّدي عبدالرَّحمن ولسيِّدي مُحمَّد بن عبدالله ولنشرع في المقصود والله المستعان

فنقول مراراً الطريقة الشاذلية في غربنا على أصلين أحدهما الشَّيخ الجزولي وثانيهما الشَّيخ زرُّوق ثم منهما الى الشاذلي, ولهما طريقة أخرى الى الشَّيخ أبي مدين ثم منهما الى الجنيد ومنه الى الحسن البصري ثم الى الصحابة.

الشَّيخ قاسم الخصاصي

فأخذ سيِّدنا قاسم ﷺ عن شيوخه المتقدم ذكرهم في الباب الرابع فثلاثة **منهم** على سبيل الارادة والتحكيم وهو سيِّدي مبارك بن عبابوا وسيِّدي عبدالرَّحمن الفاسي وسيِّدي مُحمَّد بن عبدالله.

فأمَّا سيِّدي مبارك فقال في " **الإلماع والمقصد** " لا يُعرفان سندهما.

وأمَّا الشَّيخ أبو مُحمَّد عبدالرَّحمن الفاسي فعن أخيه أبي المحاسن, قال في " **الالماع** "

" وأدرك في حياة الشَّيخ أبا مُحمَّد عبدالرَّحمن المجذوب وأجلسه على فخذه وأعطاه قطعة لحم ".

وأمَّا الشَّيخ أبو عبدالله مُحمَّد بن عبدالله فعن الشَّيخ أبي المحاسن ثم عن أخيه خليفته أبي مُحمَّد عبدالرَّحمن الفاسي.

وأمَّا الشَّيخ أبو المحاسن الفاسي فعمدته أبو مُحمَّد عبدالرَّحمن بن ولي الله أبي السرور ابن عياد بن يعقوب بن سلامة بن خشان الصنهاجي الأصل ثم الفرجي بالعرض المعروف بالمجذوب على يده فتح له وإيَّاه خدم ولازم واليه سلب الارادة وانتسب وأخذ عن شيوخ آخرين كثيرين, قال أخوه

سيِّدي عبدالرَّحمن وولده سيِّدي أحمد لا يحصون شهادة وغيباً ومن أهل الظهور والخفا منهم

الشَّيخ أبو العباس أحمد بن منصور الحيحي دفين القصر الكبير قصر كتامة أخذ عنه وانتفع به وقال أن أول حالة تحقَّق بها حالته.

قال سيِّدي المهدي بن أحمد الفاسي ومعناه صارت له حقيقة وخلقا وملكة وكيفية راسخة لا تفارق بخلاف أحوال غيره من أشياخه التي كانت تشرق فيه وتأتيه من قبلهم فإنها كانت لا ترسخ فيه ولا تصير له مقاماً بل تبقى أحوالاً تأتي تارةً وتفارق تارةً إلَّا ما رسخ فيها بعد ذلك.

والشَّيخ أبو عبدالله مُحمَّد بن علي الطالب الزمراني دفين القليعة من فاس.

والشَّيخ أبو مُحمَّد عبدالله بن ساسي دفين حوز مراكش.

والشَّيخ أبو عبدالله مُحمَّد ابن مخلوف الضريسي دفين بو شفان من بلاد ضريسة.

والشَّيخ أبو عثمان سعيد بن أبي بكر المشرائي دفين خارج مكناسة الزيتون.

والشَّيخ أبو مُحمَّد الحسن بن عيسى المصباحي دفين الدعداعة على وادي مضامن عمل القصر.

والشَّيخ أبو عبدالله مُحمَّد الملقَّب بكانون المطاعي دفين تاسوت من بلاد السراغنة قرب مراكش.

والشَّيخ أبو النجا سالم العماري ولقَّنهُ ذكراً يقوله دبر الصلوات أخذهُ عن شيخه أبي زيد بن ريسون عن الشَّيخ الغزواني.

والشَّيخ أبو سالم ابراهيم الزواوي التونسي دفين خارج باب الجيسة من فاس.

فأمَّا الشَّيخ أبو مُحمَّد عبدالرَّحمن المجذوب فعن جماعة منهم

الشَّيخ أبو الحسن علي بن أحمد الصنهاجي عرف بالدَّوار قبل, وكان يكره الدعاء به دفين خارج باب الفتوح من فاس على يده فتح له واليه انتسب في الولادة.

ومنهم الشَّيخ أبو جعفر عمر بن عبدالعزيز الخطاب دفين جبل زرهون وعليه اعتمد في التربية وسلوك الطريق.

ومنهم الشَّيخ أبو زكريا يحيى بن علال القرشي العدوي العمري دفين خارج باب الفتوح وكان يطحن عنده الرَّحا.

قال في " **المقصد** "

" وهو ﷺ يحيى بن علال بن موسى بن مُحمَّد بن يحيى بن الولي الكبير سيِّدي غانم الذي لقَّبه شيخه أبو مُحمَّد صالح بأبي خصيب بن حميد بن صباح بن رافع بن دليج ابن أحمدان بن مُحمَّد بن جزع بن أبي مالك الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ كذا ثبت بخطِّ سيِّدي يحيى المذكور, قال ونسيت اثنين أو ثلاثة يعني فيما يلي سيِّدنا عمر ﷺ ".

قال أخوه أبو عبدالله العربي في بعض الأنساب أبو مالك مُحمَّد بن جدمون بن داود بن مُحمَّد بن دليج ابن سالم بن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

ومنهم أي أشياخ المجذوب أبو عثمان سعيد بن أبي بكر المشترائي بمدينة مكناسة أفاده وانتفع به ويذكر أنه به تماسك وردَّ للوجود.

ومنهم السَّيد الشريف أبو العباس أحمد الشبيه الحسني الجوطي دفين خارج باب عيسى من مكناسة الزيتون.

قال في " **الدُّر السني** "

" ودعي الشبيه لشبهه بجدِّه ﷺ بسبب ما كان بين كتفيه من صورة الخاتم النبوية ويالها من بركة عظيمة وسمة مصطفوية كريمة, وبنوه هم الولاة لضريح جدِّهم الإمام ادريس الأكبر بزرهون ".

ثم قال

" وسيِّدي أحمد الشبيه ﷺ هو ابن عبدالله الواحد بن عبدالرَّحمن بن أبي غالب بن عبدالواجد بن مُحمَّد بن علي بن السَّيد عبدالواحد المجاهد الذي يجتمعون فيه مع بني عمِّهم الطاهريين بن عبدالرَّحمن بن عبدالواحد ابن مُحمَّد جامع الفروع الجوطية كلها ابن علي بن حمدون بن يحيى مرتين ابن ابراهيم بن يحيى نزيل جوطية بن مُحمَّد بن يحيى العرام بن القاسم ابن الإمام ادريس باني فاس بن الإمام ادريس الأكبر".

ومنهم الشَّيخ أبو مُحمَّد بن جعران السفياني دفين الببان من بلاد مزاحم.

ومنهم الشَّيخ أبو مُحمَّد عبدالحق الزيجي دفين جبل زرهون.

ومنهم الشَّيخ أبو العباس أحمد بن حسين المدعو بأبي الرواين العبدلي السهلي دفين خارج مكناسة الزيتون.

فأمَّا الشَّيخ علي الصنهاجي فعن أبي اسحاق ابراهيم المعروف بافحام دفين جبل زرهون, قال الحافظ أبو العباس أحمد بن الشَّيخ أبي المحاسن الفاسي

" وهو فتح له أولاً على يد النبي ﷺ حيث رآه في النوم ثم اتصل بالشَّيخ القطب أبي العباس أحمد زرُّوق وانتسب اليه واعتمد في الطريق والتحقيق عليه, فهذا اتصال من أخذ عنه سيِّدي قاسم على سبيل التحكيم وسلب الارادة بالشَّيخ زرُّوق.

أمَّا اتصاله بالشَّيخ الجزولي فهم مَن بقي من أشياخ سيِّدي يوسف لكنه أخذ عنهم تبركاً ".

فأخذ أبو العباس منصور وأبو عبدالله الطالب وأبو مُحمَّد الهبطي والشَّيخ عبدالله بن ساسي أربعتهم عن أبي مُحمَّد الغزواني عن الشَّيخ أبي مُحمَّد عبدالعزيز التباع وأبي العباس أحمد بن عمر الحارثي السفياني دفين خارج باب البردعيين وكلاهما عن الشَّيخ الجزولي وأبو عثمان سعيد بن أبي بكر عن سيِّدي سعيد الراعي الرغوغي دفين المقرمدة قال في " المرآة "[1]

" وهو أخذ عن الشَّيخ التباع "

قال في " **الدوحة** "[2]

" عن الشَّيخ الجزولي " ولعلَّه أخذ عنهما معاً.

وسيِّدي الحسن المصباحي عن قرينه الشَّيخ أبي عسرية المصباحي عن الشَّيخ التباع.

والشَّيخ أبو عبدالله كانون عن التباع.

والشَّيخ العماري عن أبي زيد عبدالرَّحمن بن عيسى الشَّريف العلمي اليونسي بالتحتية دفين تاصروت من جبل العلم, ويونس أحد أعمام مولانا عبدالسلام بن مشيش.

قال في " **الدر السني** ".

" كان سيِّدي عبدالرَّحمن بن ريسون سيِّداً عالماً ولياً زاهداً بالغاً الغاية في الزهد والورع منقطعاً عن الدنيا وأصلها غلب عليه التبتل والانقطاع, كان يأتونه بالأموال الكثيرة والحوائج النفيسة فلم يكن يقبل من أحد شيئاً وتُلقى الحوائج بفنائيته فلا يتعرَّض لها بأخذ ولا باعطاء بيتهُ مُغلق عليه

---

[1] . مرآة المحاسن من أخبار الشَّيخ أبي المحاسن لأبي حامد مُحمَّد العربي بن يوسف الفاسي

[2] . كتاب دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر للمؤلف مُحمَّد بن عسكر الحسني الشفشاوني

أبداً وفراشه قشور شجر البلوط الى أن قال أخذ عن الشَّيخ عبدالله الغزواني".

وأخذ الشَّيخ ابراهيم الزواوي عن خمسة وثلاثين شيخاً منهم أبو العباس بن عروس دفين تونس وهو عمدته وعلى يده فتح له وتلميذه أبو المظفر منصور الزواوي التونسي والشَّيخ عرفة القيرواني والشَّيخ علي بن ميمون والشَّيخ أحمد الرياسي دفين توزرت والشَّيخ أبو عبدالله الزيتوني والشَّيخ أحمد بن عقبة وتلميذهما الشَّيخ زرُّوق.

فأمَّا ابن عروس فعن فتح الله العجمي والشَّيخ عرفة عن والده أحمد ابن مخلوف الشابي بتشديد الموحدة عن أبي الوهَّاب الهندي المتقدِّم.

واخذ الشَّيخ بن جعران عن أبي عبدالله مُحمَّد بن منصور دفين البسابس وهوعن التبا ع.

وأخذ الشَّيخ عبدالحق الزيجي عن الشَّيخ الصغير السهلي دفين خندق الزيتون.

وأخذ الشَّيخ أبو الرواين عن سيِّدي مُحمَّد بن عيسى الفهري بالدَّال المهملة ثم السفياني المختاري دفين خارج باب البردعيين من مكناسة وهو عن الشَّيخ أحمد الحارثي على يديه فتح له ثم أخذ عن التباع والتباع والسهلي والحارثي ثلاثتهم عن القطب سيِّدي مُحمَّد بن سليمان الجزولي الشريف الحسني, فهذا بيان اتصال أصل الطريقتين الزرُّوقية والجزولية بسيِّدي فرعهما ومن بقي من الشيوخ لا أعرف سنده فهو اتصال مَن أخذ عنهما سيِّدي قاسم ارادة وتحكيما, أمَّا مَن أخذ عنهما تبركاً وكلُّهم مذكرون في الباب الرابع.

فأما أبو عبدالله الكومي فعن الشَّيخ أبي العباس أحمد بن مُحمَّد الفيلالي دفين بني بوزرا من بلاد غمارة عن الشَّيخ أبي القاسم الغازي بن أحمد دفين

سجلماسة عن الشَّيخ أبي الحسن علي بن عبدالله دفين سجلماسة أيضاً عن شيخ الشيوخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني دفينها عن القطب سيِّدي أحمد زرُّوق دفين مسراتة من بلاد الجريد.

أمَّا الشَّيخ الهيري فعن الشَّيخ الحسن بن عيسى الجزولي دفين خارج باب الفتوح من فاس عن القطب أبي مُحمَّد عبدالله الغزواني الشاوي دفين حومة القصور من مراكش هذا الذي عند أبي العباس المرابي في " **تحفة الاخوان** " وسمَّاه الحسن بن عيسى كما ذكر وهو ممَّن لقي الغزواني والذي عند صاحب " **الدوحة** " أنه من أصحاب الشَّيخ التباع وسماه الحسن بن عبدالله وهو ممَّن لقي الغزواني أيضاً.

قال عمٌّ والدنا أبو عبدالله مُحمَّد العربي

" ولعلَّه صحبهما معاً والزمان قابل لذلك لأنه مات عن سنٍّ عالية تنيف على المائة سنة وكانت وفاته سنة اثنتين وسبعين بالموحدة وتسعمائة بتقديم المثناة, والشَّيخ التباع سنة أربع عشرة وتسعمائة.

" وأخذ الغزواني عن الشَّيخ أبي مُحمَّد عبدالعزيز بن عبدالحق التباع المدعو به وبالحرار دفين رياض العروس من مراكش عن القطب الشَّريف شيخ الطريق سيِّدي مُحمَّد بن سليمان الجزولي السملالي الحسني دفين رياض العروس من مراكش أيضاً ثم عن تلميذه بعدهُ الشَّيخ الصغير السهلي به تربَّى وعلى يده تمكَّن من حاله وكمل أمره ".

وأمَّا سيّدي مسعود الشرَّاط وسيِّدي علي بن داوود فكلاهما عن الشَّيخ أبي شتاء دفين آمركوا بالكاف المعقودة من بلاد فشتالة عن الشَّيخ القطب أبي مُحمَّد الغزواني المتقدم.

وأمَّا سيّدي مُحمَّد حكيم فذكر أنه أخذ عن أبي النعيم سيِّدي رضوان , وقال الشَّيخ أبو مُحمَّد الفاسي

" أن مردُّهُ من القرآن ومقتضاه أنه لا شيخ له ".

قال في " **المقصد** "

" ويجمعُ بينهُما بأنْ يكونُ مطلقُ الأخذِ حصراً بالمخالطةِ والصُّحبةِ عن سيِّدي رضوانٌ، ثُمَّ كان استمدادُ حالتهِ الخاصَّةِ من القرآن أي من تلاوتهِ ".

والشَّيخ سيِّدي رضوانٌ ﷺ أخذَ إرادةً وتحكيماً عنِ الشَّيخ أبي مُحمَّد عبدِ اللهِ الغزواني هو عمدتهُ وإليهِ ينتسبُ ثُمَّ عن تلميذهِ وخليفتهِ بفاسٍ الشَّيخ أبي عبدِ اللهِ مُحمَّد بن علي الغالب الزمراني دفينُ القليعةِ داخلَ بابِ الفُتوحِ.

وتبرُّكاً واستفادةً عنِ الشَّيخ الحاجِّ أبي عبدِ اللهِ مُحمَّد بن علي الشَّطيبي زارَهُ ببلادِ بني زروال وعن الشَّيخ أبي عبد اللهِ مُحمَّد بنِ علي الخرُّوبي دفينُ الجزائرِ لقيَهُ بفاسٍ حينَ وفدَ إليها بقصدِ التَّبرُّكِ والانتفاعِ.

وأخذَ الشَّيخ الشَّطي عنِ الشَّيخ سيِّدي أحمد يوسفَ الملياني تلميذِ الشَّيخ زرُّوق.

وأخذَ الشَّيخ الخروبي عنِ الشَّيخ زرُّوق وعن شيخهِ الشَّيخ أبي عبدِ اللهِ الزَّيتوني بدونِ واسطةٍ.

وأمَّا الشَّيخ سيِّدي موسى دفينُ جرنيز فيذكرُ أنَّهُ أخذَ عنِ الشَّيخ أبي الحسنِ علي ورزق المدفونُ خارجَ فاس الجديدِ عن الشَّيخ أبي عثمانَ سعيدٍ بنِ عبدِ النَّعيمِ دفينُ حاحةَ عنِ الشَّيخ التَّباعِ تلميذِ الشَّيخ الجزولي.

وأمَّا الشَّيخ سيِّدي جلول فعنْ أبي عبدِ اللهِ سيِّدي الحاجِّ مُحمَّد الزَّامي دفينٌ خارجَ بابِ الجيسةِ بإزائِها عن يمينِ الخارجِ منها ولا يُعرفُ لهُ سندٌ.

وأمَّا الشَّيخ سيِّدي عبدُ اللهِ الحدَّادِ فعنْ شيخين

أوَّلهُما, الشَّيخ أبو الحسنِ علي بنُ علي الحدَّادِ دفينٌ خارجَ بابِ الفتوحِ قربَ روضةِ الشَّيخ سيِّدي علي حماموش ولا يعرفُ لهُ سندٌ.

وثانيهُما, الشَّيخ أبو المحاسنِ يوسفُ الفاسي خدمَهُ في حياةِ شيخهِ الأوَّلِ وبإذنهِ وبسائرِ سندهِ.

وأمَّا الشَّيخ سيِّدي عزوزٌ والشَّيخ سيِّدي مُحمَّد كمكام فكلاهما لا أعرفُ لهُ شيخاً ولا سنداً.

وأمَّا الشَّيخ سيِّدي علي ورزق فقد تقدَّمَ بسندهِ آنفاً " انتهى كلامه في المقصد.

الشَّيخ أحمد زرُّوق

ثم الشَّيخ الإمام أحد أصل الطريقة الشاذلية القطب أبو العباس أحمد زرُّوق ﷺ أخذ عن مشايخ بالمشرق والمغرب لا يحصون كثرة, وأخذ ارادةً عن شيخين أحدهما الشَّيخ أبن عبدالله الزيتوني دفين المسيلة من بلاد الجريد.

قال في " **المقصد** "

" وليسَ هو سيِّدي الزَّيتوني دفينٌ داخلَ بابِ الجيسةِ من فاسٍ كما قد يُتوَّهمُ, وثانيهُما الشَّيخ العالمُ العارفُ الكاملُ أبو العبَّاسِ أحمد بنُ عبدِ القادرِ بنُ مُحمَّد بنُ عمرَ بنُ مُحمَّد بنُ عقبةَ اليمني الحضرمي ثُمَّ المصري أخذَ عنهُ بمصر ولازمَهُ نحوَ خمسةَ عشرَ شهراً وانتسبَ إليهِ وعوَّلَ في الطَّريقِ والتَّحقيقِ عليهِ, وقالَ أنَّهُ انتفع بهِ اتِّباعاً ظاهراً لا يخفى على أحدٍ واشتهرتْ نسبتهُ إليهِ وإلى سيِّدي مُحمَّد الزَّيتوني.

وأخْذ تبرُّكاً وانتفاعاً عنِ الشَّيخ الولي أبي عبدِ اللهِ مُحمَّد بن زمامٍ الرَّكاعِ والشَّيخ الولي أبي العبَّاسِ أحمد بنِ عروسٍ التُّونسي والشَّيخ العالِمِ الولي أبي زيدٍ عبدالرَّحمن بنِ مُحمَّد الثَّعالبي دفينُ الجزائرَ والشَّيخ العالمِ الولي الصَّالِحِ أبي العبَّاس أحمد بنِ عبدِ اللهِ الجزائري دفينُ القصيرِ والشَّيخ الإمام

العالِمِ العاملِ الولي الصَّالِحِ النَّاصح أبي عبدِ اللهِ سيِّدي مُحمَّد بنِ يوسفَ السَّنوسي دفينُ تلمسانَ والشَّيخ العالمِ الولي أبي العبَّاسِ أحمد ابنِ الحسنِ الغماري دفينُ تلمسان أيضاً والشَّيخ الفقيهِ العالمِ الولي الصَّالِحِ أبي الحسنِ الزوالي شارحِ المدوَّنةِ المدفونِ خارجَ بابِ الجيسةِ من فاس.

هؤلاءِ سبعةٌ ذكرَهُم هو في برنامجهِ.

وذكرَ الشَّيخ أبو العبَّاسِ أحمد بنُ مُحمَّد السوداني بابا به عرف أن الشَّيخ زرُّوق لقي أيضاً الشَّيخ الجزولي ﵁ والشَّيخ الزيتوني, قال سيِّدي أحمد بنُ يوسفَ الفاسي

" ينتهي إلى الشَّيخ أبي مُحمَّد عبدِ القادرِ الجيلاني ﵁ ولم يعيِّنْ لهُ سندا ".

وأخذ الشَّيخ ابنُ عقبةَ عنِ الشَّيخ أبي زكريا يحيى بنِ أحمد الشَّريفِ القادري عنِ القطبِ أبي الحسن علي بن وفا عن والده أبي عبدِ اللهِ مُحمَّد عنِ الشَّيخ داودَ الباخلي عنِ الشَّيخ القطبِ تاجِ الدِّينِ ابنِ عطاءِ اللهِ والشَّيخ ياقوتٍ الحبشي، ويُقالُ لهُ العرشي أيضاً كلاهما عنِ الشَّيخ القطبِ أبي العبَّاس أحمد بنِ عمرَ المرسي الأنصاري عنِ الشَّيخ القطبِ الإمامِ أبي الحسنِ علي بن عبد الله الشَّاذلي الشَّريفِ الحسني إمامِ الطَّريقةِ وسلطانِ أهلِ الحقيقةِ ﵁.

وقيل أن ابنَ عقبةَ أخذَ عن سيفِ الدِّينِ أبي زكريا يحيى القادري عن والدِهِ ظهيرِ الدِّينِ أحمد عن والدِهِ عمادِ الدِّينِ أبي صالح نصرٍ عن والدِهِ تاجِ الدِّينِ عبدِ الرَّزاقِ عن والدِهِ الشَّيخ أبي مُحمَّد عبدِ القادرِ_الجيلاني ﵁.

قال وهذا السَّندُ يمنعهُ التَّاريخُ لكونِ الشَّيخ سيفِ الدِّينِ القادري في طبقةٍ متقدمةٍ بحيثُ لا يمكنُ أنْ يدركَهُ الشَّيخ ابنُ عقبةَ فيأخذَ عنهُ، وكذا يمنعُ

السَّنَدَ الأوَّلَ إنْ كان سيِّدي يحيى القادري المذكورُ فيهِ هو سيِّدي يحيى سيفُ الدِّينِ بنُ ظهيرِ الدِّينِ وإنْ كان غيرهُ فصحيحٌ.

قال في " **المقصد** "

" والمُتعين أن يكونُ هو غيرهُ لاختلافِ سنديهما وطبقتيهما وعدمِ وجودِ تسميتهِ أيضاً بسيفِ الدِّينِ في ذلكَ السَّندِ " انتهى.

وقال الإمام العالم الصالح أبو عبدالله مُحمَّد بن ناصر الدَّرعي أن الشَّيخ ابنَ عقبةَ أخذَ عنِ الشَّيخ أبي الحسن القرافي عنِ الشَّيخ ابنِ عطاءِ اللهِ.

وردَّهُ في " **تحفةِ أهلِ الصِّدِّيقيَّة** "[1] بأنَّ فيهِ واسطةً واحدةً بينَ ابنِ عقبةَ وابن عطاءِ اللهِ وبينهُما تاريخاً مائة وأربعَ عشرةَ سنةً, ولعلَّ الناقلَ لهذهِ الأسانيدِ والنَّاسخَ لها أسقطَ واسطةً أو أكثرَ وذلكَ هو الظَّاهرُ لكثرةِ تداولِ أيدي العوام لها, فما يوجدُ في مثلِها من عدمِ الاتِّصالِ لا يوجب في السَّندِ ريباً ولا بطلاناً, وغايةُ ما فيهِ أنْ يكونَ منقطعاً لا باطلا واللهِ أعلمُ.

ويتَّصل ابن عقبة بالشَّيخ عبدالقادر الجيلاني لأنه أخذ كما قال هو عن الشَّيخ عبدالكبير الحضرمي نزيل مكة عن سيِّدي عمر العرابي عن أبي العباس الحوضي عن الشَّيخ الرهان الحكمي عن أبي الحسن علي بن عبدالرَّحمن الحدَّاد عن الشَّيخ عبدالقادر الجيلاني, ويتصل به أيضاً من طريق شيخه الشَّيخ زرُّوق تبركاً.

فالشَّيخ أبو عبدِ اللهِ بنِ زمامٍ أخذَ عنِ الشَّيخ أبي عبد اللهِ مُحمَّد الأمينُ العطَّارُ دفينُ جبلِ زرهون وهو كما قالَهُ الشَّيخ زرُّوق في كُناشتهِ

[1] . تُحفَةُ أَهلُ الصِّديقيَّة بأَسانيدِ الطَّائفةِ الجَزُولية والزرُّوقيّة تأليف الشَّيخ أبو عيسى مُحَمَّد المهدي بن أحمد بن علي بن الشَّيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي.

" لا شيخَ لهُ إلَّا أنَّهُ أنتسبَ للشَّيخِ سيِّدي عبد القادر الجيلاني والشَّيخ أبي يعزى غيباً ونوى أنْ كُلَّ نافلةٍ يعملُها فهي لهُما فرآهُما مناماً وأتاهُ المددُ من قبلِهما ".

وقد لقيَ الشَّيخ زرُّوق هذا الشَّيخ وتبرَّكَ بهِ فشاركَ فيهِ شيخَهُ سيِّدي ابنَ زمامٍ المذكورِ.

والشَّيخ ابنُ عروسٍ تقدَّمَ سندهُ عندما ذُكرَ سيِّدي إبراهيـــمَ الزَّواري وباقيهم لم نطَّلعْ على سندِه.

الشَّيخ مُحمَّد بن سليمان الجزولي

ثم القطب الإمام أبو عبدالله سيِّدي مُحمَّد بن سليمان الجزولي الشريف الادريسي الحسني ثاني الأصلين ومجمع الفرعين ﷺ فأخذ عن الشَّيخ أبي عبدالله مُحمَّد الشريف أمغار الصغير نزيل رباط تيطنفطر قرية بساحل أزمور تعرف الآن بتيط.

قال في " **المقصد** "

" وبها كان سلفهِ المباركِ أهلِ الصَّلاحِ والولايةِ عن الشَّيخ أبي عثمانَ سعيدٍ الهرتناني عن الشَّيخ أبي زيدٍ عبدالرَّحمن الرَّجراجي، وأقامَ بحرمِ اللهِ عشرينَ سنةً عن الشَّيخ أبي الفضلِ الهندي عنِ الشَّيخ عنوسٍ البدوي راعي الإبلِ عن الإمامِ أبي العبَّاسِ أحمد القرافي عنِ الشَّيخ أبي عبدِ اللهِ المغربي عنِ الشَّيخ الشَّريفِ القطبِ إمامِ الطَّريقةِ أبي الحسنِ الشَّاذلي ﷺ.

هذا هو السَّندُ الذي عندَ الطَّائفةِ الجزولية المعروف عندَهُم والمتأولُ فيما بينهم وذكرَهُ غيرَ واحدٍ من شيوخِهم كالشَّيخ أبي الحسنِ علي صالح تلميذِ الشَّيخ التَّباعِ ".

وكذا ابن عسكر في " **الدوحة** " عن شيخه المذكور أن القرافي المذكور في السلسلة أخذ عن أبي العباس المرسي عن أبي الحسن الشاذلي.

قال في " **المقصد** "

" وما قالَهُ الشَّيخ أبو العبَّاسِ أحمد بنُ الشَّيخ أبي المحاسنِ يوسفَ الفاسي ﷺ في مؤلفٍ لهِ في أسانيدِ والدهِ ونقلَهُ أخوه الشَّيخ أبو عبدِ اللهِ العربي في " **المرآة** " عنهُ كالمُقرِّ لهُ وتبعهُما حفيدُ أخيهما سيِّدي المهدي بنُ أحمد الفاسي في " **التُّحفةِ والإلماع** "[1] من أنَّهُ لا يعرِفُ من هؤلاءِ الشُّيوخِ أحداً سوى الشَّيخ أبي عبدِ اللهِ أمغار وإنَّ القرافي المذكورَ لا يُدرى هل هو العالِمُ المشهورُ أو غيرهُ وأنَّ أبا عبدِ اللهِ المغربي لم يوجد في "**لطائفِ المننِ**" ولا في كتابي ابنِ الصَّباغِ وسيِّدي عبدِ النُّور لا يوجب شيئاً في هذا السَّندِ ولا يُكسبهُ ضعفاً ولا علَّةً لما عُلِمُ من أنَّ أهل علم الظَّاهرِ لا يعتنون بمعرفةِ رجالِ هذهِ الطَّريقِ ولا بالتَّعريفِ بهم لعدمِ ترتُّبِ حكمٍ شرعي على ذلكَ لما يترتَّبُ عليهِ في نقلِ الحديثِ، وإنَّما يعتني بذلك أهلهُ المنتسبون إليهِ، وقد تواطأتْ هذه الطَّائفةُ الجزوليةُ على حفظِ هذا السندِ ونقلَهُ بعضُهم عن بعضٍ وكفى بذلك معرفةً لرجالهِ وشهرةً لهُمْ لا سيَّما وقد تظافرتْ كما تقدَّمَ جماعةٌ من أهلِ العلمِ الظَّاهرِ والصَّلاحِ على روايتِهم لهُ أخذاً وإجازةً حتَّى تلميذَ الشَّيخ الجزولي ﷺ المؤذَنُ بأنَّهُ أخذَ ذلكَ عن الشَّيخ نفسهِ وهو أعرفُ بهم شهادةً وغيباً وناهيك تعريفاً بهم معرفتهُ هو لهُمْ, والتَّردُدُ في أنَّ القرافي هل هو العالمُ الكبيرُ المعروفُ أو غيرهُ لا ينبغي, إذ من المعلومِ أنَّهُ لا يُعرفُ لهُ أخْذٌ في الطَّريقِ ولو كان لوصفَهُ بِهِ الأسيوطي

---

[1] . الالماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع لمُحمَّد المهدي بن أحمد بن علي بن يوسف الفاسي المتوفي 1109هجرية.

في "**حسن المحاضرة**"[1] عندما عرَّفَ بهِ كما وصفَ كثيراً من العلماءِ بذلك وهو حافظُ الدُّنيا وعالمُها مع كونهِ من أهلِ بلدهِ، وعدمِ وجودِ أبا عبدِ اللهِ المغربي في الكتبِ المذكورةِ لا يُؤذِنُ بكونهِ منفياً ولا مجهولاً لأنَّ تلكَ الكتبِ الثَّلاثةِ كما ذكرَ لم تتعرَّضَ لذكرِ أصحابِ الشَّيخ الشَّاذلي كلُّهُم ولا استوفتْ منهُم بعض البعض " انتهى.

لذا وقد ذكر الأبي في شرح مسلم أن ابن البرا كان يقرأ في مسجد القبَّة من تونس فأتاه رجل فقال له رأيت البارحة النبي ﷺ فقال لي قل لفلان يعطيك جبَّة فقال ابن البرا قال لي أنا في اليقظة لا أعطيك شيئاً, فذهب الرجل فدخل على الرجل الصالح أبي عبدالله المشتهر بالمغربي في موضعه القريب من المسجد المذكور فأعطاه فقيل ان الرجل يتحرَّص كان بتونس وترك أصحاباً هنالك, قال الشَّيخ

" لو علمت أنه حق أعطيته الدنيا "

ومعلوم أن الشاذلي كان بتونس وترك أصحاباً هنالك وأن ابن البرا كان معاصراً له فأبو عبدالله المغربي المذكور في الحكاية ليس هو إلَّا ذاك والله أعلم وهو دفين خارج تونس وقبره شهير هناك يزار.

قال في " **المقصد** "

" ثم العلم بهؤلاء السَّادة الماضين من حيث الظاهر أنه هو بالشهرة والسَّماعِ, وقد يكونُ للإنسانِ في قطرهِ شهرةٌ وأهلُ قطرٍ آخرَ لا يعرفونَهُ وهو لم يطأ تلكَ الأقطارِ كلِّها حتَّى يستقرِئَ المجهولِ من المعلومِ، وهذا أبو زيدٍ الرَّجراجي لهُ شهرةٌ عظيمةٌ في أرضهِ لم يصلْ خبرهُ، وهل الآخرون بالقياسِ عليهِ إلَّا كذلك؟ وحسْبُ مَنْ لم يعرفْهُم ولا عرفَ شهرتَهم أنْ يستندَ إلى مَنْ

[1] . كتاب (حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة) للإمام جلال الدين عبدالرَّحمن بن أبي بكرٍ السيوطي أبو الفضل.

عرفَهُم وعرفَها حتَّى لا يحكمَ على معلومٍ بجهالةٍ ولا على مستورٍ بخمالةٍ، رزقَنا اللهُ السَّدادَ وألهمَنا الصَّوابَ آمين " انتهى.

وكان أبو العباس ومن تبعه لم يكفهم هذا القدر في التعريف بهؤلاء الشيوخ إلَّا أن يقال هو كاف في هذا الباب ثم قال في " **المقصد** "

" وأخذَ الشَّيخ الجزولي أيضاً عنْ سيِّدي عبدِ العزيزِ العجمي لقيَهُ بالجامعِ الأزهرِ من مصرَ عنِ الشَّيخ أبي الحسنِ الشَّاذلي ﷺ ذكرَ ذلكَ الشَّيخ الغزواني في جوابٍ لهُ نظماً ونثراً، ولعلَّ المرادَ بأخذِ سيِّدي عبدِ العزيزِ المذكورِ عن الشَّاذلي أنَّهُ من أهلِ طريقتهِ والمنتسبين إليهِ وإلَّا فلا يمكنُ أنْ يأخذَ عنهُ مباشرةً لبُعدِ ما بينَهُما زماناً، وبيَّنَ ذلكَ أنَّ الشَّيخ الجزولي ﷺ تُوفيَ سنةَ سبعين وثمانمائةٍ والشَّيخ الشَّاذلي سنة ست وخمسين وستمائةٍ فلا يصحُّ أنْ يكونَ بينَهُما واسطةٌ واحدةٌ واللهُ أعلمُ .

هذا ما يتعلَّقُ بسندِ الجزولي وهو ﷺ مُحمَّد بنُ عبدالرَّحمن بنُ أبي بكرٍ بنُ سليمانَ بنُ يعلى بنُ يخلفٍ بنُ موسى بنُ علي بنُ يوسفَ بنُ عيسى بنُ عبدِ اللهِ ابنُ جندوز بنُ عبدالرَّحمن بنُ مُحمَّد بنُ أحمد بنُ حسَّانٍ بنُ إسماعيلَ بنُ جعفرَ بنُ عبدِ اللهِ بنُ حسنٍ ابنُ الحسنِ بنُ علي ﷺ.

هكذا يوجد هذا النَّسَب عندَ غير واحد ممَّنْ ذكرَهُ وعند بَعضِ الشُّرفاءِ المتَّصلينَ بهذا العمودِ، وجعفرٌ المذكورُ فيهِ ابناً لعبدِ اللهِ الكاملِ لم يذكرْهُ في أبناءِ عبدِ اللهِ مصعبُ الزُّبيدي ولا ابنُ حزمٍ, فأمَّا بقيَ عليهِما أو وقعَ أسقاطٌ في العمودِ بينَ جعفرَ وعبدِ اللهِ ﷺ " انتهى.

الشِّيخ أبو الحسن الشاذلي

ثم الشَّيخ القطب الشَّهير شيخ الطريقة وإمامها سيِّدي أبو الحسن الشاذلي الشَّريف الحسني ﷺ المنتهي اليه سند الشَّيخين سيِّدنا زرُّوق وسيِّدنا الجزولي.

والشَّاذلي ﷺ ادريسي خلاف ما عند ابن عطاء الله وتبعه البوصيري في قصيدته الدَّالية ومن تبعهما من رفعه لمُحمَّد بن الحسن المثنى بل هو ﷺ علي بن عبدالجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم ابن قصي بن ثقيف بن يوشع بن ورد بن علي بن أحمد بن مُحمَّد بن عيسى المُكنَّى بأبي العيش بن ادريس بن عمر بن ادريس بن ادريس بن عبدالله الكامل هكذا في " **النبذة** ".

ومثله عند المواهبي وصحَّحهُ الشَّيخ القصَّار وحرر الكلام على ذلك سيِّدنا الجد رحمه الله في كتابه " **الدُّر السني** " وفي أرجوزة سمَّاها " **الأشراف على نسب الأقطاب الأربعة الأشراف** ".

وله طريقتان كما ذَكر غير واحد, طريقة تحكيم واقتداء وإرادة وطريقة تبرُّك ونفع واستفادة, فالأولى عن الشَّريف قطب الأقطاب أول من ظمَّ مغربنا قطباً كما قال الشَّيخ الغزواني هو أبو مُحمَّد عبدالسلام بن مشيش بن أبي بكر بن علي ابن حرمة بن عيسى بن سلام بتشديد الَّلام بن مزوار بن حيدرة بن مُحمَّد بن ادريس بن عبدالله الكامل بن حسن الحسن بن علي ﷺ على يده فتح له الفتح العظيم ومدَّ بالمدد الجسيم لا عمدة له سواه ولا متنسب له عداه.

وهو عن القطب عبدالرَّحمن بن حسين الشريف المدني العطَّار والشهير بالزيَّات لسكناه بحارة الزيَّاتين بالمدينة على يده فتح له لا ينسب إلَّا اليه كان يأتيه من المدينة في ساعة واحدة ويربيه ويرقيه وأخذ عن غيره.

قال أبو عبدالله الخروبي

" أخذ ابن مشيش عن أكابر منهم الشَّيخ عبدالرَّحمن المدني وأخذ المدني عن القطب تقي الفقير بالتصغير فيهما الصوفي من أرض العراق سمَّى نفسه بذلك تواضعاً عن القطب تاج الدين مُحمَّد بأرض الترك عن القطب شمس الدين مُحمَّد عن القطب زين الدين مُحمَّد القزويني أو الغزواني عن أبي اسحاق ابراهيم البصري عن أبي القاسم أحمد المرواني أو المروالي عن القطب أبي مُحمَّد سعيد عن القطب سعد عن القطب أبي مُحمَّد فتح السعودي بياء النسب عن القطب جابر عن أول الأقطاب سبط النبوة والرسالة أبي مُحمَّد الحسن عن جدِّه سيِّدنا ومولانا مُحمَّد رسول الله ﷺ.

ذكر هذا السند مُحمَّد بن أحمد الاسكندري سبط أبي الحسن الشاذلي في " **شفاء الغليل وداء العليل** " مسلسلاً بصحب واقتدى في كل واحد ونقله ابن الذاكر عن المواهبي وذكره في " **النبذة** " للسبط الشاذلي أيضاً واقتصر عليه المرصفي في " **داعي الفلاح** " وذكره أبو الجمال بن زيَّان الزواوي في " **الرسالة في القصرية** " والفوصيني في " **الأسلوب الغريب** " وابن عساكر في " **دوحة الناشر** " وقال المواهبي أنه طريقة مشهورة, وقال الإمام أحمد بن يوسف الفاسي

" ذكر غير واحد أنه وجد بخط ابن عطاء "

وقال أبو العباس المرسي " هذه الطريقة متصلة بالأقطاب مُعنعنة برجل عن رجل الى الحسن بن علي " **وفي لطائف المنن** " طريقتنا هذه لا تنتسب لمشارقة ولا لمغاربة وإنما هي واحد عن واحد الى الحسن بن علي.

وقال في " **المقصد** "

" يعني ليس شيوخ طريقِهم من أهلِ قطرٍ واحدٍ بل بعضُهُمْ من هذا القطرِ وبعضُهم من هذا "

وأشارَ بقولهِ واحدٌ عن واحدٍ أتَى انفرادُ كُلٍّ في زمانهِ نظيرُ ما نقلَ عنهُ في " **النُّبذةِ** " من التَّصريحِ بكونِهم أقطاباً وهذا كلُّهُ مطابقٌ لِما ذكرناهُ من السَّندِ مُعيَّناً.

ويُحتملُ أنَّهُ ﷺ عرفَ ذلكَ من حيثُ الرِّوايةِ والنَّقلِ أو من جهةِ البصيرةِ والكشفِ أو كليهما، وعلى كُلِّ حالٍ فهو مؤيِّدٌ لصحَّةِ هذا السَّندِ ومؤذِنٌ بأنَّهُ هو على التَّعيينِ إذ لم يخبرْ ﷺ إلَّا عن الواقعِ خارجاً، والواقعُ المنقولُ هو ذلكَ، ولم ينقلْ غيرَهُ حتَّى يقعَ الاحتمالُ في أيِّهِما مرادهُ, وإذا كان كذلك فلا وجهَ للاستبعادِ الذي أشارَ إليهِ في " **المرآة** " بقولهِ

" فقد أثبتَ الشَّيخ يعني المرسي وجودَ السِّلسلةِ متَّصلةً فمَنْ وافقَها نقلاً فذاك ومن لنا بالموافقةِ ".

وقولُ أخيهِ الشَّيخ أبي العبَّاسِ بعدَ ذكرِ هذا السند في تأليفهِ

" إنِّي لستُ أعرفُ من هؤلاءِ الشُّيوخِ الذين بينَ الإمامِ أبي الحسنِ والشَّيخ عبدالرَّحمن المدني واحداً يردُ بنظيرِ ما تقدَّمَ لنا من الكلامِ معهُ في سندِ الشَّيخ الجزولي, ثُمَّ إنَّ الظَّاهرَ من كلامهِ أنَّهُ لم يطَّلِعْ إذ ذاك على شيءٍ من النُّقولِ التي ذكرنا سوى كلامِ الفوصيني " انتهى .

ونبه على زيادات تقع في هذه السلسلة وتقديم بعض الأسماء وتأخيرها واسقاط واعتدَّ ما ذكرناه فإن اشتبه شيء من ذلك فليراجع فيه فإنهُ حرَّره غاية التحرير جزاه الله خيراً.

وذكر جلال الدين الكركي في " **نور الحدق في لبس الخرق** "

" أنَّ الشَّيخ المدني أخذ عن سيِّدي أبي مدين بلا واسطة وذكر غيره أنه أخذ عن الولي الكبير أبي أحمد جعفر بن سيِّدي بونة الخزاعي عن أبي مدين وثانياً عن الشَّيخ أحمد الرفاعي ".

وهو أحمد بن علي بن يحيى ابن ثابت بن حازم بن علي بن الحسن بن أحمد بن موسى الثاني بن ابراهيم بن جعفر الصادق بن مُحمَّد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ.

فأمَّا الشَّيخ أبو مدين فسيأتي, وأمَّا الشَّيخ أحمد الرفاعي فأخذ ارادة كما في بهجة الشطنوفي عن خاله منصور البطائحي عن أبي مُحمَّد الشبنكي عن أبي بكر هواري الكردي عن أبي بكر الصديق مناماً, وأخذ تبركاً عن الشَّيخ أحمد الواسطي عن أبي كامخ عن ابن باربادي عن علي العجمي عن الشبلي عن الجنيد, وصحح هذا السند السيوطي ونقله في " **المرآة** "عن " **نور الحدق** " بزيادة ونقص, والأول أصحُّ هذا السند الشَّيخ المدني وطريق ابن سيِّدي بونة وشيخه أبي مدين رضي الله عنهما, وذكره في المرآة على أنه طريقة اقتداء وصحَّح في المقصد أنه طريقة تبرُّك فقط لوجوه ذكرها فانظرها فيه, وما ذكر في " **التحفة والالماع** " من الخلاف في أخذ المدني عن تقي بسنده المتقدِّم أو عن أبي مدين بواسطة أو بغيرها.

قال في " **المقصد** "

" لا ينبغي إذ المتحصل من النقول أنهما أخذا عن الجميع وانظر النقول فيه "

والثانية من طرف الشَّيخ الشاذلي التي هي التبرُّك والاستفادة فأخذ قبل أخذه عن الشَّيخ بن مشيش عن جماعة, والمعين من ذلك طريقان

أحدهما بالصحبة والانتفاع عن أبي سعيد خليفة ابن أحمد الباجي دفين خارج تونس عن أبي مدين أو بواسطة أبي مُحمَّد عبدالعزيز المهدوي.

وثانيهما بالصحبة لبس الخرقة عن أبي عبدالله مُحمَّد بن سيِّدي علي بن حرازم عن أبي مُحمَّد صالح الدكالي دفين رباط آسفي عن الشَّيخ أبي مدين وأخذ قبله عن عبدالرزاق الجزولي دفين خارج الاسكندرية وهو الذي أرسله الى أبي مدين وبعثه الشَّيخ أبو مدين الى الشَّيخ عبدالقادر الجيلاني فأدخله الخلوة وبقى فيها مائة وعشرين يوماً ونال أسراراً عظيمة ثم ردَّه الى الشَّيخ أبي مدين فعزمه الى وفاته.

الشَّيخ أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري

ثم الشَّيخ أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري دفين عباد تلمسان, أخذ عن جماعة وله طريقتان اقتداء وارادة واتباع وطريقة صحبة وافادة وانتفاع.

فالأولى وهي الاقتداء عن شيخ واحد وهو الشَّيخ الشهير الولي الكبير والفيض الغزير أبو يعزى يلنور بن عبدالله الهزميري الهسكوري نزيل تاغيتا ودفينها المتوفي سنة اثنين وسبعين وخمسمائة عن نحو أربعين شيخاً منهم الشَّيخ أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي الزموري الملقَّب بالسَّارية دفين خارج بلاد أزمور عن أبي ينور عبدالله ابن وكريس الدكالي عن الشَّيخ عبدالجليل بن ريحلان الدكالي دفين أغمات عن أبي الفضل عبدالله بن حسين يسري الجوهري عن أبيه عن أبي الحسن أحمد بن مُحمَّد النوري عن أبي الحسن السري بن مغلس السقطي شيخ الجنيد هكذا ذكروه.

قال في " **التحفة** "

" ولا يصحُّ أن تكون الواسطة بين أبي الفضل الجوهري ذو النوري واحداً فقطع لبعد ما بينهما بما يقرُب من مائتين سنة ثنتين ".

قال في " **المقصد** "

" والظَّاهرُ في المسألةِ الاستبعادُ لا عدمَ الصِّحةِ على القطعِ فليتأملْ "

قلت ومن فروض الصِحة أن يعيش الواسطة والآخذ المأخوذ عنه القرب من مائة سنة, وذكر الدعيني في مؤلفه في الصحابة أن أبد بن أمد بباء موحدة تحت في الأول وميم في الثاني عاش أزيد من ثلاثمائة سنة ووفد على معاوية ﷺ فقال له أخبرني عن أعجب ما رأيت ؟

فقال له أعرف من المدينة الى الشام على كل مرحلة يوم أو أقل قرية حتى لا تعجز المرأة عن المشي منها اليها ويكفيها تزوُّد الرغيف الواحد.

فقال له أطلب ما أردتُ.

فقال له أن تردُّ علي شبابي فقال لا أستطيع أطلب غيره, فقال أردتُّ أن تغفر لي ذنبي, فقال وهو أعظم وأولى بالمنع, فقال إذاً لا تملك دنيا ولا آخرة لا حاجة لي اليك. انظر لفظه.

والثانية من طرق الشَّيخ أبي مدين التي هي الصحبة والافادة والانتفاع فعن جماعة منهم

أبو عبدالله الدقاق السجلماسي دفين باب الجيسة.

والشَّيخ أبو الحسن علي بن غالب الأنصاري الأندلسي دفين القصر.

والشَّيخ سلطان الأقطاب أبو مُحمَّد عبدالقادر الجيلاني وهو ابن أبي صالح موسى بن عبدالله الكامل ابن حسن ابن الحسن بن يحيى الزاهد بن مُحمَّد بن داوود بن موسى بن عبدالله أبي الكرام ابن موسى بن عبدالله الكامل بن حسن بن الحسن السبط عشر من الآباء وتوفي ببغداد سنة أحدى وستين وخمسمائة.

قال في " **البهجة** "

" أخذ عنه الشَّيخ أبو مدين بعرفات وجلس بين يديه ولبس منه الخرقة وقرأ عليه جزءاً من مروياته ".

والشَّيخ أبو الحسن علي بن حرزهم أخذ عنه الشَّيخ أبو مدين ولازمه وانتفع به, وهو

علي بن اسماعيل بن مُحمَّد بن عبدالله بن حرزهم ابن زيان بن سومران بن حفص بن الحسن بن مُحمَّد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان أحد الخلفاء شهيد الدَّار ﷺ وتوفى بفاس ودفن بها خارج باب الفتوح منها سنة تسع وخمسين وخمسمائة.

وكل هؤلاء الشيوخ أخذ عنهم الشَّيخ أبو مدين بفاس إلَّا الشَّيخ أبا يعزى فببلدة تاغيا والشَّيخ الجيلاني فبمكة حين لقيه كما ذكرناه.

فالشَّيخ عبدالله الدَّقاق عن الشَّيخ أبي عمر عثمان بن علي التلمساني نزيل سجلماسة والشَّيخ أبي عبدالله مُحمَّد ابن عمر الأصم السجلماسي ولا أعرف سندهما.

أمَّا الشَّيخ ابن غالب فعن ابن برجان دفين مراكش عن عبدالله بن مربان الحجاري من وادي الحجارة عن أبي عمر أحمد بن مُحمَّد الطلمنكي عن ابن عون الله والحسن بن عبدالله الجرجاني واخذ عنه بمكة كلاهما عن أبي سعيد بن الاعرابي دفين الحرم الشريف عن سلم بن عبدالله الخراساني وأبي الحسين النوري وابن أبي الحواري وأبي عبدالله المكي وأبي القاسم الجنيد,

فأمَّا سلم فعن الفضيل بن عياض, وأمَّا النوري فعن السرِّي السقطي وتقدَّم في سند الشاذلي وأبو الحسن ابن أبي الحواري فعن الدَّاراني عن عبدالواحد بن زيد عن الحسن البصري.

وأمَّا عمر المكي فعن جماعة منهم أبو سعيد الخرَّاز عن أبي عبيد البسري عن أبي تراب النخشبي وسيأتي قريباً في سند الجنيد.

وأمَّا الشَّيخ بن حرزهم فعن عمِّه أبي مُحمَّد صالح عن القاضي وجيه الدين عمر السهروردي عن والده أبي عبدالله مُحمَّد عن والده عبدالله عموية

عن والده سعد عن والده الحسين عن والده القاسم عن والده مُحمَّد عن والده أبي بكر الصديق وغيره من الصحابة ﷺ.

وأخذ القاسم بن مُحمَّد عن عمَّته عائشة وجدَّته أسماء بنت عميس وابن عباس وغيرهم من الصحابة ﷺ, وله طرق أخرى تركناها اتكالاً على ذكرها في " **المقصد** "وغيره.

وأمَّا الشَّيخ محي الدِّين أبو مُحمَّد عبدالقادر بن موسى الجيلاني فعن جماعة منهم

الشَّيخ حمَّاد الدبَّاس صحبه أكثر من عشرين سنة وأبي سعيد المبارك بن علي المخزومي والشَّيخ أبو الوفا كاكيس الكردي ومعنى كاكيس بالعربية عبدالرَّحمن قاله عمٌّ والدنا, وعن أبي الحسن القرشي البكاري.

فأمَّا الشَّيخ حمَّاد فقال في " **الطرفة** " لم نعثر على سنده.

وأمَّا أبو الوفا فعن الشَّيخ أبي مُحمَّد الشَّنبكي عَن الشَّيخ أبي بَكر هَوارا وهوَ رأى النَّبي ﷺ وأبا بَكرٍ الصِّديق ﷺ في المَنام فقالَ يا رَسولَ الله ألبِسني خِرقة فقالَ يا ابن هَوارا أنا نَبيك وهذا شَيخُك وأشارَ إلى أبي بَكر, ثُم قالَ لهُ ألبِس سّميُّك ابن هوارا فألبسهُ ثَوباً وطَاقيةً ومَسحَ على رأسهِ وناصيتهِ وقالَ باركَ اللهُ فيكَ, ثُم استيقظَ فَوجدَ الثَّوبَ والطَّاقية بِعينها عليهِ.

وأمَّا الهكاري فعن أبي الفرج الطرسوسي عن عبدالرَّحمن التميمي عن الشبلي عن الجنيد.

الشَّيخ أبو القاسم الجنيد

ثم الشَّيخ أبو القاسم الجنيد ﷺ أخذ عن جَماعة مِن الأكابِر مِنهُم خالِه السّري السَّقطي وأبو عبد الله الحَارث بن أسَد المُحاسبي, وأبو الفَيض ذو النُون المَصري, وأبو عبد الله مُحمَّد بن عَلي القَصَّاب, وأبو جَعفر الحدَّاد, وأبو الحُسين الكَرنبي وغَيرهم.

فأمَّا السَّري فعن الشَّيخ مَعروف الكَرخي وهو عَن عدّةِ مِن المَشايخِ مِنهُم مَولاي عَلي الرِضى وهو عُمدتهُ, وأبو سَليم دَاوود الطَّائي, وبَكر بن خنيس, وأبو عبد الله مُحمَّد بن صَبيح.

فأمَّا الرِضى فعَن أبيهِ مُوسى الكَاظم, عَن أبيهِ جَعفر الصَّادق, عَن أبيهِ مُحمَّد البَاقر, عَن أبيهِ زَين العَابدين عَلي بن الحُسين, عَن أبيهِ الحُسين بن فاطمةُ وعَلي ﷺ أجمَعين, عَن رَسول الله ﷺ.

وأمَّا دَاود الطَّائي فعَن حَبيب العَجمي عَن الحَسن البَصري.

وأمَّا بَكر بن خنيس فقال في " **التحفة والمقصد** " فلا أعرِف سَندهُ وهو يَروي الحَديث عَن ضِرار بن عَمرو, وسُفيانُ الثَّوري, وضرار عَن أنس بن مالك ﷺ.

وأمَّا سُفيان الثَّوري فعَن غيرِ واحدٍ كمَنصور بن المُعتمر, و إبراهيم النَخعي عن أخيه الأسود وخَالهُ عَلقمةُ بن قَيس, والثَلاثة عَن ابن مَسعودٍ ﷺ.

وابن صَبيح فلا أعرِفُ سَندهُ أيضاً وهو يَروي الحَديث عَن عِدَّة مِن التَّابعين مِنهُم اسماعيلُ بن خَالد, والأعمش, وهُشامُ بن عُروة.

وأمَّا المُحاسَبي فعَن بِشر الحَافي وهو عَن جَماعة مِن الشُيوخِ مِنهُم عَامرُ بن شُعيب, وأبو حَفص عُمر المَكّي, والفُضَيل بن عِياض.

فأمَّا عَامر وأبو حَفص فعَن الحَسن البَصري, وأمَّا الفُضَيل بن عِياض فعن منصور بن المعتمر عن ابراهيم بن يزيد النخعي وتقدَّم ابراهيم, وأخذ الفضيل أيضاً عن الأعمش ويونس بن عبيد وعطاء بن السائب وهشام بن حسَّان وابن أبي عيَّاش وحصين بن عبدالرَّحمن الأعور وغيرهم من التابعين ومن أصحاب الحسن البصري.

الإمام الحسن البصري

ثم الإمام الحسن البصري ﷺ أخَذَ عَن جَماعة مِن الصَحابة رِضوانُ اللهِ عِليهِم كأمِّ المُؤمنين أمُّ سَلَمة, كانت تَلقُمهُ ثَديها في صِغَرِه تُعلّلهُ بذلك إذا كانت أُمُّه في شغل وربما درَّ اللَّبن, ورأى عَلي بن أبي طَالب وعُثمانُ وطَلحة, وروى عَن معقل بن يَسار وأبي بَكرة, وأبي مُوسى وأبن عَبَّاس وجَابر وسُمرة بن جُندب وعَمرو بن ثعلب وخلقٌ كَثير مِن الصَّحابة, واختصَّ بأنس بن مَالك وعُمران بن حُصين وحُذيفة بن اليَمان, وعلى حُذيفة في هذا الشأن اعتمدَ كما نصَّ عليهِ في " **القُوت** " وفيه

" أنه لقي سبعين بدرياً ورأى ثلاثمائة من الصحابة ".

وفي " **الحلية** "

" أنه أخذ عن سبعين بدرياً وهو أول من نهج هذا السبيل وفتق الألسنة به وبمعانيه "

وفي " **القوت** "

" سئل حذيفة عن ذلك فقال

" كذلك خصني رسول الله ﷺ ".

وقولهم في الحسن البصري " رأى علياً " قال الشَّيخ سيِّدي أحمد بن يوسف الفاسي

" لا مانع من أخذ الحسن البصري عن علي كما يقوله الصوفية أهل البصيرة الصافية ﷺ حيث ثبتت الرؤية لأن هذه الطريق لمَّا كانت ليس المعتبر فيها أخذ العلم وتلقيه من الشَّيخ باللِّسان بل المقصود منه أن يحصل علي سبيل الهمَّة والحال هداية المريد واشراق الأنوار في قلبه ويحصل له بسببه تجليات وأسرار من ربه ويطلّع على حقيقة العلم ومكنون السر حتى ينقطع اليه ويؤثر خدمته ويرفض ما سواه الى غير ذلك من المواهب التي هذا من أوائلها ثم قال, وقالَ فيه الشُّيوخ يعني سيّدنا علي أنه أعطى العلم اللَّدني ولا تصح النسبة الى الولاية التي هي منبع الولاية الحقيقية والمعارف الإلهية إلَّا من جهته وحقيقته فهو إمام الأولياء المُحمَّديين كلهم وأصلهم ومنشأ انتسابهم الى الحضرة المُحمَّدية ومظهر نور الولاية الأحمدية حين انشق قمر النبوة وختم ظهوره به ﷺ الذي كان انشقاق القمر صورة ذلك الانشقاق وهو بلطفه وسره الطاهر بسبب ظهوره فإن الدنيا ممَّا خصَّصه ﷺ من قوله

" **أنا دار الحكمة وعلي بابها** "[1]

وبقوله ﷺ

" **أنا مدينة العلم وعلي بابها** "

وهو علم الحقيقة ما عدا أصله ﷺ فكان علي كرم الله وجهه بمنزلة الباب من المدينة شيء حتى يمر بالباب فافهم كلام سيّدي أحمد ﷺ.

وحديث أنا دار الحكمة وعلي بابها أخرجه الترمذي عن اسماعيل بن موسى الفزاري عن مُحمَّد بن عمر الروي عن شريك عن سلمة بن كهيل عن سويدة بن غفلة عن أبي ظيبان عن علي وقال غريب.

---

[1] . أخرجه الترمذي وغيره.

واسماعيل خرَّج له أبو داوود وابن ماجة, قال الذهبي صدوق شيعي, ومُحمَّد بن عمر ضعفه أحمد وقوَّاه غيره.

وشريك هو ابن عبدالله النخعي القاضي أحد الأعلام وثقه ابن معين وقال غيره سيئ الحفظ, وقال النسائي ليس به بأس, وقال ابن المبارك هو أعلم بحديث الآدميين من الثوري وسلمة بن كهيل أخرج حديثه الجماعة فحديثه متفق عليه, وقال الذهبي أنه ثقة, وسويد بن غفلة هو الجعفي.

قال الذهبي ثقة إمام زاهد قوام وحديثه متفق عليه, ولد عام الفيل وقدم المدينة حين دفنوا النبي ﷺ فهو تابعي مخضرم توفي عام واحد وسبعين, قال المنوي وزعم القزويني كابن الجوزي وضعه وأطال العلاهي في ردّه وقال لم يأت أبو الفرج ولا غيره بعلَّة قادحة في هذا الخبر سوى دعوى الوضع دفعاً بالصدد, وسئل عنه الحافظ ابن حجر فقال, هذا الحديث صححه الحاكم وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال أنه كذب والصواب خلاف قولهما وأنه من قسم الحسن لا يرتقي الى الصحة ولا ينحط للكذب, قال وبيانه يستدعي طولاً لكن هذا هو المعتمد, قلت وتأمل ما نقلناه في السند تفهم بيان ما قال ابن حجر.

وأمَّا حديث

" **أنا مدينة العلم وعلي بابها** "

فأخرجه العقيلي وابن عدي والطبراني والحاكم في المستدرك وصحَّحه وأبو الشَّيخ في السُّنَّة كلهم عن ابن عباس.

وأخرجه أيضاً ابن عدي والحاكم عن جابر بن عبدالله ﷺ ورواه أحمد بدون سند, قال الذهبي وابن الجوزي موضوع.

وقال أبو زرعة " كم خلق افتضحوا به ".

وقال الترمذي عن البخاري مُنكر, قال المنوي وتعقبه جمع أئمة منهم العلاهي فقال مَن حَكم بوضعه فقد أخطأ والصواب أنه حَسَن باعتبار طرقه لا صحيح ولا ضعيف وليس هو من الألفاظ المنكرة التي تأباها العقول.

وقال الزركشي يرتقي الى درجة الحسن المحتج به ولا يكون ضعيفاً فضلاً عن كونه موضوعاً, وفي لسان الميزان أن له طرقاً كثيرة أقل أحوالها أن يكون الحديث أصل فلا ينبغي اطلاق القول عليه بالوضع.

ورواه الخطيب في تاريخه من حديث أبي معاوية عن الأعمش عن مجاهد عن أبن عباس ثم قالْ قالَ القاسم سألت ابن معين عنه فقال هو صحيح, قال الخطيب أراد أنه صحيح من حديث أبي معاوية وليس به باطل إذ رواه غير واحد عنه وأفتى بحسنه أبن حجر وتبعه البخاري.

قلت ورد في فضائل علي بن أبي طالب ﷺ وكرم الله وجهه أحاديث كثيرة جداً اعتنى الأئمة بإخراجها منها ما أخرجه مسلم عن زر بن جيش عن علي قال

" **والذي فلق الحبَّة وبرا النسمة انه لعهد النبي الأمين ﷺ أنه لا يحبني إلَّا مؤمن ولا يبغضني إلَّا منافق** ".

وفي الصحيحين عن سعد بن أبي وقاص أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب

" **أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى** "

وفيهما عن سهل بن الساعدي أن رسول الله ﷺ قال

" **لأُعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه فقال رسول الله ﷺ أين علي بن أبي طالب قالوا يا رسول الله عينيه فأمر به فدعا له فبرأ مكانه حتى كأنه لم يكن به شيء فأعطاه الراية** "

وفي رواية للبخاري

" لأعطين الراية أو ليأخذنَّ الراية غداً رجلاً يحبُّهُ الله ورسوله أو قال يحبُّ الله ورسوله "

وفيهما أيضاً عن سهل قال

" كان أحبَّ اسماء علي بن أبي طالب اليه أبو تراب وإن كان ليفرح أن نذكرهِ بها وما سمَّاه أبو تراب إلَّا رسول الله ﷺ غاضب يوماً فاطمة فخرج فاضطجع الى الجدار في المسجد وجاءه رسول الله ﷺ فلم يجده في البيت وقال لفاطمة أين ابن عمك قالت خرج آنفاً مغضباً, فأمر رسول الله ﷺ انساناً معه يطلبه قال وهو مضطجع بالمسجد في فيء الجدار وقد زال عن رداءه فامتلأ ظهره تراباً فجعل رسول الله ﷺ يمسح التراب عن ظهره ويقول أجلس أبا تراب ".

وأخرج أبو نعيم عن ابن عباس مرفوعاً

" ما أنزل الله

﴿ يأيُّها الَّذين آمنوا ﴾ إلَّا وعلي رأسها وأميرها ".

وأخرج أيضاً عن ابن مسعود قال

" كنتُّ عند النبي ﷺ فسُئل عن علي فقال قُسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزء واحد ".

وأخرج عنه أيضاً

" أُنزل القرآن على سبعة أحرف ما منها حرف إلَّا وله ظاهر وباطن, وأمَّا علي فعنده منه علم الظاهر والباطن ".

وأخرج أيضاً

" أنا سيِّدي ولد آدم وعلي سيِّدي العرب ".

وأخرج أيضاً

" علي راية الهدى ".

وأخرج ابن عبد البر بسنده عن ابن عباس قال

" **لعلي أربع خصال ليست لأحدٍ غيره هو أوَّل عربي وعجمي صلَّى لله مع رسول الله ﷺ, وهو الذي كان لواؤه معه في كل زحف, وهو الذي صبر معه يوم فرَّ عنه غيره, وهو الذي غسله وأدخله قبره** ".

واخرج عنه في الاستيعاب بسنده وقال لا مَطعن فيه لأحد لصحَّته وثقةً نقَلته قال

" كان أول مَن آمن مِن النَّاس بعد خديجة, قال والصحيح في أبي بكر أنه أول مَن أظهر اسلامه والأخبار في هذا الباب بل وفي فضائل الخلفاء ﷺ لا تكاد تنحصر, والمعروف أنَّ أفضليتهم على ترتُّبهم في الخلافة, وقيل بالوقف بين عثمان وعلي, وقيل لا يفضُل أحد من الصحابة عن أحد, ثلاثة أقوال كلها لمالك".

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني

" هم في الفضل سواء لأن فضلهم خارج عن الحصر, قال والمسألة اجتهادية فمن فضل باجتهاده من غير طعن فلا عتب عليه والخطأ لا يوجب الإثم لأنه ليس في أمر يلزم العمل به ولا هو من فرائض الدِّين ".

انظره نقله الشَّيخ زرُّوق في شرح الرسالة وغيرِه واظهاراً للتصرُّف فيه وعلامة على التفويض والتَّسليم وعتبة للدخول في الصحبة, نصَّ على ذلك كله في الخرقة السهروردي في " **العوارف** " وقسَّمها الى قسمين فقال

" واعلم إنَّ الخرقة خرقتان خرقة الارادة وخرقة التبرُّك, والأصل الذي قصدهُ المشايخ للمريدين خرقة الارادة وخرقة التبرُّك تُشبَّه بخرقة الارادة للمريد الحقيقي وخرقة التبرُّك للمتشبِّه, ومَن تشبَّه بقوم فهو منهم ولا ينافيه قول ابن عطاء الله في " **لطائف المنن** ".

" وإنما يلزم تعيين المشايخ الذين يستند اليهم طريق الانسان مَن كانت طريقه يلبس الخرقة فإنها رواية, إذ معنى كونها رواية إن ذلك اللبس الذي هو علامة التحكيم وزائد على حصول الأخذ هو الرواية لا الطريق الكائنة بها وذلك مفهوم من قوله مَن كانت طريقه يلبس الخرقة فجعل الطريق عين اللبس بل مقرونة معه ".

وقال أبو عبدالله مُحمَّد بن سليمان الشاطبي

" والخرق أربعة, خرقة قدرة, وخرقة محبَّة, وخرقة بركة, وخرقة رواية, والمعول عليه خرقة القدرة إذ هي الأصل في النسبة ".

قال سيِّدنا الجد رحمه الله

" وتداوَل هذه الخرقة الأقدمون من الأكابر كلهم أو جلُّهم وليست عندهم للتبرك إذ ليسوا متشبهين وتعاطوها كثيراً فيما بينهم الى أن ظهرت الشاذلية فانقطع ذلك فلا تجد في أسانيدهم شيئاً ".

وكذلك التلقين وصِفتهُ أن يقول الشَّيخ للمريد وهو يسمع

" **لا إله إلَّا الله** "

ثلاث مرَّات رافعاً بها صوته مغمضاً عينيه ثم يقولها ثم المريد كذلك ".

والقطبانية هو وصول الشَّيخ الغاية في القوة والمدد الى أن يستمَّد منه أهل وقته كلهم ويصرف أمور الخليقة كلها على يده فهي خلافة غيبية.

ومذهب الحاتمي أنها خطة تصريفية لا الانفراد بمزيد القوة, قال وسمعت الولي الكبير سيِّدي أبا العباس اليمني ﷺ يقول

" هي خطة يد صاحبها على الجميع ويكون في وقته مَن يساويه مداداً وقوة " وهو ظاهر كلام الشَّيخ زرُّوق.

قال في " **عدة المريد** "

" قال أئمة الطريق القطب معلوم غير معين وهو واحد من القوم قدم عليهم كالمَلِك على رعيته فيرجَع اليه في المهمَّات, قال وثبوته كسائر المراتب المذكورة في أولياء العدد غير مستندة لدليل واضح من علم الظاهر والحديث الصحيح غير اجماع القوم على اثبات هذه الرتبة وتحقيقهم لها وشهادة أحوالهم بالصدق والحق, وكذا حياة الخضر ووجوده ولقاؤهم له فخبرهم في ذلك مقبول للعدالة مع الاستقامة والله أعلم ".

وكان الشَّيخ أبو العباس المرسي ﷺ يرى أنه تكون لأهل البيت وغيرهم ويخالف من يرى أنها تختصُّ بهم وأول الأقطاب الحسن بن علي ﷺ.

قال في " **لطائف المنن** " عن الشَّيخ أبي العباس المرسي

" وعليه غير واحد واستشكل بوجود أبي بكر قبله "

وحاصل ما أجمل به ابن السكَّاك والسيوطي والشَّيخ القصَّار أنَّه معناه أنَّ الحسَن أول مَن كانت له الخلافة الباطنية مجرَّدة عن الظاهر.

وهذا أخر ما قصدنا ايراده في هذا الباب والكلام في هذا يسع أكثر لكن فيما ذكر كفاية وقد استوعب سيِّدنا الجد رحمه الله طرق هؤلاء السادات بأوعب ممَّا ذكرناه في كتابيه " **المقصد, والنظم المُسمَّى بمناهل اللهفان بأسانيد أولي العرفان** " وأتى فيه بغاية التحقيق والاتقان جزاه الله جزاء المخلصين وحشرنا معه في زمرة هؤلاء الأصفياء المقربين مع الذين أنعم الله عليهم من النبيِّين والشهداء والصالحين والحمد لله ربِّ العالمين.

الباب الثامن في ذِكر شيء مِن قَدر هذهِ الطَّائفة الكَريمة وما لَها عند الله مِن الرُتبِ العَظيمة

قال الله تعالى

﴿ ألا إنَّ أولياءَ اللهِ لا خَوفٌ عَليهِم ولا هُمْ يَحزَنُونَ ﴾[1]

وأخرج أبو داوود والنسائي عن عمر بن الخطَّاب أن رسول الله ﷺ قال

" إنَّ من عباد الله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بمكانهم من الله قالوا ومَن هم يا رسول الله قال هم قومٌ تحابُّوا بروح الله على غير أرحام ولا مال ثم قرأ

﴿ ألا إنَّ أولياءَ اللهِ لا خَوفٌ عَليهِم ولا هُمْ يَحزَنُونَ ﴾

ولفظ ابن عبد البر في الاستدراك ومن حديث عمر بن الخطاب وغيره عن النبي ﷺ أنه قال

" إنَّ لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء بمنازلهم أو بقربهم من الله فقالوا يا نبي الله مَن هُم وما اعمالهم لعلَّنا نحبهم قال

قومٌ تحابوا لذات الله من غير أرحام يصلونها ولا أموال يتعاطونها والله إن وجوههم نور وأنهم لعلى منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ثم قرأ

﴿ ألا إن أولياءَ اللهِ لا خَوفٌ عَليهم ولا هُمْ يَحزَنونَ ﴾

ومعلوم أن مقام النبوة لا يعادله شيء فيؤوَّل كأن يحمل على غبطة ذلك لهم من الأنبياء بمعنى يحبون لهم تلك المنازل التي يكونون فيها ولا ينافي كون الأنبياء أرفع.

---

[1] . يونس 62

وقال الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني

" واعلم أنَّ لأولياء الله تعالى نعوتاً ظاهرة واعلاماً شاهدة تنقاد لموالاتهم العقلاء والصالحون ويغبطهم بمنزلتهم الشهداء والنبيُّون فمن نعوتهم أنهم الموروثون جُلَّاسهم كامل الذكر والمفيدون خلَّانهم شامل البر, ومنها أنهم المسلمون من المِحن والموقون مِن الفتن, ومنها انهم المضرورون في الأطعمة واللباس المبرورة أقسامهم عند النازلة والبأس, ومنها أن بيقينهم تنفلق الصخور وبيقينهم تنفتق البحور, ومنها أنهم الناظرون الى باطن العاجلة فرمضوها الى ظاهر بهجتها وزينتها فوضعوها.

وروى ابن المبارك في رقائقه عن أبي مالك الأشعري أن النبي ﷺ أقبل الناس فقال

" **يأيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عباداً ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيُّون والشهداء على مجالستهم وقربهم من الله عزَّ وجلَّ فقال أعرابي**

" **أنسبهم لنا يا رسول الله** "

فقال

" **هم أناس من أبناء الناس لم توصل بينهم أرحام متقاربة يتحابون في الله ويتصافحون يضع الله لهم يوم القيامة منابر يجلسهم عليها يجعل وجوههم نوراً يفزع الناس يوم القيامة وهم لا يفزعون وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ".

وفي الموطأ والصحيحين عن أبي هريرة ﷺ واللفظ للموطأ أن رسول الله ﷺ قال

" إذا أحبَّ الله العبد قال لجبريل قد أحببتُ فلاناً فأحبَّه فيحبُّهُ جبريل ثم ينادي جبريل في أهل السماء أنَّ الله قد أحبَّ فلاناً فأحبُّوه فيحبُّه أهل السماء ثم يضع له القبول في الأرض "

وقال تعالى

﴿ إنَّ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصَّالِحاتِ سيَجْعَلُ لَهُمْ الرَّحمن ودّاً ﴾[1]

وقال في " الاستدراك "

قال أهل العلم منهم ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير

" يحبُّهم ويحبِّبهم الى الناس "

وقالوا في قوله عزَّ وجل

﴿ وألقَيتُ عَلَيكَ محبَّةً منّي ﴾[2]

حبَّبتك الى عبادي

وقال الربيع بن أنس

" إذا أحبَّ الله عبداً ألقى له مودةً في قلوب أهل السماء ثم ألقى له مودةً في قلوب أهل الأرض ".

وقال كعب الأحبار

" والله ما استقرَّ لعبدٍ ثناء في أهل الأرض حتى استقرَّ له ثناءٌ في أهل السماء ".

وقال عبدالله بن مسعود

" لا تسأل أحداً عن ودِّه لك وانظر ما في نفسك له فإنَّ في نفسه مثل ذلك فإنَّ الأرواح جنود مجنَّدة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ".

---

1. مريم 96

2. طه 39

وقال أبو الدرداء

" **إيَّاكم ومَن تبغظهُ قلوبكم** ".

قال العارف بن أبي جمرة

" ومعنى حب الله ليس كحب العبيد الذي هو الولوع والأنس وميل القلب وإنما معناه رضاه بحاله وما هو عليه من كثرة احسانه له كقوله

﴿ يحبُّهم ويحبُّونه ﴾

أي يحبونه فيحسن اليهم على حبهم له وجوز في حال جبريل وجهين

أحدهما. أن يكون حب ولوع بالشخص يخلفه الله فيه عند أمره له بحب العبد ويكون من جملة حبِّه أن يواليه ويدعوا الله بالخير.

ثانيهما. أن يكون معنى حبه له ترفيعه وتكرمته لكونه له عند الله مكانة حسنة كأنَّ العبيد في الحب والبغض للمولى متبعين, ومعنى القبول على ظاهره وهو معنى الترفيع والاكرام.

وقد جاء ويوضع حبُّه على الماء فغدا يحبُّه الجنُّ والانس والملائكة ويفسره ما جاء في حق صاحب العلم الذي هو لله يستغفر له كل شيء في الأرض حتى الطير في الهواء والحوت في البحر, ملَّخصاً فانظر تمامهُ.

وفي باب التواضع من كتاب " **الرقائق من كتاب البخاري** " عن أبي هريرة ﷺ قال

" قال رسول الله ﷺ

" **أن الله تعالى قال مَن عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب, وما تقرَّبَ اليَّ عبدٌ وفي رواية عبدي بشيءٍ أحبَّ اليَّ ممَّا افترضته عليه وما زال وفي رواية ومازال عبدي يتقرَّب اليَّ بالنوافل حتى أحبَّه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني بي لأعيذنهُ وما**

تردَّدتُ عن شيء أنا فاعله تردُّدي عن نفس المؤمن يكره الموت وانا أكره أساءته ".

قال النووي ومعنى آذنته أعلمته بأني محارب له وقوله أستعاذ بي روي بالباء وروي بالنون وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال

قال النَّبي ﷺ يقول الله عزَّ وجل

" أنا عند ظنِّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإذا ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإذا ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملاٍ خير منه وإن تقرَّب اليَّ بشبر أتقرَّبُ اليه ذراعاً وإن تقرَّب اليَّ ذراعاً تقرَّبتُ اليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة " أخرجه البخاري في كتاب رد الحسبة الى التوحيد في قول الله تعالى

﴿ ويُحذِرُكُم اللهُ نَفسّهُ ﴾[1]

ومسلم في كتاب الذكر قال ابن أبي جمرة

الظن هنا بمعنى اليقين لقوله تعالى

﴿ وظَنُّوا أنْ لا مَلجأ مِن اللهِ إلَّا إليهِ ﴾[2]

لأنَّ هذه الأمور الحقيقية كلها ما نحن مطلوبون بها إلَّا لتحقيق الاخلاص قال ويحتمل أن يكون معنى الذكر لنا أن يذكره كيف كان أو يذكره بالأعمال لكن الذي يدلُّ عليه الأدلة الشَّرعية أنَّ الذكر على نوعين, ذكر مقطوع لذاكره بهذا الحديث نحن بسبيله وذكر تأتي فيه الأدلة متعارضة منها ما يدلُّ على أنه في جملة الذاكرين كقوله تعالى

﴿ فَمَنْ يَعْمَل مِثقالَ ذَرَّةٍ خَيراً يَرَه وَمَنْ يَعْمَل مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرَّاً يَرَهْ ﴾[3]

---

1 . آل عمران 28

2 . التوبة 118

3 . الزلزلة 7– 8

وأدلة أخرى تمنع ذلك لقول مولانا سبحانه لموسى عليه السلام

" قل للظالمين لا يذكروني فإني آليت على نفسي إنَّ مَن ذكرني ذكرته فإذا ذكروني ذكرتهم بالغضب "

ولقول سيِّدنا مُحمَّد ﷺ في المصلَّي الذي لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدهن الله إلَّا بعداً فكيف بالذكر وحدهُ ولم يجعل الذكر في كتابه إلَّا بعد تحقيق الايمان بقوله تعالى

﴿ إنَّ المُسْلِمينَ والمُسلِماتِ ﴾ الى قوله تعالى ﴿ والذَّاكرين والذَّاكرات الله كثيرا ﴾[1]

فهذه مبينة لما نحن فيه بسبيله.

وأمَّا الذكر بالأفعال فهو الأفضل يكفي في ذلك قول عمر ﷺ قال

" ذكرُ الله عندَّ أمرهِ ونهيهِ خيرٌ مِن ذِكرهِ باللِّسان إلَّا إن كان ذكر هذا العاصي لمولاه بخوف وخجل معاً هو فيه فيرجى حاله فضل المولى لقوله سبحانه

" أطلبوني تجدوني عند المنكسرة قلوبهم "

ولا خلاف إنَّ الألفاظ التي في الحديث من جانب المولى تعالى لها تأويل غير ظاهر هنا إلَّا قوله سبحانه ذكرته في نفسي يحتمل أن يكون هذا اشارة الى فضيلة الذكر الخفي عن الجلي لأنَّ ما ينفرد به تعالى بذاته الجليلة أفضل ممَّا سواه, وقد ورد

" الذكر الخفي يفضُل الذكر الجلي بسبعين درجة "

واحتمل أن يكون على ظاهره مع نفي التكييف وقوله

" وأنا معه إذا ذكرني "

[1] . الأحزاب 35

فمعناه إذا ذكرني أنا معه بحسب ما قصد في ذكره لي فإن ذكرني تعظيماً لي كنت معه بالإنعام والاحسان وإن ذكرني في خوف ذكرته بالرحمة والاخلاص ممَّا خافه لقوله تعالى

﴿ أمَّن يُجِيبُ المُضطَرَّ إذا دَعاهُ ﴾[1]

ولقوله تعالى

" مَن شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين "

لأن شغله بالخوف واضطراره أوجب له النجاة

وقوله

" ذكرته في ملأٍ خيرٌ منه "

أي في العالم العلوي وسكت عمَّا له من الأجر وهو الرحمة لقوله

﴿ ذِكرُ رَحمةِ رَبّكَ عَبدَهُ زَكَرّيا ﴾[2]

قال أهل العلم ذكر رحمته له وفيه دليل على أن ليس كمثله شيء لأنه يذكره في زمان واحد لا يحصى في مشارق الأرض ومغاربها فيذكر الجميع مع ما هو من حمل جميع الوجود بقدرته وحكمته على ما جرى فيهم سابق علمه فهذا لا تجده العقول ومن أجل هذا استفتح الحديث بقوله تعالى

" أنا عند ظن عبدي بي "

ولا يمكن إلَّا على الوجه الذي بينَّاهُ.

وقوله

" وإن تقرَّب اليَّ شبراً "

هذا بلا خلاف أنه ليس على ظاهره فيؤوَّل أنه مهما تقرب اليه العبد بوجه فهو فضل الله يجازيه بأكثر ممَّا جاءه به, وصرَّح به في قوله

---

1 . النمل 62

2 . مريم 2

﴿ مَنْ جَاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أمْثالِها ﴾[1]

وأنواع التضعيف الى سبعمائة بحذف وتقديم وتأخير وهي غاية في قدر هؤلاء السَّادة إذ شأنهم الاستغراق في الذكر.

وأخرج أبو نعيم في " الحلية " عن أنس بن مالك قال

قال رسول الله ﷺ

" كم من ضعيف متضعِّف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبرَّه منهم البراء بن مالك "

ثم أن البراء لقي زحفاً من المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين فقالوا له يا براء ان رسول الله ﷺ قال

" لو أقسمت على ربك لأبرَّك فأقسِم على ربَّك "

فقال

" أقسمت عليك يا ربِّ لما منحتنا أكتافهم, ثم التقوا على قنطرة السوس فأوجعوا في المسلمين فقالوا أقسم يا براء على ربِّك

فقال

أقسم عليك يا ربِّ لما منحتنا أكتافهم وألحقني بنبيك ﷺ فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيداً.

وأخرج أيضاً عن أبي هريرة قال

" قال رسول الله ﷺ

" رُبَّ أشعث ذي طمرين تنبوا عنه أعين الناس لو أقسم على الله لأبرَّه".

وأخرج أيضاً عن عبدالله بن مسعود قال

---

[1] . الأنعام 160

" قال رسول الله ﷺ أن لله عزَّ وجل في الخلق ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم عليه السلام ولله عزَّ وجل في الخلق أربعون قلوبهم على قلب موسى عليه السلام ولله في الخلق سبعة قلوبهم على قلب ابراهيم عليه السلام ولله في الخلق خمسة قلوبهم على قلب جبريل عليه السلام ولله في الخلق ثلاثة قلوبهم على قلب ميكائيل عليه السلام ولله في الخلق واحد قلبه على قلب اسرافيل عليه السلام فإذا مات الواحد أبدل الله تعالى مكانه من الثلاثة وإذا مات من الثلاثة أبدل الله تعالى من الخمسة وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامَّة فيهم يُحي ويُميت ويُمطر ويُنبت ويَرفع الله بهم البلاء "

قيل لعبدالله ابن مسعود كيف بهم يحي ويميت.

قال لأنهم يسألون الله الأمر فيكثرون ويدعون على الجبابرة فيقصمون ويستسقون فيُسقون ويسألون فتنبت لهم الأرض ويدعون فيرفع بهم أنواع البلاء.

وأخرج أبو نعيم أيضاً عن حذيفة قال

" قال رسول الله ﷺ إن في كل طائفة من أمتي قوماً شعثاً غبراً ايَّاني يريدون وايَّاي يتبعون وكتاب الله يقيمون أولئك منِّي وانا منهم وإن لم يروني".

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشَّيخ وسعيد ابن جبير قال

" يدخل الرجل الجنَّة فيقول أين أمي أين ولدي أين زوجتي فيقال لم يعملوا مثل عملك فيقول كنت أعمل لي ولهم ثم يقول

﴿ جنَّةُ عدنٍ يدخلونها ومَن صَلَحَ مِنْ آبائِهِم ﴾[1]

[1] . الرعد 23

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد وابن أبي حاتم عن خثيمة قال

" قال عيسى عليه السلام طوبى لذرية المؤمن ثم طوبى لهم كيف يحفظون من بعده وتلى

﴿ وَكانَ أبوهما صالحاً ﴾[1]

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن وهب قال

" ان الله يحفظ بالعبد الصالح القبيل من الناس "

وأخرج ابن أبي حاتم من طريق شيبة عن سلمان بن سليم أبي سلمة قال

" مكتوب في التوراة إن الله يحفظ القرن الى القرن الى سبعة قرون وإن الله ليهلك القرن الى القرن الى سبعة قرون ".

وأخرج أحمد في الزهد عن وهب قال

" إن الرب تبارك وتعالى قال في بعض ما يقول لبني اسرائيل إني إذا أُطِعت رَضيت وإذا رَضيت باركت وليس لبركتي نهاية وإذا أُعصيت غضِبت وإذا غضِبت لَعنت ولعنتي تبلغ السَّابع من الولد ".

وفي تفسير الثعلبي عند قوله تعالى

﴿ وَلولا دَفْعُ الله النَّاس ﴾[2]

عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال قال النبي ﷺ

" أن الله ليصلح بصلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دويريته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيه ".

وقال ابن عمران قال النبي ﷺ

" ان الله تعالى ليرفع بالمسلم الصالح عن مائة من أهل بيته وجيرانه البلاء "

---

[1] . الكهف 82

[2] . البقرة 251

ثم قرأ ابن عمر

﴿ وَلولا دَفْعُ الله النَّاس ﴾

ودويريته تصغير داره ودويرات جمع دويرة .

وأخرج أحمد عن وهب قال

" اتقوا غضبي فإنَّ غضبي يدرك الى ثلاثة آباء واحبُّوا رضاءي يدرك في الامة ".

أنالنا الله تعالى رضاه وجعلنا من الفائزين بنعيمه وكرامته ولا حرمنا من رضوانه الأكبر بجنته آمين.

فائدتان

الأولى وقع الاشتراك لسيِّدنا قاسم الخصاصي مع معاصره وهو سيِّدي قاسم بن أحمد ابن عيسى السفياني المعروف بابن اللُّوشة دفين ضفة وادي رضم من بلاد أزغار وله أتباع ينتسبون اليه وطوائف كثيرون يحفظون, له كرامات وخوارق حتى شاع ذكره في هذه الأزمنة بفاس شيوعاً كثيراً ويختلفون له بالزيارة كل سنة في المولد النبوي.

وهو ممَّن أخذ عن سيِّدي مُحمَّد الشَّرقي فيما حُكي لي على أنه كان بهلولاً ساقط التكليف, توفي ثامن وعشرين من رجب عام خمسة وسبعين وألف.

والمقيد فيه هذا التقييد هو غيره وهو سيِّدي قاسم بن قاسم الخصاصي أخذ عن سيِّدي مُحمَّد بن عبدالله وعن عبدالرَّحمن الفاسي كلاهما عن أبي المحاسن سيِّدي يوسف الفاسي عن الشَّيخ المجذوب كما تقدَّم الى آخره.

الثانية أعلم أن الموجود من عقب سيِّدنا قاسم الخصاصي المؤلَّف فيه هذا التأليف الذي هو من قوم بذكرهم تتنزَّل الرحمات ففاحت من شذا عرفه هذه النسمات ستة نفر

المُسن أبو عبدالله مُحمَّد بن السَّيد البركة أبي العباس أحمد بن الشَّيخ سيِّدي قاسم المذكور وله الأن ولد صبي صغير, والأرضى أبو عبدالله مُحمَّد وولده التاجر أبو مُحمَّد عبد النبي واثنان القاسم بن أحمد والشاب عبدالرَّحمن بن عبدالوهاب والسَّيد مُحمَّد وأحمد وعبدالوهاب المذكورون أخوة أبوهم السَّيد الأوجه أبو مُحمَّد عبدالرَّحمن ابن السَّيد البركة أبي الحسن علي بن سيِّدنا قاسم المذكور لا غير.

أدام الله حفظهم وكان قرار سيِّدنا قاسم الخصاصي ﷺ بالمخفية من عدوة فاس الأندلس بالدائر الصائرة له بالهبة من تلميذه سيِّدنا أحمد بن عبدالله بجوار زاوية سيِّدنا مُحمَّد بن عبدالله وبقى بها أولاده الى الآن وربما خرج منها بعض لضيفها عنهم أو لسبب غيره وهذا آخر ما منَّ الله تعالى بإمداده وفتح علينا من فيض كرمه بإيجاده وتقدَّم تسميته " **بالزهر الباسم**" فمن شاء فليسمِهِ " **بتكليل النواصي بمآثر سيِّدي قاسم الخصاصي** ".

أو ليسمِّه " **تعلُّق العاصي بأذيال الشَّيخ سيِّدي قاسم الخصاصي** "

ونسأله سبحانه أن يسامحنا من الجرأة على هذه المكانة وأن لا يؤاخذنا بما ضيعناه من الأمانة, وأن لا يحرمنا من الاضافة لهذا الجناب الكريم بما يعلمه منَّا ويسامحنا في الوصف الذميم, فانه سبحانه القادر على ما يشاء والمتفضل بإحسانه على من أساء, وهو الرؤوف الرَّحيم الحنَّان المنَّان العفو الحليم.

قال جامعه مُحمَّد بن الطيب بن عبدالسلام القادري الحسني أحسن الله له في الدارين

" وفرغ من تبييضه وتأليفه في الرابع والعشرين من شوال عام سبعين بمهملتين بينهما موحدَّة ومائة وألف وصلَّى الله على سيّدنا مُحمَّد وآله وصحبه وسلَّم تسليماً والتابعين وتابعيهم بإحسانٍ الى يوم الدِّين والحمد لله ربِّ العالمين ".

الفهرس